٣٣١٥

# المرشد الأمين
# إلى موعظة المؤمنين

## من إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

---

الطبعة الثالثة

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

# المرشد الأمين
# إلى موعظة المؤمنين
## من إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

---

الطبعة الثالثة
١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

Marfat.com

131471

Marfat.com

## مقدمة الطبعة الثانية للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمة الإيمان ، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان .

أما بعد : فان من أنفع ما يقتبس منه عظة المؤمنين والوصول إلى ربّ العالمين ، وترقية الأخلاق ، وبثّ روح الفضيلة فى الآفاق ، والوقوف على حقيقة المخلصين العاملين ، كتاب « المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين » ، لحجة الإسلام أبى حامد محمد الغزالى ، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، فقد جمع فى هذا المختصر بحارا من الأسرار فى قطرة ، وترجم نشيد الملائكة مختصرا فى نغمة ؛ وغير خاف أن عقل الإنسان ومداركه ومواهبه مهما بلغت ، محتاجة إلى مادة تعينه على ذكراه ، وتمدّ ذاكرته حتى يبلغ مبتغاه .

فالإمام الغزالى على ما كان عليه من زهد وورع ، قد أفنى حياته فى طلب العلم والمعرفة حتى بلغ الذروة والغاية ، ولقد ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الآخرة يعامل الله فى سرّه وجهره ، فكان أفقه أقرانه ، وإمام أهل زمانه ، وكان حبه فى الله تعالى والتفانى فى عبادته ، هو قطرة النور الأولى فى هذا الفيض الربانى ، فتصوّف وسلك الطريق ، وسار على الجادّة ، حتى كان طليعة القوم ، ودليل القافلة .

Marfat.com

كان هذا الحبّ الإلهى هو دليله وإلهامه ورائده ، وهذا الحبّ هو غاية الحياة ، كما هو سرّ سعادتها ، فالحياة الفاضلة السعيدة هى معرفة الله ومحبته ، وعبادة الله هى الغاية العليا ، والهدف الأسمى ، فهذا الميزان الدقيق لأمور الحياة هو دستور الغزالى ، وعماد دعوته إلى الخير والهدى والسلام .

وتراث الغزالى ليس نزوة من نزوات النفس ، ولا خاطرة من خواطر العقل ، فيذهب بذهاب جيل ، ويفنى بمرور عصر من العصور ، بل هو خلاصة جهاد القلب والعقل ، ووحى الروح والإلهام ، وفيض ونور إلهىّ . ( تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلا فَسَاداً ، وَالعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

فإلى الإسلام والمسلمين ، والعبّاد الورعين فى أقطار الأرض ، نقدّم هذا الكتاب ، بعد ما قمنا بطبعه طبعا متقنا ، ليعمّ نفعه الحاضر والباد .

والله يوفقنا إلى ما فيه السداد .

القاهرة فى { ٢٣ رجب سنة ١٣٧٥ هـ
٥ مارس سنة ١٩٥٦ م }

مدير شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابى الحلبى وأولاده
محمود نصار الحلبى

قَدْ جاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِمَا فى الصُّدُورِ

[ قرآن كريم ]

# بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام ، حجة الإسلام ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد [الغ]زالى رحمه الله ، ورضى عنه :

الحمد لله على جميع نعمه ، حتى على توفيقه لحمده ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد نبيه ورسوله وعبده ، وعلى آله وأصحابه وخلفائه من بعده ، ووزرائه فى عهده .

أما بعد : فإنه قد عنّ لى فى بعض أسفارى أن أستخرج من كتاب : « إحياء علوم الدين » لبابه ، لتعذّر استصحابه مع كبر حجمه ، فأقدمت على ذلك مستوفقا من الله ، ومستخيرا له ، ومصليا على نبيه .

وهو يشتمل على أربعين بابا ، والله الموفّق للصواب .

Marfat.com

# الباب الأول

## فى العلم والتعلم

اعلم أن فضيلة العلم شواهدها من القرآن كثيرة ، فمنها قوله تعالى ( يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ ) ، قال ابن عباس رضى الله عنهما « لِلْعُلَماءِ دَرَجاتٌ فَوْقَ المُؤْمِنِينَ بِسَبْعِ مِئَةِ دَرَجَةٍ ، مابينَ الدَّرَجتَين مَسيرَةُ خَمْس مِئَةِ عامٍ » ، وقال تعالى ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لايَعْلَمُونَ ) ، وقال تعالى ( إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ) ، وقال تعالى ( وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها للنَّاسِ ، وَما يَعْقِلُها إلاَّ العالِمُونَ )

ومن الأخبار قوله عليه الصلاة والسلام « العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ » وقال عليه الصلاة والسلام « أفْضَلُ النَّاسِ المُؤْمِنُ العالمُ الَّذِى إنِ احْتِيجَ إلَيْه نَفَعَ وَإنِ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ أغْنَى نَفْسَهُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « الإِيمَانُ عُرْيانٌ ولِباسُهُ التَّقْوَى، وَزِينَتُهُ الحَياءُ ،وَثَمَرَتُهُ العِلْمُ »،وقال عليه الصلاة والسلام«أقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أهْلُ العِلْمِ وأهْلُ الجِهادِ . أمَّا أهْلُ العِلْمِ فَلأَنَّهُمْ قَدْ دَلُّوا النَّاسَ على ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ . وأمَّا أهْلُ الجِهادِ فَجاهَدُوا بأسْيافِهِمْ على ماجاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « العالِمُ أمِينُ اللهِ فِى الأرْضِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام «تشفَعُ يَوْمَ القِيامَةِ الأنْبِياءُ ثُمَّ العُلَماءُ ثُمَّ الشُّهَداءُ ».وقال فتح الموصلى : أليس المريض إذا مُنع الطعامَ والشَّراب والدواءَ يموت ؟ قالوا نعم قال كذلك القلب إذا مُنع عنه الحكمة والعلم ثلاثةَ أيام مات . ولقد صدق، إذ

غذاء القلب العلم والحكمة ، وبهما حياته ، كما أن غذاء الجسم الطعام والشراب ومن فقد العلم فقلبه مريض ، وموته لازم ، وليس يشعر به ، لأن شواغلَ الدنيا أبطلت إحساسه ، فاذا كشف عنه الموت تلك الشَّواغل أحسَّ بألم عظيم ، وتحسَّر تحسرًا لا آخر له ، وهو معنى قولهِ عليه الصلاة] والسلام « النَّاسُ نِيامٌ فإذَا ماتُوا انْتَبَهُوا » . .

وأما فضيلة التعلم ، فيدلّ عليها قوله عليه الصلاة والسلام ( إنَّ المَلائكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتِها لطالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَايَصْنَعُ » وقال عليه الصلاة والسلام « لأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بابا مِنَ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ » . وقال أبوالدّرداء : من رأى أن الغدوّ إلى العلم ليس بجهاد ، فقد نقص فى رأيه وعقله .

وأما فضيلة التعليم فيدلّ عليها قوله تعالى ( وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية « ما أتى اللهُ عالِمًا عِلْما إلاَّ أخَذَ عَلَيْهِ مِنَ المِيثاقِ ما أخَذَ على النَّبِيِّينَ أنْ تُبَيِّنَهُ وَلا تَكْتُمَهُ »[1]، وقال عليه الصلاةوالسلام لمابعث معاذًا إلىاليمن« لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيا وَما فيها » . وقال عمر رضى الله عنه « مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَعَمِلَ بِهِ ، فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ ذَاكَ العَمَلِ » . وقال مُعاذ بن جبل فى التعليم والتعلم وروايته أيضا مرفوعا « تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنَّ تَعَلُّمَ العِلْمِ للهِ حَسَنَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبادَةٌ ، وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، والبَحْثَ عَنْهُ جِهادٌ ، وتَعْلِيمَهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ الأنِيسُ فِي الوِحْدَةِ ، والصَّاحِبُ فِي الخَلْوَةِ ، والدَّلِيلُ على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ،وَالوَزِيرُ عِنْدَ الأخِلاَّءِ، والقَرِينُ عِنْدَ عَدَمِ القُرَناءِ ،وَمَنارُ

سَبِيلِ الجَنَّةِ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أقوَاماً فَيَجْعَلُهُمْ فِي الخَيْرِ قادَةً هُدَاةً يُهْتَدَى بِهِمْ ، أدِلَّةً فِي الخَيْرِ تُقْتَصُّ آثارُهُمْ ، وتُرْمَقُ أفْعالُهُمْ ، وتَرْغَبُ المَلائِكَةُ فِي خِلَّتِهِمْ وبأجْنِحَتِها تَمْسَحُهُمْ ، وَيُسَبِّحُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيابِسٍ ، ولَهُمْ يَسْتَغْفِرُ حتى حِيتانُ البَحْرِ وَهَوَامُّهُ ، وَسِباعُ البَرِّ وأنْعامُهُ ، والسَّماءُ ونُجُومُها ، لأنَّ العِلْمَ حَياةُ القُلُوبِ مِنَ العَمَى ، ونُورُ الأبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ ، وَقُوَّةُ الأبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ مَنازِلَ الأبْرارِ والدَّرَجاتِ العُلَى ، التَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ بالصِّيامِ ، وَمُدَارَسَتُهُ بالقِيامِ ، وَبِهِ يُطاعُ اللهُ وَبِهِ يُعْبَدُ وَبِهِ يُوَحَّدُ وَبِهِ يُتَوَرَّعُ وبِهِ تُوصَلُ الأرْحامُ . وَهُوَ الإمامُ والعَمَلُ تابِعُهُ يُلْهَمُهُ السُّعَداءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأشْقِياءُ » .

وأما من حيث العقل ، فليس تخفى فضيلة العلم ، إذ به الوصول إلى الله تعالى ، وإلى قربه وجواره ، وهو السعادة الأبديّة ، واللّذة السّرمدية التى لاينقضى آخرها ، ففيه عزّ الدنيا ، وسعادة الآخرة ، والدنيا مزرعة الآخرة ، فالعالم بعلمه يزرع لنفسه السّعادة الأبدية بتهذيب أخلاقه على ما يقتضيه العلم ، ولغيره أيضا بالتعليم يزرع سعادة الأبد ، فانه يهذّب أخلاق الناس ، ويدعوهم بعلمه إلى ما يقرّبهم إلى الله تعالى ، كما قال الله تعالى ( ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وَجادِلْهُمْ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ ) فهو يدعو الخواصّ بالحكمة ، والعوامّ بالمواعظ ، والمعاندين بالجدال ، فهو ينجو بنفسه وبغيره ، وهذا هو كمال الإنسان .

Marfat.com

## فصل فى بيان العلم المحمود والمذموم
## وبيان فرض العين وفرض الكفاية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ » ، فما يجب عليه بعد بلوغه وإسلامه ، أن يعلم كلمتى الشهادة ، وفهم معناهما ، وليس يجب عليه أحكامهما بالبراهين ، بل يكفى أن يعتقد ذلك من غير ريب وشكّ ، ولو على سبيل التقليد ، وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن يُسلم من أجلاف العرب ، ثم بعد ذلك يشتغل بتعلم ما يتجدّد عليه من أوامر الله تعالى ، كالصلاة بحسب تجدّد الأوامر ، فيتعلم الصلاة عند وجوبها ، ويستعدّ لها قبل وجوبها ، وكذلك الصيام ، ويجب عليه تعلم الزكاة إن كان يملك ما تجب فيه الزكاة عند تمام الحول بعد الإسلام ، وإنما يجب عليه ذلك بقدر الحاجة ، وينبّه على وجوب الحجّ عليه ، ولا يلزمه المبادرة إلى تعلم علمه ، كما لاتجب عليه المبادرة إلى أدائه ، ويجب عليه أن يتعلم ما يجب عليه تركه من المعاصى على ممرّ الأيام بحسب ماتمس إليه الحاجة ، فان خطر بباله شكّ فى معتقداته وجب عليه الخوض فى التعليم ، والنظر بقدر ما يزيل الشكّ ، وتعلم العلم الذى به النجاة عن المهلكات ، والفوز بالدرجات ، وتحصيله أيضا فرض عليه ، وما وراء ذلك من العلوم فرض كفاية لافرض عين .

اعلم أن درجات العلوم بقدر قربها من علم الآخرة وبعدها ، فكما أن علوم الشّرعيات تفضل على غيرها من العلوم ، فالعلم الذى يتعلق بحقائق الشرعيات يفضل على مايتعلق بظواهر الأحكام ، فالفقيه يحكم على الظاهر بالصحة والفساد ، ووراءه علم يعرف به كون العبادة مقبولة أومردودة ، وذلك من

Marfat.com

علوم الصوفية على ما سيأتى ، والعلماء المشهورون الذين اتخذ الناس مذاهبهم ، واقتدوا بهم ، كانوا قد جمعوا بين علم الفقه وبين علوم الحقائق ، وبين العمل بها ، وإنما يُعرف ذلك بالكشف عن أحوالهم ، ونقل أقوالهم ، وهم خمسة : الشافعى ، ومالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان الثورى رحمة الله عليهم ، وكلّ واحد منهم كان عابدًا وزاهدًا وعالما فى علوم الآخرة ، كما كان عالما بعلوم الفقه الظاهر الذى يتعلق بمصالح الخلق ، وكانوا يريدون بجميع علومهم وجه الله تعالى . فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر ، من جملتها فى خصلة واحدة ، وهى النشر والمبالغة فى تفاريع الفقه ، لأن الخصال الأربع لاتصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة . ونحن نورد من أحوالهم ما يدلّ على هذه الخصال الأربع .

أما الشافعى رحمه الله ، فيدل على كونه عابدا ، أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلث للعلم ، وثلث للصلاة ، وثلث للنّوم . وقال الربيع : كان الشافعى رحمه الله تعالى يختم القرآن فى رمضان ستين مرّة ، كل ذلك فى الصلاة ؛ وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى كل ليلة مرّة . وقال الحسين الكرابيسى رحمه الله تعالى : بتّ مع الشافعى غير مرّة ، فكان يصلى نحوا من ثلث الليل ، فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فمئة ، لايمرّ على آية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المؤمنين ، ولا بآية عذاب إلا تعوّذ منها ، وسأل الله تعالى النّجاة لنفسه ولجميع المومنين ، واقتصاره على خمسين آية يدلّ على تبحُّره فى أسرار القرآن . وقال الشافعى : ما شبعت مذ ستّ عشرة سنة ، لأنه يثقل البدن ، ويقسّى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة . وقال : ماحلَفت بالله تعالى لاصادقا ولا كاذبا . قال : وسئل عن مسئلة فسكت ، فقيل ألا تجيب ؟ فقال حتى أعلم أن الفضل فى سكوتى

Marfat.com

أو في الجواب . وقال أحمد بن يحيى : خرج الشافعي يوما من سوق القناديل ، فتبعناه ، فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعي إلينا فقال : « نَزِّهُوا أَسْمَاعَكُمْ عَنِ اسْتِمَاعِ الخَنَا كَمَا تُنَزِّهُونَ أَلْسِنَتَكُمْ عَنِ النُّطْقِ بِهِ ، فإِنَّ المُسْتَمِعَ شَرِيكُ القَائِلِ ، وَإِنَّ السَّفِيهَ لَيَنْظُرُ إِلَى أَخْبَثِ شَيْءٍ فِي وِعَائِهِ ، فَيَحْرِصُ أَنْ يُفْرِغَهُ فِي أَوْعِيَتِكُمْ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ السَّفِيهِ لَسَعِدَ رَادُّهَا كَمَا يَشْقَى بِهَا قَائِلُهَا » . وقال الشافعي : كتب حكيم إلى حكيم يقول : قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده فقد قال رحمه الله : من قال : إنه جمع بين حبّ الدنيا وحبّ خالقها فقد كذب . وسقط سوطه من يده ، فرفعه إليه إنسان ، فأعطاه جزاءً عليه خمسين ديناراً ، وسخاءُ الشافعي أشهر من الشمس ، ويدلّ على خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة ، ما رُوى عنه أنه سمع سفيان بن عيينة يروى حديثا من الرقائق ، فغشى على الشافعي ، فقيل له قد مات ، فقال إن مات ، فقد مات أفضل أهل زمانه . وقرأ بعضهم ( هَذَا يَوْمُ لايَنْطِقُونَ ) الآية ، فرؤى الشافعي وقد تغيَّر لونه واقشعرّ جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخرّ مغشيا عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكذّابين ، وإعراض الغافلين ، اللهمّ لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لهيبتك المشتاقون . اللهمّ هب لى جودك وأظلنى بسترك ، وأعنى واعف عن تقصيرى بكرم وجهك . وأما كونه عالما بأسرار القلوب ، فيدلّ عليه أنه سئل عن الرياء ، فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى بحبال أبصار قلوب العلماء ، فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس ، فأحبطت أعمالهم . وقال : إذا أنت خفت على نفسك العجب فانظر رضا من تطلب ، وفى أىّ نعيم ترغب ، ومن أىّ عقاب تهرب ، وأىّ عافية تشكر ،

Marfat.com

وفى أىّ بلاء تذكر؟ ويدلّ على أنه أراد بالفقه والمناظرة وجه الله تعالى أنه قال: وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم وما نُسب إلىّ منه شىء. وهذا قاطع فى أنه لم يرد به صيتا فى الناس ومتاع الغرور. وقال: ماناظرت أحدًا قطّ فأحببت أنه يخطئ، وما كلَّمت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفَّق ويسدَّد ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ؛ وما كلَّمت أحدا قط إلا وأنا أريد أن يُبين الله تعالى الحقّ على لسانه أو على لسانى. وقال أحمد بن حنبل: ما صلَّيت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى.

وأما الإمام مالك رحمه الله تعالى، فانه كان متحليا بهذه الخصال الخمس، ويدلّ عليه أنه سئل: ما تقول يا مالك فى طلب العلم؟ فقال: حسن جميل، ولكن انظر الذى يلزمك من حيث تُصبح إلى حين تمسى فالزمه. وقال الشافعى رحمه الله: رأيت أنه سئل عن أربعين مسئلة، فقال فى اثنتين وثلاثين منها لاأدرى. وزُهده وورعه أشهر من أن يذكر.

وأما أبوحنيفة رضى الله عنه، فكذلك رُوى أنه كان يحيى نصف الليل، فأشار إليه إنسان بأن هذا الذى يحيى كلّ الليل، فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله وقال: أنا أستحى أن أوصف بما ليس فىّ.

وكذلك أحمد بن حنبل، وسفيان زهدهما وورعهما أظهر من أن يذكر وسيأتى فى أثناء الكتاب من الحكايات ما يدلّ على ذلك، فانظر الآن إلى الذين يدّعون الاقتداء بهؤلاء، صدقوا فى دعواهم أم لا.

## فصل: فى بيان أن جميع العلوم ليست محمودة

ونعنى بذلك السحر والطلاسم والنجوم والفلسفة وما شابهها. أما السحر والطلاسم فإنهما مؤدّيان إلى أنواع من الضرر. وأما النجوم فلأنها منهىّ عنها،

Marfat.com

إذ قال عليه الصلاة والسلام «إِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا» وإنما أمرنا بالإمساك لأن الإنسان مشغوف بالإحالة على الأسباب ، يعنى الوسائط المحسوسة والمتخيلة ولعله يغفل بسببه عن مسبِّب الأسباب . وأما الفلسفة فلأدائها إلى أمور على خلاف الشرع ، ولا يُنكر أن الحسابيات لايمكن مخالفتها وإنكارها ، ولكن هى مدخل إلى ماوراءها فليقتصر منها على قدر الحاجة ، ومن الطبيعيات على الطلب للحاجة ، ومن النجوم على معرفة المنازل ، ودلائل القبلة .

## فصل : فى آداب المعلم والمتعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ، ولكن ننظم تفاريعها فى سبع جمل :

الوظيفة الأولى: تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق لقوله عليه الصلاة والسلام « بُنِيَ الدِّينُ على النَّظَافَةِ ، وَلَيْسَتِ النَّظَافَةُ مُرَادَةً فِي الثِّيَابِ بَلْ فِي القَلْبِ » ، ويدلّ عليه قوله تعالى ( إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ) بين أن النجاسة لاتختصّ بالثياب ، فما لم ينظف الباطن عن الخبائث لايقبل العلم النافع فى الدين ، ولا يستضىء بنور العلم . قال ابن مسعود « لَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ ، إِنَّمَا العِلْمُ نُورٌ يُقْذَفُ فِي القَلْبِ » . وقال بعض المحققين : تعلّمنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون إلالله : أى العلم أبى وامتنع علينا ، فلم تنكشف لنا حقيقته ، وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه ، ويبعد عن وطنه حتى يتفرّغ قلبه للعلم «( مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ) ، ولذلك قيل : العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك .

الوظيفة الثالثة : أن لايتكبر على العلم ، ولا يتأمر على المعلم ، بل يلقى إليه زمام الاختيار كالمريض المدنف يلقى زمام الاختيار إلى الطبيب من غير أن

Marfat.com

يتحكم عليه بشيء فى استدعاء نوع من الأنواع دون نوع ، وينبغى أن يواظب على خدمة المعلم ، كما روى « أنَّ زَيْدَ بْنَ ثابِتٍ صَلَّى على جِنازَةٍ ، فقُرِّبَتْ لَهُ بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَها ، فجاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكابِهِ ، فَقالَ زَيْدٌ : خَلِّ عَنْكَ يا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ، فقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَا أُمِرْنا أنْ نَفْعَلَ بالعُلَماءِ والكُبَراءِ ، فَقَبَّلَ زَيْدٌ يَدَهُ ، وَقالَ : هٰكَذَا أُمِرْنا أنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنا صَلّى اللهُ عليه وسلم » . وقال صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ مِنْ أخْلاقِ المُؤْمِنِ التَّمَلُّقُ إلاَّ فِي طَلَبِ العِلْمِ » . وقيل :

العلم حرب للمتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

الوظيفة الرابعة : أن يحترز عن الإصغاء إلى الاختلافات من الناس ، فإن ذلك يورث دهشة وحيرة ، فانه يميل فى أوّل الأمر قلبه إلى كلّ ما يلقى إليه ، خصوصا إلى طرق التعطيل التى توافق الكسل والبطالة ، ولهذا لايجوز للمبتدئين الاقتداء بأفعال المنتهين ، حتى قال بعضهم : من زارنا فى البداية صار صدّيقا ، ومن زارنا فى النهاية صار زنديقا ، فانهم فى النهاية سكنت جوارحهم عن الحركات إلا فى الفرائض ، واستبدلوا بالنوافل سير القلوب ودوام الشهود على الدوام ، والغافل يظنّ به البطالة والكسل ( وَتَرَى الجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ ) .

الوظيفة الخامسة : أن لايدع فنا من فنون العلم المحمودة إلا ويخوض فيه حتى يطلع على مقصوده ، فإن ساعده العمر استوفاه ، وإلا اختار الأهمّ ، واختيار الأهمّ إنما يمكن بعد الاطلاع على الكلّ .

الوظيفة السادسة : أن يصرف العناية إلى الأهمّ من العلوم ، وهو علم الآخرة ، أعنى بذلك قسم المعاملة والمكاشفة ، والمعاملة تفضى إلى المكاشفة ،

والمكاشفة معرفة الله تعالى ، وذلك نور يقذفه الله تعالى فى قلب زكىّ بالعبادة والمجاهدة ، وذلك الذى ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، الوارد فيه « لَوْ وُزِنَ إيمَانُ أهْلِ الأرْضِ بإيمَانِ أبى بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَرَجَحَ ، وَذلكَ لِسرٍّ وَقَرَ فِى صَدْرِهِ » لالترتيب البراهين والحجج ، والعجب ممن يسمع هذه الأقوال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يزدرى بسمعه ما يسمعه من كلام الصوفية على وفقه ، ويزعم أنه من تُرّهات الصوفية فاتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال ، فكن حريصا على معرفة ذلك السرّ الخارج ، عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين، فلا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب .
فاعلم أن أشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى ، وهذا بحر لايدرك منتهى غوصه، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء والأولياء ثم الذين يلونهم .وقد روى أن حكيمَين من الحكماء المتعبدين رؤى فى يد أحدهما رقعة ، وفيها « إنْ أحْسَنْتَ كُلَّ شَىْءٍ ، فَلا تَظُنَّ أنَّكَ أحْسَنْتَ كُلَّ شَىْءٍ ، حتى تَعْرِفَ اللهَ تَعالى ، وتَعْلَمَ أنَّهُ مُسَبِّبُ الأسْبابِ ، وَمُوجِدُ الأشْياء » ، وفى يد الآخر رقعة فيها « كُنْتُ قَبْلَ أنْ أعْرِفَ اللهَ أشْرَبُ وأظْمَأُ ، حتى إذا عَرَفْتُهُ رَويتُ بِلا شُرْبٍ » .

الوظيفة السابعة : أن يكون قصد المتعلم فى الحال ، تحلية باطنه بما يوصله الى الله تعالى ، وإلى جوار الملإ الأعلى من المقرّبين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه .

## بيان وظائف المرشد المعلم

وأحسن أحواله ما قيل « مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ فذَلكَ الّذى يُدْعَى عَظِيماً فِى مَلَكُوتِ السَّماءِ » ولا ينبغى أن يكون كالإبرة تكسو غيرها وهى

عارية ، أو ذُبالة المِصْباح تُضِيء على غيرِها وهى تحترِقُ . كما قيل :

صِرْتُ كأنى ذُبالَةٌ نُصِبَتْ تُضِيءُ للنَّاسِ وهْيَ تحترِقُ

ومن تقلَّد التعليم فقد تقلد أمرا عظيما ، فليحفظ آدابَه ووظائفه :

الوظيفة الأولى : الشفقة على المتعلم وإجراؤه مجرى الولد ، لقوله عليه الصلاة والسلام «إنَّمَا أنا لَكُمْ كالوَالِدِ لِوَلَدِهِ » ، بل هو الوالد على الحقيقة ، لأن الأب سبب الحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولذلك يقدّم حقه على حقّ الأبوين . فأما التعليم على قصد الدنيا ، فهو إهلاك وأىّ إهلاك . وإذا كان ذلك ، فليكن تلامذة الرجل الواحد متحابين ، فان العلماء وأبناءَ الآخرة مسافرون إلى الله تعالى ، وسالكون إليه الطريق . والدنيا وسنيها وشهورها منازل الطريق والترافق بين المسافرين من بلد إلى بلد يوجب التحابب والتوادد ، فكيف السفر إلى الله تعالى والفردوس الأعلى ولا ضيق فيه ، فليكن بعيدا من التنافس والتزاحم ، لقوله تعالى ( إنَّمَا المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ ) .

الوظيفة الثانية : الاقتداءُ به صلى الله عليه وسلم فلا تطلب الأجر على التعليم ، قال الله تعالى ( لانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءًا وَلا شُكُورًا ) . وهو وإن كان له منّة عليهم ، فلهم المنة لكونهم سبب تقرّبه إلى الله تعالى بغراسة العلم والإيمان فى قلوبهم .

الوظيفة الثالثة : أن لايدخر شيئا لغد من النصيحة ، كمنعه من التصدّى لرتبة قبل استحقاقها ، والخوض فى العلم الخفىّ قبل إحكام الجلىّ .

الوظيفة الرابعة : نصح المتعلم ومنعه من الأخلاق الذميمة ، لابطريق التصريح ، بل التعريض ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة . وينبغى أن يستقيم هو ثم يطالبه بالاستقامة ، وإلا فالنصح لاينفع ، لأن الاقتداءَ بالأفعال آكد من الاقتداءِ بالأقوال .

Marfat.com

## فصل : فى آفات العلم
### وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيامَةِ عالِمٌ لايَنْفَعهُ اللهُ بِعِلْمِهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم « مَنِ ازْدَادَ عِلْما ، وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إلاَّ بُعْداً » .

واعلم أن العالم بالخوض فى العلم حرم السلامة ، فإما الهلاك وإما السعادة الأبدية . قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى ، فذلك عالم فاتبعوه . ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك نائم فأيقظوه . ورجل لايدرى ويدرى أنه لايدرى ، فذلك مسترشد فعلموه . ورجل لايدرى ولا يدرى أنه لايدرى، فذلك جاهل فاحذروه . وقال سفيان : يهتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل . وقال تعالى ( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنَا فانْسَلَخَ مِنْها ) . وعلماءُ الآخرة هم الذين لايأكلون الدنيا بالدين ، ولا يبيعون الآخرة بالدنيا لما علموا من عز الآخرة ، وذلّ الدنيا . ومن لم يعلم مضادة الدنيا مع الآخرة ومضارّتها فليس من العلماء . ومن أنكر ذلك ، فقد أنكر ما دلّ عليه القرآن والأخبار وجميع الكتب المنزلة وقول جميع الأنبياء . ومن علم ذلك ولم يعمل به فهو أسير الشيطان ، فقد أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته . ومن اقتدى به هلك ، وكيف يعدّ من حزب العلماء من هذه درجته وقال فى مناجاة داود : أَتَدْرِى ما أَصْنَعُ بالعالِمِ إذَا آثَرَ شَهوتَهُ على مَحَبَّتِى أنْ أُحْرِمَهُ لَذيذَ مُناجاتى . ياداوُدُ لاتَسأَلَنَّ عَنِّى عالِمًا قَدْ أَسْكَرَتْهُ الدُّنْيا فَيَصُدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِى ، أُولَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبادِى . يا دَاوُدُ إذَا رأَيْتَ طالِبا

فكن له خادما . يا داود من رد إلى هاربا كتبته شهيدا ، ومن كتبته شهيدا لم أعذبه بالنار أبدا . وكذلك قال الحسن : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم ، فإن كل محب يخوض فيما أحب . وكان يقول يحيى بن معاذ الرازى لعلماء الدنيا : ياأصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية وأبوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية . فأين الشريعة المحمدية ؟ وأنشد :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقيل :

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد

واعلم أن اللائق بالعالم المتدين أن يكون مطعمه وملبسه ومسكنه وجميع ما يتعلق بمعاشه فى دنياه وسطا ، لايميل إلى الترفه والتنعم ، ولا يبالغ فى هذا الطرف إن لم يبالغ فى طرف الزهد فيها . وينبغى له أن يحترز من الدخول على السلاطين وأرباب الدنيا ما أمكنه حذرا من الفتنة .

## فصل : فى العقل وشرفه

وهو منبع العلم ، ويدل على شرفه قوله عليه الصلاة والسلام « أول ماخلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك ، بك

آخذُ ، وَبِكَ أُعطِي ، وبكَ أُثيبُ ، وَبِكَ أُعاقِبُ » . وقال صلى الله عليه وسلم « سألتُ جبرائيلَ : ما السُؤْدُدُ ؟ قالَ : العقلُ » . وحقيقة العقل غريزة يتهيأُ بها إدراك المعلومات النظرية . وكأنه نورٌ يقذف فى القلب به يستعدّ لإدراك الأشياء ، وذلك يتفاوت بتفاوت الغرائز ، والله أعلم .

## الباب الثانى

### فى الاعتقاد ، وفيه فصول

### فصل : فى ترجمة عقيدة أهل السنة

وهى أنه تعالى وتقدّس واحد لاشريك له ، فرد لامثل له ، صمد لاضدّ له ، منفرد لاندّ له ، وأنه قديم لاأوّل له ، أزلىّ لابداية له ، مستمرّ الوجود لاآخر له ، أبدىّ لانهاية له ، قيوم لاانقطاع له ، دائم لانصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال ، لايقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرّم الآباد ، وانقراض الآجال ، بل هو الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن .

التنزيه : وأنه ليس بجسم مصوّر ، ولا جوهر محدود مقدّر ، وأنه لايماثل الأجسام ، لافى التقدير ولا فى قبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ولا تحله الأعراض ، بل لايماثل موجودا ولا يماثله موجود ، وليس كمثله شىءٌ ولا هومثل شىءٍ ، وأنه لايحدّه المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرض والسموات ، وأنه مستو على العرش ، على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده استواءً منزّها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لايحمله العرش بل

Marfat.com

العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون فى قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لاتزيده قربا إلى العرش والسماء ، كما لاتزيده بُعداً عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك كله قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كما لاتماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لايحلّ فى شيء ، ولا يحلّ فيه شيءٌ ، تعالى عن أن يحويه مكان ، كما تقدّس عن أن يحدّه زمان ، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ماعليه كان ، وأنه بائن من خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواه ، ولا فى سواه ذاته ، وأنه مقدّس عن العوارض من التغير والانتقال ، لاتحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لايزال فى نعوت الجلال ، منزّها عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئىّ الذات بالإبصار ، نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار ، وإتماما منه للتنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم .

الحياة والقدرة : وأنه حىّ قادر جبار قاهر ، لايعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناءٌ ولا موت ، وإنه ذو الملك والملكوت والعزّة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والإبداع . خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لاتحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته .

العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط علمه بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، لايعزب عن علمه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء

Marfat.com

بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء فى اللّيلة الظّلماء ، ويُدرك حركة الذرّ فى جوّ الهواء ، ويعلم السرّ وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر بعلم قديم أزلىّ لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال ، لابعلم متجدّد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال .

الإرادة : وإنه تعالى مريد للكائنات ، مدبر للحادثات ، فلا يجرى فى المُلك والمَلكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شرّ ، نفع أو ضرّ ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسران ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، كفر أو إيمان إلا بإرادته وبقضائه وقدره وحكمته ومشيئته لايخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فهو المبدئ المعيد ، الفعّال لما يريد ، لارادّ لحكمه ، ولا معقّب لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوّة له على طاعته إلا بمحبته وإرادته ، لو اجتمعت الإنس والجنّ والملائكة والشياطين على أن يحرّكوا فى العالم ذرّة ، أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عنه ، وإن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفا به مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها ، فوجدت فى أوقاتها كما قدرها وأرادها فى أزله ، من غير تقدّم ولا تأخُّر ، دبّر الأمور كلها ، لابترتيب أفكار ، وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن .

السمع والبصر : وإنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئىّ وإن دقّ ، ولا يحجب سمعه بُعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة ولا أجفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لاتُشبه صفاته صفات الخلق ، كما لاتشبه ذاته ذوات الخلق :

Marfat.com

الكلام : وأنه تعالى متكلم ، آمرٌ ناهٍ ، واعد متوعد بكلام أزلىّ قديم ، قائم بذاته ، لايُشبه كلامه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة ، أو تحريك لسان . وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كلامه ، وكتبه المنزلة على رسله ، وأن القرآن مقروءٌ بالألسنة ، مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب ، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لايقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما ترى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض ، إذا كانت له هذه الصفات كان ( حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما ) بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرّد الذات .

الأفعال : وأنه لاموجود سواه ، إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأعدلها وأتمها ، وأنه حكيم فى أفعاله ، عدل فى أقضيته ، لاينقاس عدله بعدل العباد ، فإن العبد يتصوّر منه الظلم بتصرّفه فى ملك غيره ، ولا يتصوّر الظلم من الله تعالى ، فانه لايصادف لغيره ملكا حتى يكون بتصرّفه فيه ظالما ، فكل ما سواه من جنّ وإنس وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس وحادث اخترعه بقُدرته ، بعد العدم اختراعا ، وأنشأه بعد أن لم يكن شيئا إذ كان فى الأزل موجوداً وحده ، ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق إظهاراً لقُدرته ، وتحقيقا لما سبق من إرادته ، ولما حقّ فى الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف ، لا عن وجوب ، ومتطوّل بالإنعام والإصلاح ، لاعن لزوم ؛ وأنه لو صبّ عليهم العذاب صبا لكان منه عدلا ، وأنه يثيب عباده على الطاعات كرماً

131471

Marfat.com

لا بالاستحقاق واللزوم ؛ وإنه وجب حقه بالطاعة بإيجابه على لسان أنبيائه لا بمجرّد العقل ، ولكن بعث الرسل ، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلّغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به .

معنى الكلمة الثانية : وهى الشهادة للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأنه تعالى بعث الرسول النبيّ الأميّ الهادى القرشيّ « محمداً » صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافّة العرب والعجم والجنّ والإنس ، فنسخ بشرعه الشرائع إلا ماقرّر ، وفضله على سائر الأنبياء ، وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد ، وهو قول : لاإله إلا الله ، مالم يقترن بها شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو قولك : محمد رسول الله ، وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة ، وأنه لايقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر عنه بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير ، وهما شخصان مهيبان هائلان ، يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد ، فيسألانه عن التوحيد والرسالة ، ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ، وهما فتانا القبر ، وسوالهما أوّل فتنة تعرض بعد الموت ، وأن يؤمن بعذاب القبر ، وأنه حقّ وحكمة وعدل على الجسم والروح على مايشاء ويؤمن بالبعث والنشور ، وأنه تعالى يحيى العظام وهى رميم ، كما أنشأها أوّل مرّة ، ويردّ الروح فى الجسد كما هو فى الدنيا قبل الموت ، ويجعله شخصا سويا ، ويؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفتهما فى العظم مثل طباق السموات والأرض ، توزن فيهما الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ مثاقيل الذرّ والخردل تحقيقا لتمام العدل ، وتُطرح صحائف الحسنات فى كفّة النور ، فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى بفضل الله ، وتُطرح صحائف السيّئات فى كفة الظلمة ، فيخفّ

بها الميزان بعدل الله تعالى ، وأن يؤمن بأن الساعة حقّ ، وأن الصراط حقّ ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحدّ من السيف وأدقّ من الشعرة ، تزلّ عليه أقدام الكافرين ، فيساقون إلى النار ، وتثبت عليه أقدام المؤمنين ، فيساقون إلى دار القرار ، وأن يؤمن بالحوض المورود ، حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا ، عرضه مسيرة شهر ، أشدّ بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان من الكوثر . ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب وإلى مسامح فيه ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم المقرّبون ، ويسأل مَن شاءَ من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ، ومن شاء من الكفّار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الأعمال . ويؤمن بإخراج المؤمنين الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لايبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى ، ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل واحد حسب جاهه ومنزلته من الله عزّ وجلّ ، ومن بقى من المؤمنين ، ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله ، فلا يخلد فى النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرّة من الإيمان ، وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ، وأن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضى الله عنهم. وأن يُحسن الظنّ بجميع الصحابة ويثنى عليهم ، كما أثنى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام عليهم . فكلّ ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحقّ وعصابة السنة ، وفارق أهل الضلالة . فنسأل الله كمال اليقين والثبات على الدين ولكافة المسلمين إنه أرحم الراحمين .

Marfat.com

## فصل : فى وجه التدريب إلى الإرشاد

واعلم أن الصبىّ فى أوّل نشوه مستعدّ لقبول الحقّ من غير برهان بفطرة الله تعالى ، فليلق إليه ترجمة العقيدة حتى يحفظه ، فلا يزال يفهم بعد ذلك شيئا فشيئا ، ويترشح فى باطنه ، فلا يحتاج إلى أن يثبت ذلك بالبراهين ، ثم لايخوض العاقل فى طلب البراهين إلا بقدر الحاجة ، والحاجة فيه أن يعرض له إشكال فيتصدّى لما يزيله . وأما الخوض فى علم الكلام على سبيل الابتداء ، فمثله كالقاء الرجل نفسه فى البحر ليسبح ، فإنه ربما لايسلم اعتقاده عند الإصغاء إلى الشبه ، نعم ينبغى أن يكون فى الناس من يقوم به إذا مسّت الحاجة إليه فى دفع المبتدع ، أو إزالة شبهته .

## فصـــل

معنى الإسلام : هو الإذعان والتسليم ، ومعنى الإيمان هو قبول القلب ، والله تعالى ذكرهما فى القرآن مرّة ، فأراد بهما شيئا واحدا ، فقال تعالى : ( فَأخرَجنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ المُؤمِنِينَ ، فَمَا وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ) ولم يكن إلا بيت واحد ، وذكرهما مرّة بمعنيين مختلفين فى قوله تعالى ( قالَتِ الأعرَابُ آمَنّا ، قُلْ لَمْ تُؤمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا ) يعنى أذعنتم ولم تنشرح به صدوركم .

Marfat.com

# الباب الثالث

## فى أسرار الطهارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوُضُوءُ شَطْرُ الإيمانِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « بُنِىَ الدّينُ على النَّظافةِ » ، وقال « مِفْتاحُ الصَّلاةِ الطَّهُورُ » ، وقال تعالى ( فِيهِ رجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ) الآية . وللطهارة أربع مراتب : الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث . والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . والثالثة تطهير القلب عن الأخلاق الذميمة . والرابعة تطهير السرّ عما سوى الله تعالى ، وهى طهارة الأنبياء والصدّيقين . والطهارة فى كلّ رتبة نصف العمل الذى فيها ، فى كل رتبة تخلية وتحلية والتخلية نصف عمل العامل ، لكون الآخر موقوفا عليه . وإليه أشار بقوله تعالى ( قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ) ، فقوله : ثم ذرهم ، تخلية عما سوى الله . وكذلك فى القلب لابدّ من تخليته عن الأخلاق الذميمة ، ثم تحليته بالأخلاق المحمودة . وكذلك فى الجوارح لابدّ من تخليتها من الآثام ، ثم تحليتها بالطاعة ، وكل واحد من هذه المراتب شرط للخوض فيما بعده ، فتطهير الظاهر ، ثم تطهير الروح ثم تطهير القب ثم تطهير السرّ . فلا ينبغى أن تظنّ أن المراد بالطهارة تطهير الظاهر فحسب ، فيفوتك ما هو المقصود . ولا تظنّ أن هذه المراتب فى الظاهر تُدرك بالمنى ، وتُنال بالهوينا ، فإنك لو شمرت له طول عمرك فربما تفوز فيه ببعض المقاصد .

Marfat.com

## فصل : في طهارة الأحداث

وهى الوضوءُ والغسل والتيمم ، ويتقدّمها الاستنجاء . ونحن نورد كيفيتها بآدابها وسننها مبتدئين بقضاء الحاجة ، لأنه سبب الوضوء .

آداب قضاء الحاجة : ينبغى أن يبعد عن نظر الناظرين إليه فى الصحراء . وأن يستتر بشىء إن وجده ، ولا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس ، وأن لايستقبل القبلة ولا يستدبرها ، وأن لايستقبل الشمس والقمر إلا إذا كان فى بناء،والعدول فى الأبنية أيضًا مستحبّ،ولايبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المُثمرة ، ولا فى الجحر ، ويتوقى المواضع الصلبة ، ومهاب الرياح احترازًا من الرشاش ، ويقدّم الرجل اليُسرى فى دخوله ، واليمنى فى خروجه من البناء ، ولا يبول قائما ، ولا يبول فى المغتسل ، فإنه عليه الصلاة والسلام قال « عامّةُ الوَسْوَاسِ مِنْهُ » ، ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله أو رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس ، ويقول عند الدخول : بسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث ، أو من الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج : الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى فىّ ماينفعنى ، ويكون فى الدخول والخروج ذاكرًا لله تعالى خارج بيت الماء ، وأن يعدّ النبل قبل الجلوس ، وأن لايستنجى فى موضع قضاء الحاجة ، وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا ، وإمرار اليد على أسفل القضيب وإن غلب عليه الوسواس ، فليرشّ الماء على سراويله . وفى الخبر أنه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك أعنى الرشّ ، ونهى أن يستنجى بروث أو عظم ، ويستنجى بثلاثة أحجار ، ويستحبّ أن يجمع بين الماء والحجر ،

واستعمال الحجر أن يضعه على المؤخر ، ويمرّ بها إلى المقدّم ، وإن قدر على الإدارة كان أولى ، والإنقاء لابدّ منه ، وبالأوتار مستحبّ .

كيفية الوضوء : ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من الغائط إلا توضأ ، قال عليه الصلاة والسلام « لا يُحافِظُ على الوُضُوءِ إلاَّ مُسْلِمٌ » وينبغي أن يبتدئ بالسواك ، قال عليه الصلاة والسلام « صَلاةٌ على أثَرِ سِوَاكٍ أفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ صَلاةً بغير سِوَاكٍ » ثم يجلس للوضوء فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال عليه الصلاة والسلام « لاوُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُسَمِّ اللهَ تَعالى » ، ويقول : أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك ربّ أن يحضرون . ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء . ويقول : اللهمّ إنى أسألك اليمن والبركة . وأعوذ بك من الشؤم والهلكة . وينوى رفع الحدث أو استباحة الصلوات ، ويستديم النية إلى غسل الوجه ، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويبالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن يكون صائما فيرفق ويقول : اللهمّ أعنى على قراءة كتابك ، وكثرة الذكر لك ، ثم يغرف لأنفه ويستنشق بغرفة واحدة ثلاثا ، ويستنثر ما فيه ويقول فيه : اللهمّ أوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض ، ويقول فى الاستنثار : اللهمّ إنى أعوذ بك من روائح النار ، ومن سوء الدار ، ثم يغرف غرفة لوجهه ، ويغسل من مبتدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن طولا ، ومن الأذن إلى الأذن عرضا . ولا يجب غسل النزعتين فهما من الرأس ويجب إيصال الماء إلى موضع التحذيف ، وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه ، ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعور الأربعة ، وهى الشاربان والحاجبان والهدبان والعذاران ، ويجب إيصال الماء إلى ما يقبل من الوجه إذا كانت اللحية خفيفة دون الكثيفة . وحكم العنفقة كحكم اللحية

فى الكثافة والخفة ، ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ، ويُدخل الأصابع فى محاجر العينين ، ومواضع الرمص ، ومجتمع الكحل وينقيهما ، ويقول : اللهمّ بيض وجهى بنورك يوم تبيض فيه وجوه أوليائك . ولا تسوّد وجهى بظلماتك يوم تسوّد وجوه أعدائك ، وتخليل اللحية مستحبّ ، ثم يغسل يديه مع المرفقين ثلاثا ، ويحرّك الخاتم ويطيل الغرة ، فإنه روى أن الحلية تبلغ موضع الوضوء ، ويبدأ باليمنى ويقول : اللهمّ أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ، ويقول عند غسل الشمال : اللهمّ إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى ، ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبلّ يديه ، ويلصق رءوس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمرّهما إلى القفا ويردّهما إلى المقدم ، هكذا يفعل ثلاث مرّات ويقول : اللهمّ غشنى برحمتك ، وأنزل علىّ من بركتك ، وأظلنى تحت عرشك يوم لاظلّ إلا ظلك ، ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد ، فيدخل مسبحتيه فى صماخى أذنيه ، ويدير إبهاميه على ظاهرهما ، ثم يضع الكف على الأذنين استظهارًا ، ويكرّره ثلاثا ويقول : اللهمّ اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، اللهمّ أسمعنى منادى الجنة مع الأبرار ، ثم يمسح رقبته لقوله عليه الصلاة والسلام « مَسْحُ الرَّقَبَةِ أمانٌ مِنَ الغلّ يَوْمَ القِيامَةِ » ، ويقول : اللهمّ أعتق رقبتى من النار ثلاثا ، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ، ويخلل بخنصر يده اليُسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ، ويبدأ من الخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول : اللهمّ ثبت قدمى على الصراط يوم تزلّ الأقدام فى النار ، ويقول عند غسل القدم اليُسرى : اللهمّ إنى أعوذ بك أن يزلّ قدمى عن الصراط يوم تزلّ أقدام المنافقين ، ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين ؛ وإذا فرغ قال : أشهد أن لا إله

Marfat.com

إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ويقول : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، لاإله إلا أنت عملت سوءا أو ظلمت نفسى ، أستغفرك وأتوب إليك ، فاغفر لى وتب علىّ ، إنك أنت التوّاب الرّحيم ، اللهمّ اجعلنى من التوّابين واجعلنى من المتطهرين ، واجعلنى من عبادك الصالحين ، واجعلنى صبورا شكورا ، واجعلنى أذكرك ذكرًا كثيرًا ، وأسبحك بكرة وأصيلا ، فمن فعل هذا ختم على وضوئه بخاتم ، ورفع له تحت العرش ، يسبح الله تعالى ويقدّسه ، ويكتب له ثوابه إلى يوم القيامة ، ويُكره فى الوضوء أن يزيد على الثلاث ، وأن يسرف فى الماء ، ويكره أن ينفض اليد ، فيرشّ الماء ، وأن يتكلم فى أثناء الوضوء .

كيفية الغسل : أن يستنجى ويتوضأ كما سبق ، ويؤخر غسل الرجلين ، فيصبّ الماء على شقه الأيمن ، ثم على شقه الأيسر ثلاثا ، ثم يُدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ، ويخلّل الشعر ويوصل الماء إلى منابت الشعر ، خف أو كثف ، فإن تحت كل شعرة جنابة ، وليس على المرأة أن تنقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لايصل إلى خلالها ، ويحتفظ أن لايمسّ الذكر فينتقض الوضوء وليتعهد معاطف البدن ، ولا ينسى النية فى افتتاح الغسل ، والواجب فى الوضوء النية عند غسل الوجه ، وغسل اليدين إلى المرفقين ، والمسح وغسل الرجلين إلى الكعبين ، والموالاة ليست واجبة فى الاغتسال . والأغسال الواجبة أربعة : الغسل لخروج المنىّ ، والتقاء الختانين ، والحيض ، والنفاس ، وما عداه من الأغسال سنة ، كغسل الجمعة والعيدين والإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ودخول مكة . وثلاثة أغسال أيام التشريق ، ولطواف الوداع على قول ، والكافر إذا أسلم غير جنب ، والمجنون إذا أفاق ، ولمن غسل ميتا فالكلّ مستحبّ ، فافهم تغنم .

كيفية التيمم : من تعذّر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب ، أو مانع له عن الوصول إليه من سبع وحائل وحابس ، أو كان الماء الحاضر محتاج إليه لعطشه أو عطش رفيقه ، أو كان ملكا لغيره ، ولم يبع إلا بأكثر من ثمن مثله ، أو كان به جراحة أو مرض يخاف من استعمال الماء فساد العضو أو شدّة الضنا ، فيصبر حتّى يدخل عليه وقت الصلاة ، ثم يقصد صعيداً طيبا عليه تراب خالص طاهر لين ، ويضرب عليه يديه ، ضامّا بين أصابعه ، وينوى استباحة الصلاة ، ويمسح بها وجهه كله مرّة واحدة ، ولا يتكلف إيصال التراب إلى منابت الشعور بحال ، ويستوعب بشرة وجهه بالتراب والغبار ، ويحصل ذلك بالضربة الواحدة ، فإن عرض الوجه لايزيد على عرض الكفين ، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية لليد يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليُسرى بحيث لاتجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عرض المسبحة من الأخرى ، ثم يمرّ يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعد اليمنى إلى المرفق ، ثم يقلب كفه اليسرى على باطن ساعد اليمنى ويمرّها إلى الكوع ، ويمرّ بطن إبهامه اليسرى على ظهر إبهامه اليمنى ، ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ، ثم يمسح كفّيه ويخلل بين أصابعه ، وغرض هذا التكليف الاستيعاب بضربة واحدة ، ولا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة ، إن تعذّر بضربة ، وله أن يصلى بالتيمم فرضًا واحدا وما شاء من النوافل .

## فصل

يستحبّ التنظيف من الأوساخ التى تكون على الرأس ، وفى الأذن وفى الأنف ، وتنظيف الرواجب ، وهى رءوس الأنامل وما تحت الأظفار من

Marfat.com

الوسخ ، ويكره تأخير تقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، وحلق العانة لأكثر من أربعين يوما ، ويدخل الحمام بشرط أن يستر عورته ، ويحترز من الاطلاع على عورات الناس ، وينوى بالدخول التنظيف لأجل الصلاة ، ويقول عند دخوله ما يقول عند دخول بيت الماء ، وكذلك عند الخروج ، وإذا أراد تقليم الأظفار ابتدأ بمسبحة يده اليمنى ، ويختم بإبهامه اليمنى ، وابتدأ فى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام ، وينبغى أن يكتحل وترا . وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يكتحل فى اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين ليكون الجميع وترا ، ولا ينبغى أن يكون فعل من أفعالك خاليا عن نوع ترتيب بحسب الاتفاق ، فهو الفرق بين البهائم والآدمى ، فالبهيمة تحرك كيفما اتفق ، والآدمى كيفما أمر ، وختان الولد ينبغى أن يتأخر عن اليوم السابع من الولادة مخالفة لليهود ، قال عليه الصلاة والسلام « الختانُ سُنَّةٌ للرِّجالِ ومَكْرُمَةٌ للنِّساءِ » قال النخعى : عجبت لرجل عاقل طويل اللحية ، كيف لايأخذ من لحيته ، فيجعلها بين لحيتين ، فان التوسط فى كل شىء حسن ، ويكره فى اللحية الخضاب بالسواد والتبييض بالكبريت ، ونتف الشيب منها ، والنقصان منها ، والزيادة وتسريحها تصنعا للرياء ، وتركها شعثة إظهارًا للزهد ، قال كعب : يكون فى آخر الزمان أقوام يقصّون لحاهم كذنب الحمامة ، ويفرقعون نعالهم كالمراجل ، أولئك لاخلاق لهم .

Marifat.com

# الباب الرابع

## فى أسرار الصلاة ومهماتها ، وفيه فصول

### فصل : فى فضائل الصلوات والسجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان : قال عليه الصلاة والسلام « ثَلاثٌ يَوْمَ القِيامَةِ على ...يبِ مِنْ مِسْكٍ أذْفَرَ ، وَلا يَهُمُّهُمْ حِسابٌ ، وَلا يَنالُهُمْ فَزَعٌ ... يَفْرُغَ مِمَّا بينَ النَّاسِ : رَجُلٌ قَرَأَ القُرآنَ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالى ، ...لٌ ابْتُلِيَ بالرِّقِّ فِي الدُّنْيا ، فَلَمْ يَشْغَلْهُ ذلكَ عَنْ عَمَلِ ...رَةِ ، وَرَجُلٌ أَذَّنَ للصَّلاةِ » وقال عليه الصلاة والسلام « يَدُ الرَّحْمَنِ ...رأس المُؤَذِّنِ حتى يَفْرُغَ مِنْ أذانِهِ » . وقيل : المراد من قوله تعالى ...مَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللهِ) : المؤذّنون ، فإذا سمعت الأذان ...قل مثل مايقول المؤذّن ، إلا فى الحيعلتين فإنك تقول : لاحول ولا قوّة ...لا بالله العلىّ العظيم ، وفى قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها ...ا دامت السموات والأرض ، وفى التثويب : صدقت وبررت ، وعند ...فراغ ، اللهمّ ربّ هذه الدعوة التامّة ، والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة ...الفضيلة والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود الذى وعدته .

فضيلة المكتوبة : قال عليه الصلاة والسلام « الصَّلَواتُ كَفَّاراتٌ لِما ...بَيْنَهُنَّ ، ما اجْتُنِبَتِ الكَبائِرُ » وقال « بَيْنَنا وبينَ المُنافِقِينَ شُهُودُ ...العَتَمَةِ والصُّبْحِ لايَسْتَطِيعُونَهُما » وقال عليه الصلاة والسلام « الصَّلاةُ



Marfat.com

عِمادُ الدِّينِ ، فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ » ويروى : « إنَّ أوَّلَ ما يُنْظَرُ فيه يومَ القيامةِ مِنْ عَمَلِ العَبْدِ الصَّلاةُ ، فإنْ وُجِدَتْ تامَّةً قُبِلَتْ مِنْهُ وَسائِرُ عَمَلِهِ ، وإنْ وُجِدَتْ ناقِصَةً رُدَّتْ عَلَيْهِ وَسائِرُ عَمَلِهِ » .

فضيلة إتمام الأركان : قال عليه الصلاة والسلام « مَثَلُ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ كَمَثَلِ المِيزانِ مَنْ أوْفَى اسْتَوْفَى » ، وقال عليه الصلاة والسلام « إنَّ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أُمَّتِي لَيَقُومانِ إلى الصَّلاةِ وَرُكُوعُهُما وَسُجودُهُما واحِدٌ وَإنَّ ما بينَ صَلاتَيْهِما ما بينَ السَّماءِ والأرْضِ » وأشار إلى الخشوعِ ، وقال عليه الصلاة والسلام « أسْوأُ النَّاسِ سَرِقَةً ، مَنْ سَرَقَ مِنْ صَلاتِهِ » .

فضيلة الجماعة : قال عليه الصلاة والسلام « صَلاةُ الجَماعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » ، وقال ابن عباس : مَنْ سَمِعَ المُنادِيَ وَلَمْ يُجِبْ ، لَمْ يُرِدْ خَيْرًا وَلَمْ يُرَدْ بِهِ . وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ صَلَّى أرْبَعِينَ يَوْمًا الصَّلاةَ فِي جَماعَةٍ لا يَفُوتُهُ فِيها تَكْبِيرَةُ الإحْرامِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بَراءَتَيْنِ : بَراءَةً مِنَ النِّفاقِ وَبَراءَةً مِنَ النَّارِ » .

فضيلة السجود : وقال عليه الصلاة والسلام « ما تَقَرَّبَ العَبْدُ إلى اللهِ تَعالى بِشَيْءٍ أفْضَلَ مِنَ السُّجُودِ الخَفِيِّ » . ورُوِي « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ، وأن يرزقني مرافقتك في الجنة ، قال : أعني بكَثْرةِ السُّجودِ » . وقال أبو هريرة : أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك .

فضيلة الخشوع : قال الله تعالى ( وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ) ، وقال

Marifat.com

عليه الصلاة والسلام « إنَّمَا الصَّلاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَأَسُّفٌ وَنَدَمٌ » ، وتضع يديك فتقول : اللهمّ اللهمّ ، فمن لم يفعل فهى خداج خداج . وقال عليه الصلاة والسلام « إذَا صَلَّيْتَ صَلاةً فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ » أى مودّع لنفسه ، مودّع لهواه ، سائر إلى مولاه . وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إلاَّ بُعْدًا » . واعلم أن الصلاة مناجاة، فكيف تمكن مع غفلة ؟ وقال عليه الصلاة والسلام « لايَنْظُرُ اللهُ إلى صَلاةٍ لَمْ يُحْضِرِ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ بَدَنِهِ » . وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا قام إلى الصلاة سمع وجيب قلبه من ميلين .

فضيلة بناء المسجد : قال عليه الصلاة والسلام « مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لله ، وَلَوْ كَمِفْحَصِ قَطَاةٍ ، بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الجَنَّةِ » ، وقال تعالى : « إن بيوتى فى أرضى المساجدُ ، وإن زوّارى فيها سكانها وعمّارُها ، فطوبى لعبد تطهّر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحقّ على المزور أن يُكرِمَ زائره » . وقال عليه الصلاة والسلام« إذَا رأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَخْتارُ المَسْجِدَ ، فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمَانِ » قال أنس : من أسرج سراجا فى المسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد ضوء .

## فصل : فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث والقلب والمكان، ومن ستر العورة من السرّة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ، ويراوح بين قدميه ، ولا يضمهما البتة ، فانه عليه الصلاة والسلام نهى عن الصفن والصفد فى الصلاة، والصفد هو إقران القدمين معا، ومنه قوله تعالى (مُقَرَّنِينَ

Marfat.com

فى الأصْفادِ ) والصفن : هو رفع إحدى الرجلين ؛ ومنه قوله عزّ وجلّ ( إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيّ الصَّافِناتُ الجِيادُ ) ، ويطرق رأسه ويقصر بصره على مصلاه ، ويحضر النية ، ولا بأس بقراءة (قُلْ أعُوذُ بربّ النَّاسِ) تحصنا بها من الشيطان ، وينوى فى الظهر مثلا ، ويقول بقلبه أؤدى فرض الظهر لله ليميز بقوله أؤدى عن القضاء ، وبقوله الظهر عن العصر ، وبالفرض عن النفل ، ويجتهد فى استدامة ذلك إلى آخر التكبير ، ويحاذى بكفّيه منكبيه وبابهاميه شحمة أُذنيه ، وبرءوس أصابعه أذنيه : فذلك جمع بين الأخبار الواردة ولا يتكلف فى أصابعه ضما ولا تفريجا ، ويكبر مع حضور النية كما سبق ، ويرسل يديه مع التكبير ، ويضع اليمنى على اليسرى فوق السرّة وتحت الصدر . وتكون اليمنى كالمحمولة ، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول ساعد اليسرى ، ويقبض بالبنصر والخنصر على كوع اليسار ، ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح ، وحسن أن يقول عقيب قوله الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا . وسبُحان الله بُكرة وأصيلا ، ثم (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ، إلى قوله : وَمَا أنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ) ثم يقول : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرُك ؛ ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويبتدئ بقراءة الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ، ويجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء . ويقول آمين ، ويمدّها ، ولا يصل آمين بقوله : ولا الضالين ، ويقرأ فى الصبح بطوال المفصل ، وفى المغرب بقصاره ، وفى الباقى من الصلوات نحو : والسما والطارق ، ونحو : والسماء ذات البروج وما قاربها ، وفى الصبح فى السفر قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية .

الركوع : ثم يركع فيراعى فيه أمورًا : أن يكبر للركوع ، وأن يرفع يد

مع تكبيرة الركوع ، ويمدّ التكبير مدّا إلى الانتهاء إلى الركوع ، ويضع راحتيه على ركبتيه ، وأصابعه منشورة على طول الساق ، وينصب ركبتيه ، ويمدّ ظهره مستويا ، فيكون عنقه وظهره ورأسه كالصفيحة الواحدة ، وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه ، بخلاف المرأة ، ويسبح ثلاثا ، والزيادة حسن للمنفرد ، ثم يرتفع إلى القيام وينتصب قائما قائلا : سمع الله لمن حمده ، ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ؛ ولا يطوّل هذا القيام إلا فى صلاة الصبح للقنوت .

السجود : ثم يهوى إلى السجود مكبرًا مادًّا تكبيره إلى الانتهاء إلى السجود ، فيضع ركبتيه وجبهته ، ويضع كفّيه مكشوفتين على الأرض ، ويضع أوّلا ركبتيه ، ثم يديه ، ثم يضع أنفه مع جبهته ، ويجافى مرفقيه عن جنبيه ، بخلاف المرأة ، ويفرج بين رجليه ، ولا تفعل المرأة ذلك ، ويكون مخويا ، ولا تكون المرأة مخوية ، ويضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ، ولا يفرج بين الأصابع ، ولا يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب ، فإنه نُهى عنه ، ويقول : سبحان ربى الأعلى ثلاثا ، ولا بأس بالزيادة للمنفرد ، يرفع رأسه من السجود مكبرًا ، فيطمئنّ جالسا على رجله اليسرى ، وينصب قدمه اليمنى ، ويضع يديه على فخذيه ، ولا يتكلف ضمّ الأصابع ، ويقول : ربّ اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى وعافنى واعف عنى ، ويأتى بالسجدة الثانية كما سبق ، ويستوى منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة ، ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ، ولا يقدّم إحدى رجليه ، ويمدّ التكبير إلى انتهاء القيام .

التشهد : ثم يتشهد فى الركعة الثانية ، وفى التشهد الأوّل يجلس على الرجل اليسرى ويصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ويكون أصابعه اليمنى مقبوضة إلا المسبحة ، فيشير بها عند قوله : لا إله إلا الله ؛ وفى التشهد الأخير يستكمل

Marfat.com

الدعاء المأثور ويجلس على وركه الأيسر ويقول عند الفراغ : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ويلتفت يمينا بحيث يرى خدّه ، وكذلك يفعل شمالا ، وينوى الخروج من الصلاة بالسلام ، وينوى السلام على من عن يمينه ، وعن يساره من الملائكة والمسلمين ، ولا يمدّ السلام .

تمييز الفرائض والسنن : الفرض من جملة ما ذكرناه اثنا عشر : النية ، وقول الله أكبر ، والقيام ، والفاتحة ، والانحناء فى الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما ، والسجود مع الطمأنينة ، والاعتدال عنه قاعدا ، والجلوس للتشهد الأخير ، والتشهد الأخير ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام الأوّل .

## فصل : فى الشروط الباطنة من أعمال القلب

فمنها : الخشوع ، قال تعالى ( أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى ) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كَمْ مِنْ قائمٍ حَظُّهُ مِنَ الصَّلاةِ التَّعَبُ والنَّصَبُ »

واعلم أن الصلاة إنما هى ذكر وقراءة ومناجاة ومحاورة ، وذلك لايكون إلا بحضور القلب وتمامه يحصل بالتفهيم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء . وعلى الجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية وحصل الحضور ، فاذا سمعت الأذان ينبغى أن تستحضر القلب هولَ النداء يوم القيامة ، وتتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء ، هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فان وجدت قلبك مملوءًا بالفرح والاستبشار مشغوفا إلى الابتدار ، فسيكون مثل ذلك فى ذلك النداء ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « أرِحْنا بِها يابِلالُ » إذ كانت قرّة عينه فى الصلاة ، فالطهارة طهارة السرّ

سوى الله ، فبها تم هذه الصلاة ؛ فانك إن سترت العورة بالثياب ، فما الذى يستر عورتك فى الباطن عن الله ، فتأدب بين يدى الله ، واعلم أنه يطلع عليك على سرك ، فتواضع بظاهرك وباطنك ، وانظر لو قمت بين يدى الملك كيف تكون ، ولا نسبة بينه تعالى وتقدس وبين الملوك ، الكل عبيده ، فاذا فعلت ذلك فلا تكون كاذبا فى قولك : (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ) ، وفى قولك (حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ، وقولك (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ) فانظر فلا ينبغى أن يكون هذا كذبا فيكون سبب هلاكك ، وينبغى أن تذكر كبرياء الله وعظمته عند ركوعك وسجودك ، وتعلم ذلك بصغارك والله برحمته أهلك لمناجاته ، فلا أقل من التأدب والحضور بقلبك بين يديه ، قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ تَعالى مُقْبِلٌ على المُصَلِّى ما لَمْ يَلْتَفِتْ ، فاحْفَظْ ظاهِرَكَ وباطِنَكَ عَنِ الالْتِفاتِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « إِنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّى وَلا يُكْتَبُ لَهُ مِنْ صَلاتِهِ نِصْفُها وَلا ثُلُثُها وَلا رُبُعُها وَلا خُمُسُها وَلا سُدُسُها وَلا عُشْرُها ، إنَّمَا يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلاتِهِ ما عَقَلَ مِنْها » . وقال بعضهم : إن العبد يسجد السجدة ، وعنده أنه تقرب بها إلى الله تعالى ، ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : يكون ساجداً عند الله تعالى وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه .

## فصل : فى القدوة والإمامة

قال عليه الصلاة والسلام « الأَئِمَّةُ ضُمَنَاءُ » ولا ينبغى أن يتقدم على قوم يكرهونه ، وما دام يقدم المزيد على اختيار الأذان لايختار الإمامة ، فانه أسلم ، والأصح أن الإمامة أفضل لمن يستقل بأعبائها ، ولذلك داوم عليه

Marfat.com

الصلاة والسلام عليها . وينبغى أن يراعى أوقات الصلاة ، فيصلى فى أوائل الأوقات ، فأوّل الوقت رضوان الله وآخره عفو الله ، ورضوان الله أولى من عفو الله . وينبغى له أن يكون له ثلاث سكتات ، هكذا نقل عنه صلى الله عليه وسلم . أولها عند الإسرار بدعاء الاستفتاح ، وهى الأولى . والثانية بعد قراءة الفاتحة وقبل افتتاح السورة ، وهى نصف الأولى . والثالثة بعد الفراغ من السورة وقبل الهوىّ للركوع ، وهى أخفها . ولا ينبغى أن يسابق المأموم الإمام ، بل لايهوى للركوع ما لم يستقرّ الإمام فى الركوع ، وهكذا فى جميع الأركان ، وقيل : إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام : طائفة بخمس وعشرين صلاة ، وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه . وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام . وقد اختلفوا فى أن الإمام هل ينتظر فى ركوعه لحوق من دخل لينال فضل الجماعة ، ولعلّ الأولى أنه لابأس به مع الإخلاص إذا لم يظهر تفاوت ظاهر ، ويقول فى قنوت صلاة الصبح : اللهمّ اهدنا والقوم يؤمنون ، إلى قوله : إنك تقضى ولا يُقضى عليك ، فإذا انتهى إليه ، فالقوم يوافقونه سرّا فى القراءة ، أو يقولون أشهد .

## فصل : فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وفرائضها

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم « مَنْ تَرَكَ الجُمُعَةَ ثَلاثا مِنْ غير عُذْرٍ طُبِـعَ على قَلْبِـهِ » . وفى لفظ آخر « نَبَذَ الإسْلامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ » وفى حديث أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتانى جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وفِى كَفِّهِ مِرآةٌ بَيْضَاءُ ، وَقَالَ هَذِه الجُمُعَةُ يَفْرِضُها عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيداً ، و لأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ .

قُلْتُ : فَمَا لَنَا فيها ؟ قالَ لَكُمْ فيها خَيْرٌ ، ساعةٌ مَنْ دَعا فيها بخَيْرٍ قُسِمَ لَهُ ، أعْطاهُ اللهُ سُبْحانَهُ إيَّاهُ ، أوْ لَيْسَ لَهُ قُسِمَ ذُخِرَ لَهُ ما هُوَ أعْظَمُ مِنْهُ ، وَهُوَ سَيِّدُ الأيَّامِ عِنْدَنا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الآخِرَةِ يَوْمَ المَزِيدِ ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قال : إنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ وَادِيًا فِى الجَنَّةِ أفْيَحَ مِنَ المِسْكِ الأبْيَضِ ، فإذَا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ على كُرْسِيِّهِ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ حتى يَنْظُرُوا إلى وَجْهِهِ » . واعلم أنها لاتنعقد إلا بأربعين ذكرا مكلفين أحرارا مقيمين ، لايظعنون عنه شتاء ولا صيفا. وينبغي أن لاتكون الجمعة مسبوقة بأخرى إلا فى بلدة كبيرة ، ظنّ تعذّر اجتماع الناس فى جامع واحد، فيجوز اثنان وثلاثة بقدر الحاجة. والخطبتان فيها فريضتان . والقيام فيهما فريضة . والجلسة بينهما فريضة وفى الأولى أربع فرائض : التحميد وأقله الحمد لله . والثانية الصلاة على رسول الله . والثالثة : الوصية بتقوى الله . والرابعة قراءة آية من القرآن. وكذلك الثانية فرائضها أربعة ، إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القرآن . واستماع الخطبتين واجب من الأربعين . وأما السنن فإذا زالت الشمس وأذّن المؤذّن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة ، سوى التحية والكلام لاينقطع إلا بافتتاح الخطبة ، ويستحبّ فيه الثياب البيض والطيب والغسل والبكور مستحبّ ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم « مَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولى فَكَأنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِى السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأنَّمَا قَرَّبَ دَجاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخامِسَةِ فَكَأنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فإذَا خَرَجَ الإمامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ ، وَرُفِعَتِ الأقْلامُ ، وَاجْتَمَعَتِ المَلائِكَةُ عِنْدَ المِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ

الذِّكْرَ ، فَمَنْ جاءَ بَعْدَ ذلكَ فإنَّمَا جاءَ لِحَقِّ الصَّلاةِ لَيْسَ لَهُ مِنَ الفَضْلِ شَيْءٌ » .

تفصيل الساعات : الساعة الأولى إلى طلوع الشمس . والثانية إلى ارتفاعها . والثالثة إلى انبساطها . والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال . وينبغي أن لايتخطى رقاب الناس ، ولا يمرّ بين أيديهم ، ويجلس بحيث لايمرّ أحد بين يديه ، ويطلب الصفّ الأول ، فإذا فرغ من الصلاة ، فيذكر الله كثيرا ، ويحسن مراقبة الساعة التى فى يوم الجمعة ، ويكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عليه الصلاة والسلام « أكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَىَّ فِي اللَّيلَةِ الغَرَّاءِ واليَوْمِ الأزْهَرِ » يعنى يوم الجمعة وليلتها . ويستحبّ الصدقة فى هذا اليوم خاصة . ويستحبّ أن لايجلس إذا دخل المسجد حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهنّ مئتى مرّة : قل هو الله أحد ، وإن قدر على أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فلا يشتغل فيه بشىء من أشغال الدنيا ، فمن فعل فإنها كفّارة لما بين الجمعتين . وروى أن من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه ويحرم بعد طلوع الفجر إلا إذا كانت الرفقة تفوت .

## فصل : فى النوافل

ولا ينبغى أن يترك النوافل ، فهى جوابر للفرائض والفرض رأس المال ، والنوافل بمنزلة الربح ، ولا يترك الرواتب كما عرف ، ولا يترك صلاة الضحى ، وهى ركعتان أو أربعة أو زيادة ، ولا يترك التهجد وإحياء ما بين العشاءين وركعتى الصبح ، فإنهما خير من الدنيا وما فيها ، ويدخل وقتهما بطلوع الصبح الصادق ، وهو المستطير دون المستطيل .

Marfat.com

## فصل : فى صلاة العيدين

وصلاة العيدين سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين ويراعى فيه عدّة أمور الأوّل التكبير ثلاثا نسقا ، فيقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ؛ ويفتتح التكبير ليلة الفطر إلى الشروع فى صلاة العيد ، وتكبير يوم النحر ، ويفتتح عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر فى أكمل الأقوال ، ويكبر عقيب الصلاة المفروضة . وقيل : عقيب النوافل أيضا . ويستحبّ الغسل والتزين عند الخروج . ويستحبّ إخراج الصبيان والعجائز ، ويستحبّ أن يخرج من طريق ويرجع من طريق . ويستحبّ الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس إلا بعذر المطر ، ووقت الصلاة فيه ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين إلى آخر يوم الثالث عشر . ويستحبّ تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح ، وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها ، وليخرج الناس مكبرين ، وإذا بلغ الإمام المصلى لايجلس ولا يتنفل وغيره يفعل ، ويقطع الناس التنفل ، وينادى مناد : الصلاة جامعة ، ويصلى الإمام ركعتين يكبر فى الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات ، ويقول بين كلّ تكبيرتين : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ويقول : وجّهت وجهى عقيب تكبيرة الافتتاح ويقرأ ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ، ويقرأ قٓ ، واقتربت الساعة ، والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمسة ، ويخطب بعد الصلاة خطبتين بينهما جلسة ؛ ومن فاتته صلاة العيد قضاها ، فاذا فرغ من الصلاة يستعجل بالتضحية « وقد

Marfat.com

ضَحَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بكَبْشٍ وَقالَ : بِسْمِ اللهِ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، هذَا عَنِّى وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِى » ، وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ رَأَى هِلالَ ذِى الحِجَّةِ وأَرَادَ أَنْ يُضَحِّىَ فَلا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعَرِهِ وَلا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا » .

## فصل : فى صلاة الكسوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ ، فإِذَا رأَيْتُمْ ذلكَ فافْزَعُوا إِلى ذِكْرِ اللهِ ، وَإِلى الصَّلاةِ ، فإذَا خَسَفَ الشَّمْسُ والقَمَرُ ، نُودِىَ : الصَّلاةُ جامِعَةٌ » ويصلى الإمام بالناس فى المسجد ركعتين ، فيركع فى كلّ ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ويجهر ، ويستحبّ أن يمدّ الصلاة إلى انكشافهما .

## فصل : فى صلاة الاستسقاء

فيأمر الإمام الناس بصيام ثلاثة أيام ، وما استطاعوا من الصدقة والتوبة والخروج من المظالم ، ثم يخرج بهم اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين ، بخلاف صلاة العيد ، ويصلى بهم ركعتين مثل صلاة العيد سواء ، ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ، وليكن الاستغفار معظم الخطبتين . وينبغى فى الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحوّل رداءه فى هذه الحالة تفاؤلا بتحويل الحال ، هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيجعل أعلاه أسفله ، وما على اليمين على اليسار ، وما على الشمال على اليمين ، وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الحالة ، وفى هذه

Marfat.com

الساعة سرًا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ، ويدعون أرديتهم محوّلة كما هى ، حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ، ويقول : اللَّهُمَّ كَمَا أَمَرْتَنا بِدُعائِكَ وَعَدْتَنا بإجابَتِكَ ، فَقَدْ دَعَوْناكَ كَمَا أَمَرْتَنا ، فأجبْنا كما وَعَدْتَنا. اللَّهُمَّ فامْنُنْ عَلَيْنا بِمَغْفِرَةِ ما قارَفْنا ، وإجابَتِكَ فى سُقْيانا وَسَعَةِ رِزْقِنا بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » .

## الباب الخامس

### فى أسرار الزكاة

قال الله تعالى ( وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ، وَلا يُنْفِقُونَها فى سَبِيلِ اللهِ ) الآية . والمراد به منع الزكاة ، والزكاة إحدى مبانى الإسلام ، وإحدى أركانه الخمس . وقال أبو ذرّ « انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظلّ الكعبة ، فلما رآنى قال عليه الصلاة والسلام : الأكْثَرُونَ هُمُ الأخْسَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، قلت : من هم ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الأكْثَرُونَ أمْوَالاً إلاَّ مَنْ قالَ هَكَذا وهَكَذا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ ، وَقَلِيلٌ ما هُمْ ، ما مِنْ صَاحِبِ إبِلٍ وَلا بَقَرٍ وَلا غَنَمٍ لا يُؤَدِّى زَكاتَها إلاَّ جاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ أعْظَمَ ما كانَتْ وأسْمَنَها ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها ، وَتَطَؤُهُ بأظْلافِها ، كُلَّما نَفِدَتْ أُخْرَاها عادَتْ إلَيْهِ أُولاها حتى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وهذا الحديث فى الصحيحين مخرّج ، والله أعلم .

Marfat.com

## فصــل

وأسباب وجوب الزكاة باعتبار متعلقاتها ستة : زكاة النعم ، والنقدين والتجارة ، وزكاة الركاز والمعادن ، وزكاة المعشرات ، وزكاة الفطر .

( الأول : زكاة النعم ) ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حرّ مسلم ولا يشترط البلوغ فتجب فى مال الصبىّ والمجنون .

وأما المال : فشروطه خمسة : أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال ، فالأوّل أن يكون نعما فلا زكاة إلا فى الإبل والبقر ، والغنم .

وأما المتولد من الشاء والظباء والخيل والحمير ، فلا زكاة فيها . الثانى : السوم ، فلا زكاة فى معلوفة . وينبغى أن يكون نصابا كاملا .

أما الإبل فلا شىء فيها حتى تبلغ خمسا ، وفيها شاة جذعة من الضأن، وهى التى تكون فى السنة الثانية ، أو ثنية من المعز ، وهى التى تكون . فى السنة الثالثة وفى عشر شاتان ، وفى خمسة عشر ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين بنت مخاض ، وهى التى فى السنة الثانية ، فإن لم تكن فى ماله ، فابن لبون ذكر ، وهو الذى فى السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شرائها ، وفى ستّ وثلاثين بنت لبون ، ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة ، وهى التى فى السنة الرابعة ، فاذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة، وهى التى فى السنة الخامسة ، فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون ، فاذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان ، فاذا صارت إحدى وعشرين ومئة ففيها ثلاث بنات لبون ، فاذا صارت مئة وثلاثين فقد استقرّ الحساب ، فى كلّ أربعين بنت لبون وفى كلّ خمسين حقة .

Marfat.com

وأما البقر : فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ، ففيها تبيع ، وهو الذى طعن فى السنة الثانية ، ثم فى أربعين مسنة ، وهى التى طعنت فى السنة الثالثة ، ثم فى الستين تبيعان ، واستقرّ الحساب ، فنى كلّ أربعين مسنة ، وفى كلّ ثلاثين تبيع ، والله أعلم .

وأما الغنم : فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ، ثم لاشيء فيها حتى تبلغ مئة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مئتين وواحدة ، ففيها ثلاث شياه إلى أربع مئة ففيها أربع شياه ، ثم استقرّ الحساب ، فنى كل مئة شاة ، وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصب شرط الخلطة أن يكونا فى جميع الأحوال معا ، وخلطة الجوار كالشيوع .

أما المعشرات : فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمان مئة منّ .

وأما زكاة النقدين : فاذاتمّ الحول على مئتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم . وأما نصاب الذهب فعشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر ، وما زاد فى الذهب والفضة ولو دانقا فبحسابه . وتجب الزكاة فى التبر والحلىّ المحظور ، ولا زكاة فى شيء من المعادن إلا فى الذهب والفضة ففيها بعد الحفر والتحصيل ، وبعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصحّ القولين ، وهل يعتبر النصاب ، وفى الحول قولان ، وفى قول يجب الخمس ، فعلى هذا لايتعين الحول ، وفى النصاب قولان .

وأما صدقة الفطر : فهى واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته ، وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو منوان وثلثا منّ يخرجه من جنس قوته أو أفضل منه ، وقسمتها كقسمة زكاة الأموال ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم « أدُّوا زَكاةَ الفِطْرِ عَمَّنْ تَمُونُونَ » .

Marfat.com

## فصل : فى أداء الزكاة وشرائطه

فأول الشرائط : النية ، وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفطر ، ونية الولىّ تقوم مقام نية المجنون والصبىّ ، ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع . ولا ينبغى أن يؤخر زكاة الفطر عن يوم الفطر ، ويدخل وقتها بغروب الشمس آخر يوم من شهر رمضان ، ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ؛ ومن أخّر زكاة ماله مع التمكُّن عصى ، ولاتسقط عنه بتلف ماله ، والتمكن بمصادفة المستحقّ ، فإن لم يصادف وتلف ماله سقط . وينبغى أن يقسم ماله بين الأصناف الموجودين فى بلده ويستوعبهم ، وقد عدم من الأصناف الثمانية صنفان فى أكثر البلاد ، وهم المؤلَّفة قلوبهم ، والعاملون على الزكاة ، ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء ، والمساكين ، والغارمون ، والمسافرون وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض ، وهم الغزاة ، والمكاتبون ، فما صادف من الأصناف فى بلده قسم مال الزكاة بعددهم فما خصّ كل واحد من الأصناف صرفه إلى ثلاثة أنفار منهم فصاعدا ، ولا تجب التسوية فى هذا التفريق بين آحاد الصنف الواحد ، وإذا قدر على إعطاء الزكاة لمن تحلى بخصال الخير لقبض الزكاة ، فالأولى أن يفعل ذلك ، وذلك أن يكون ورعا عالما مستور الحال ، وأن يكون من أقاربه ، فكل من وجد فيه هذه الخصال كان أقرب إلى القبول ، والله أعلم .

## فصل : فى القابضين للزكاة

ولا يستحقّ إلا حرّ مسلم ليس بهاشمىّ ولا مطلبىّ ، ويجوز الصرف للصبىّ

والمجنون بشرط أن يقبض عنهما الولىّ . وبيان الأصناف الثمانية : الأول الفقير هو من ليس له مال ولا قدرة على الكسب . والثانى المسكين ، وهو الذى لا يفى دخله بخرجه . الثالث السعاة ، وهم الذين يجمعون مال الزكاة . الرابع هم المؤلّفة قلوبهم وهو الشريف الذى أسلم ، وهو مطاع فى قومه ، وفى إعطائه ترغيب لقومه فى الإسلام . الخامس المكاتب ، ويجوز دفع سهمه إليه وإلى سيده ، والسيد لايدفع زكاته إلى مكاتب نفسه . السادس الغارمون ، وهو من عليه قرض استقرضه لمباح ، وهو فقير لايملك مايؤدّى به الدين ، فان استقرضه لمعصية لايعطى مالم يتب ، وإن كان غنيا ولكن استقرضه لمصلحة أو إطفاء فتنة جاز أن يعطى . السابع الغزاة ، وهم الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة ، يصرف إليهم سهمهم وإن كانوا أغنياء . الثامن ابن السبيل ، وهو المسافر الذى ليس معه مال حاضر يصرفه فى مآربه لسفره ، هذا إذا كان السفر مباحا ، ويعتمد على قوله فى دعوى الفقر والمسكنة والسفر والغزو ، ويستردّ من الغازى والمسافر إذا لم يف بما وعد وما وراءه من الأصناف لابدّ فيها من البينة ، والله أعلم .

## فصل : فى صدقة التطوع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « ما أحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ إلاَّ أحْسَنَ اللهُ الخلافَةَ على ذُرِّيَّتِهِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بابا مِنَ الشَّرِّ » ، « وسئل صلى الله عليه وسلم : أىُّ الصَّدَقَةِ أفْضَلُ ؟ فقال : أنْ تَصَدَّقَ وأنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تأمُلُ البَقاءَ وتَخْشى الفَقْرَ ، ولا تُمْهِلْ حتى إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ



Marfat.com

قُلْتَ لِفُلانٍ كَذَا ، وَلِفُلانٍ كَذَا » ، ولا بأس بالإخفاء والإظهار على حسب ما شاء . وكان إبراهيم الخوّاص والجنيد رضى الله عنهما يرون أن أخذ الصدقة أفضل من الزكاة ، لأن فيها مزاحمة الفقراء ، ولأن لها شرائط كثيرة وربما لايكون تمامها موجودا فى الآخذ . وذهب بعضهم إلى أن أخذ الزكاة أولى . فان فيه إعانة على أداء الواجب ، وفيه أيضا كسرٌ للنفس ومذلة ، والأمر فى ذلك على الجملة متقارب فافهم تغنم ، والله أعلم .

## الباب السادس
## فى أسرار الصيام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حكاية عن ربه عزّ وجلّ « كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إلاَّ الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِى وأنا أَجْزِى بِهِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ يَقُولُ اللهُ تَعالى : إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِى . فالصيامُ لِى وأنا أَجْزِى بِهِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « إنَّ الشَّيْطانَ لَيَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالجُوعِ » وَلِذلكَ قَالَ لِعائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : « دَاوِمِى قَرْعَ بابِ الجَنَّةِ ، قالَتْ بِماذا ؟ قالَ : بِالجُوعِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « لَوْلا أنَّ الشَّياطِينَ يَحُومُونَ على قُلُوبِ بَنِى آدَمَ لَنَظَرُوا إلى مَلَكُوتِ السَّماءِ » فالصوم يُعين على كسر الشهوات ، وسيأتى فى باب كسر الشهوتين .

## فصـــل

اعلم أنه يثبت هلال شهر رمضان بقول عدل واحد ، ولا يثبت هلال
وّال إلا بقول عدلين ، وسواء قضى به القاضى أو لم يقض ، فكلّ يعمل
لبة ظنه . ويجب التبييت ، وهو أن ينوى بالليل . ويجب أن ينوى فريضة
وم شهر رمضان ، ولو نوى ليلة الشكّ أن أصوم إن كان من رمضان لم يجزه .
لصوم : هو الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف فيفسد بالأكل والشرب
لسعوط والحقنة ، ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال ، وإدخال ميل
الإحليل والأذن ، إلا أن يقطر فيه ما يبلغ إلى المثانة ، وما يكون من غير
د كغبار الطريق ، وسبق ذبابة إلى جوفه ، وفى المضمضة والاستنشاق
طر مالم يبالغ ؛ وإن أكل فى طرف النهار على ظنّ أنه ليل فتبين أنه نهار
صومه ، فإن أكل أو شرب أو جامع ناسيا لم يفطر ، والاستقاء يفسد
وم ، وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه ، وإن اقتلع نخامة من صدره أو حلقه
سد صومه رخصة لعموم البلوى ، ولا تجب الكفّارة إلا بالجماع ، ولا
بالاستمناء والأكل والشرب ، والكفارة عتق رقبة ، فإن لم يجد فصوم
رين ، فإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدّا مدّا .

## فصـــل

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم : فهو كفّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وأما صوم الخصوص : فهو كفّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص :

Marfat.com

فصوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيرية ،وكفه عما سوى الله بالكلية ، ويحصل الفطر فى كل صوم بما نهى عنه فى الصوم ، قال صلى الله عليه وسلم « خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ : الكَذِبُ ، والغِيبَةُ ، والنَّمِيمَةُ واليَمِينُ الكاذِبَةُ ، والنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ » فحفظ الجوارح عن المعاصى لابد منه فى صوم الخواصّ .

## فصـــل

وينبغى أن لايستكثر من الطعام الحلال ، فما ملئ وعاء أبغض إلى تعالى من المعدة. وينبغى أن يكون قلبه مضطربا بين الرجاء والخوف ، أقُبِل صيامه أم كان نصيبه منه الجوع أو العطش والنصب ، قيل : ربّ امرئ كان نصيبه من صومه الجوع والنصب ، إذ المقصود من الصوم الكفّ عن الشهوات وليس ذلك مقصورا على الامتناع عن تناول الطعام والشراب ، فلعله أقدم على نظر أو غيبة أو نميمة أو كذب ، فكل ذلك مفطرات للصائم .

## فصل : فى التطوع بالصيام

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد بالأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة ، وبعضها فى كل شهر ، وبعضها فى كلّ أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان ، فيوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرّم ، وجميع الأشهر الحرم مظانّ الصوم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من صوم شعبان حتى يظنّ أنه من رمضان ، وفى الخبر « أفْضَلُ الصِّيامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام « صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ ثَلاثِينَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَصَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ ثَلاثِينَ يَوْماً مِنْ

صَوْمِ غيرِهِ ، وَمَنْ صَامَ الخَمِيسَ والجُمُعَةَ والسَّبْت مِنَ الأشْهرِ الحُرُمِ كَتَبَ اللهُ لَهُ عِبادَةَ سَبْعِ مِئَةِ عامٍ » . والأشهر الفاضلة : ذو الحجة ، والمحرّم ، ورجب وشعبان . والأشهر الحرم : ذو القعدة ، ذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ؛ واحد فرد ،وثلاثة سرد . وأما ما يتكرّر في الشهر ، فأوّل الشهر وأوسطه ، وهو الأيام البيض وآخره ، والأيام البيض الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر . وأما ما يتكرّر فى الأسبوع : الاثنين ، والخميس ، والجمعة . وصوم الدهر شامل للكلّ ، ولكن اختلفوا في كراهيته . وقال صلى الله عليه وسلم « أفْضَلُ الصّيامِ صَوْمُ أخِي دَاوُدَ » لعلّ الإشارة إليه بقوله صلى الله عليه وسلم«عُرِضَتْ عليَّ مفاتيحُ خزائِنِ الدُّنْيا وكُنُوزُ الأرْضِ فرَدَدْتُها ، وَقُلْتُ أجُوعُ يَوْما وأشْبَعُ يَوْما ، أحْمَدُكَ إذَا شَبِعْتُ ، وأتَضَرَّعُ إلَيْكَ إذَا جُعْتُ » . وقد رُوى عليه الصلاة والسلام ماصام شهرًا كاملا قطّ إلا رمضان .

## الباب السابع

### فى أسرار الحج وما فيه

وقد أنزل الله تعالى فى الحَجّ ( اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ) الآية . وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ ماتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إنْ شاءَ يَهودِيًّا ، وإنْ شاءَ نَصْرَانِيًّا » .

### فصل : فى فضيلة الحج وفضيلة مكة والمدينة وبيت المقدس ، وشدّ الرحال إلى المشاهد

قال الله تعالى ( وأذّن فِي النَّاسِ بالحَجّ يَأْتُوكَ رِجالاً ) الآية . وقال

Marfat.com

عليه الصلاة والسلام « ما رُؤِيَ الشَّيْطانُ فى يَوْمٍ أصْغَرَ وَلا أدْحَرَ وَلا أحْقَرَ وَلا أغْيَظَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ » . وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حاجا أوْ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ كانَ لَهُ أجْرُ الحاجّ المُعْتَمِرِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » . قال بعض السلف : إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة ، غُفِر لأهل عرفة كلهم ، وهو أفضل يوم فى الدنيا ، وفيه حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وكان واقفا إذ نزلت عليه هذه الآية ( اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ) قال أهل الكتاب : لو أُنزلت علينا هذه الآية لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر رضى الله عنه : أشْهَدُ لَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي يَوْمِ عِيدَيْنِ اثْنَيْنِ ، فى يَوْمِ عَرَفَة، وَيَوْمِ جُمُعَةٍ عَلى رَسول الله صلى الله عليه وسلّم وَهُوَ وَاقِفٌ بعَرَفَةَ . وقال عليه الصلاة والسلام : « اللّهُمَّ اغْفِرْ للحاجّ ، ولِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الحاجُّ » . ورُوِيَ أن علىّ بن موفَّق حجّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجَجا ، قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى يا ابن المُوَفَّق حَجَجْتَ عَنّى ؟ قلت نعم ، قال : ولَبَّيْتَ عَنّى ؟ قلت نعم ، قال : فانى أكافِئُكَ بها يَوْمَ القِيامَة ، وآخُذُ بِيَدِكَ فِي المَوْقِفِ فَأُدْخِلُكَ الجَنَّةَ والخَلائِقُ فى كَرْبِ الحساب .

## فضيلة البيت ومكة

قال عليه الصلاة والسلام « إنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَ البَيْتَ أنْ يَحُجَّهُ فى كُلِّ سَنَةٍ سِتّ مِئَةِ ألْفٍ ، فإنْ نَقَصُوا أكْمَلَهُمُ اللهُ تعالى بمَلائكَة ، وَإنَّ الكَعْبَةَ تُحْشَرُ يَوْمَ القِيامَةِ كالعَرُوسِ إلى المَوْقِفِ، وكُلُّ مَنْ حَجَّها مُتَعَلِّقٌ بأستارِها ، يَسْعَوْنَ حَوْلَها يوم القيامة حتى

تدخل الجنة ، فيدخلون معها » . وفي الخبر : « إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ، وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به ، يشهد لمن استلمه بحق وصدق » . وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا ، وقبله عمر رضي الله عنه وقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، ثم بكى ، فالتفت فرأى عليا وراءه ، فقال له علي : لا تقل كذا ، فقال : يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات ، فقال علي : يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع ، قال وكيف ؟ قال : إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر ، فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ، ويشهد على الكفار بالجحود . قيل : فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك . وروي عن الحسن البصري أن صوم يوم في مكة بمئة ألف ، وصدقة درهم بمئة ألف ، وكذا كل حسنة بمئة ألف . وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم آتي أهل مكة فأحشرهم بين الحرمين » ويقال : لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض ، فيصبح الناس فيرون قد رفعت الكعبة لا يرى لها أثر ، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني والأخبار الجاهلية ،

Marfat.com

ثم يخرج الدجال ، وينزل عيسى فيقتله ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرّب يتوقع ولادتها .

## فضيلة المقام بمكة وكراهيته

كرهه بعضهم خوفا من السآمة ، وكذلك قال الإمام عمر رضى الله عنه خشية أن يأنس الناس بهذا البيت ، وكان يصرف الحاج إذا حجوا ويقول : يا أهل اليمن يمنكم ، ويا أهل الشام شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم . وقيل أيضا : تهييج الشوق لينبعث عند المفارقة داعية العود . وقال تعالى ( مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأمْنا ) وقيل : للخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، وذلك محظور ، ويدلّ على فضيلة المقام لمن يقدر على الوفاء بحقّها ، أنه عليه الصلاة والسلام لما عاد إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنَّكِ لَخَيْرُ أرْضِ اللهِ وأحَبُّ بِلادِ اللهِ ، ولَوْلا أنّى أُخْرِجْتُ مِنْكِ ما خَرَجْتُ مِنْكِ » .

## فضيلة المدينة

وما بعد مكة بقعة أفضل من المدينة ، قال عليه الصلاة والسلام « صَلاةٌ فى مَسْجِدِى هذَا خَيْرٌ مِنْ ألْفِ صَلاةٍ فيما سِوَاهُ إلاَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ » . وبعد المدينة الأرض المقدسة ، قال صلى الله عليه وسلم « الصَّلاةُ فيها بِخَمْسِ مِئَةٍ » . ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنه ، أنه عليه الصلاة والسلام قال « صَلاةٌ فِى مَسْجِدِ المَدِينَةِ بعَشَرَةِ آلافِ صَلاةٍ وصَلاةٌ فى المَسْجِدِ الأقْصَى بألْفِ صَلاةٍ ، والصَّلاةُ فى المَسْجِدِ الحَرَامِ بِمِئَةِ ألْفِ صَلاةٍ » .

## فصل : فى شروط وجوب الحج وصحته وأركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط المصححة له ، فهو الوقت والإسلام ، فيصحّ حجّ الصبىّ المميز ، ويحرم بنفسه ، ويحرم الولىّ عنه إذا لم يكن مميزا ، ويفعل به ما يفعل بنفسه . ووقت الإحرام هو شوّال وذو القعدة ، وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، ومن أحرم بالحجّ فى غير هذا الوقت فهى عمرة ، إذ جميع السنة وقت العمرة ، وشروط وقوعه عن حجة الإسلام خمسة : الحرية ، والإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والوقت . فان أحرم الصبىّ أو العبد ، ولكن عتق العبد وبلغ الصبىّ بعرفة أو بالمزدلفة ، فعادا إلى عرفة قبل طلوع الفجر يوم النحر أجزأهما عن حجة الإسلام ، لأن الحجّ عرفة . وليس عليهما دم الإساءة ، وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض حجّ الإسلام إلا الوقت . وأما الشرط فى وقوع الحجّ نفلا عن الحرّ البالغ فبراءة ذمته عن حجة الإسلام ، فحجة الإسلام متقدّم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل ، وهذا الترتيب مستحق ، ولا يقع إلا كذلك وإن نوى خلافه ، وشرط لزوم الحجّ : الحرية والاستطاعة ، ومن لزمه فرض الحجّ لزمه فرض العمرة ، ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ، ولم يكن حطابا لزمه الإحرام على قول ، ويتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما للمباشرة وذلك الصحة وأمن الطريق والخصب فيها وأن لايكون بحرا مخطرًا وأن يملك نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه ونفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة بعد أداء الديون ، وأن يقدر على كراء الراحلة . النوع الثانى استطاعة المعضوب بماله ، وهو أن يستأجر من يحجّ عنه بعد فراغ الأجير عن

Marfat.com

حجة الإسلام لنفسه ، والابن إذا عرض الطاعة على الأب الزمن صار به مستطيعا ، ويجوز التأخير بعد الاستطاعة ، ولكن بشرط سلامة العاقبة ، وإلا لقى الله تعالى عاصيا . والأركان التى لايصحّ الحجّ بدونها خمسة : الإحرام ، والطواف ، والسعى بعده ، والوقوف بعرفة ، والحلق على قول ، وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المجبورة بالدم ستة : الإحرام فى الميقات ، وعلى تاركه شاة . والرمى ، وفيه الدم قولا واحدا . وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس ، والمبيت بمزدلفة ، والمبيت بمنى ، وطواف الوداع ، فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين . وفى الثانى فيها دم على سبيل الاستحباب . وأما وجوه أداء الحجّ والعمرة فثلاثة : الأول الإفراد ، وهو الأفضل ، وذلك أن يقدّم الحجّ وحده ، فاذا فرغ خرج إلى الحلّ وأحرم واعتمر . وأفضل الحلّ الإحرام بالعُمرة من الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية ، وليس على المفرد دم إلا أن يتطوّع . الثانى القران ، وهو أن يجمع فيقول : لبّيك بحجّ وعمرة فيصير محرما ، ويكفيه أعمال الحجّ ، وتندرج العمرة تحت الحجّ ، كما يندرج الوضوء تحت الغُسل ، إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف ، فسعيه محسوب من النسكين ؛ وأما طوافه فغير محسوب ، لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة ، إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه لأنه لم يترك الميقات ، إذ ميقاته بمكة . الثالث التمتع ، وهو أن يجاوز الميقات بعمرة ، ويتحلّل بمكة ، ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحجّ ، ثم يحرم بالحجّ ، ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لايكون من حاضرى المسجد الحرام ، وحاضره من كان منه على مسافة لايقصر فيها الصلاة . الثانى أن يقدّم العمرة على الحجّ . الثالث أن تكون عمرته فى أشهر الحجّ . الرابع أن لايرجع إلى ميقات الحجّ ، ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحجّ . الخامس أن

Marfat.com

تكون حجته وعُمرته عن شخص واحد ، فبهذه الأوصاف يصير متمتعا ويلزمه دم شاة ، فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحجّ قبل يوم النحر متفرّقة أومتتابعة ، وسبعة إذا رجع إلى أهله ، فهى عشرة إن شاء تباعا أو متفرّقا ، والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القران .

وأما محظورات الحجّ والعمرة فستة : الأول لبس القميص والسراويل والخفّ والعمامة ، بل ينبغى أن يلبس إزارا ورداء ونعلين ، فإن لم يجد نعلين فمكعبان ، فإن لم يجد إزارا فسراويل ، ولا بأس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ، ولكن لايغطى رأسه ، فان إحرامه فى رأسه ، وللمرأة أن تلبس المخيط غير أن لاتستّر وجهها بما يماسها ، فان إحرامها فى وجهها . الثانى : التطيب ، فليتجنب كلّ ما يعدّه العقلاء طيبا ، فان تطيب أو لبس ، فعليه دم شاة . الثالث : الحلق والقلم ، وفيهما الفدية ، وهى دم شاة ، ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع : الجماع ، وهو مفسد قبل التحلل الأوّل ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه ، وإن كان بعد التحلّل لزمه البدنة ، ولم يفسد حجه . الخامس : مقدّمات الجماع ،وهى القبلة والملامسة التى تنقض التطهير مع النساء فهو محرم ، وفيه شاة ، وكذا فى الاستمناء ، ويحرم النكاح والإنكاح ولادم فيه ، لأنه لاينعقد . السادس : قتل صيد البرّ ، أعنى ما يؤكل أو ما هو متولّد من الحلال والحرام ، فان قتل صيدا فعليه مثل لحمه من النعم يراعى فيه التّقارب فى الخلقة ، والله أعلم .

## فصل : فى ترتيب الأعمال الظاهرة

### من أوّل السفر إلى الرجوع إلى الوطن ، وهى عشر جمل

الأولى : فى السير من أوّل الخروج إلى الإحرام ، وهى ثمانية : التوبة ،

وردّ المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد نفقة من يمونه إلى الرجوع ، وردّ الودائع ، وأن يكون ما يستصحبه حلالا . الثانية : التماس رفيق صالح ينتفع بدينه . الثالثة : أن يصلى قبل الخروج ركعتين يقرأ فيهما : قل يا أيها الكافرون. وقل هو الله أحد ، فإذا فرغ رفع يديه وقال : اللهمّ أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كلّ آفة وعاهة وبلية . الرابعة : إذا وصل إلى باب الدار قال : بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله . ربّ أعوذ بك أن أضلّ أو أُضَلّ ، أو أزِل أو أُزَل ، أو أظلِم أو أُظلَم ، أو أجهَل أو يُجهَل علىّ . الخامسة : فى الركوب ، فاذا ركب الدابة ، قال : بسم الله وبالله ، والله أكبر ، توكلت على الله ، حسبى الله ، سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون . السادسة : النزول ، والسنة أن لاينزل حتى يحمَى النهار ويكون سيره فى الليل، قال عليه الصلاة والسلام « عَلَيْكُمْ بالدّلْجَةِ فانّ الأرْضَ تُطْوَى باللّيْلِ ما لاتُطْوَى بالنّهارِ » . السابعة : أن يحذر المشى وحده خيفة الاغتيال . الثامنة : أن يقول مهما علا نشزا من الأرض بعد أن يكبر ثلاثا : اللهمّ لك الشرف على كلّ شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبح ، ومهما خاف الوحشة قال : سبحان الملك القدّوس ، ربّ الملائكة والروح ، جللت السموات والأرض بالعزّة والجبروت

( الجملة الثانية فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة ) وهى خمسة : الأوّل الاغتسال ، وينوى به غسل الإحرام ، ويتمم ذلك بتقليم الأظفار ، وقصّ الشارب وما يلحق به . الثانى : أن يفارق الثياب المخيطة كما سبق ويتطيّب ، ولا بأس ببقاء جرم الطيب وريحه كما نقل : الثالث : ينوى الإحرام عند حركته أو حركة دابته منبعثا ، ويكفى مجرّد النية لانعقاده

Marfat.com

الإحرام، ولكن السنَّة أن يقرن بالنية لفظ التَّلبية ، فيقول : لبَّيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبَّيك إنّ الحمد والنِّعمة لك والمُلك لاشريك لك وإن زاد قال : لبَّيك وسعديك والخير كله بيديك والرغبة إليك لبَّيك بحجة حقا حقا تعبدا ورقا ، اللهمّ صلّ على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم . الرابع : إذا انعقد إحرامه يستحبّ أن يقول : اللهمّ إنى أريد الحجّ فيسِّره لى ، وأعنى على أداء فرضه وتقبَّله منى . الخامس : يستحبّ ترديد التلبية فى دوام الإحرام .

( الجملة الثالثة : فى آداب دخول مكة إلى الطواف ، وهى ستة ) الأول : الاغتسال بذى طوى لدخول مكة ، والأغسال المسنونة فى الحجّ تسعة . الأوّل : للإحرام ، ثم لدخول مكة ، ثم لطواف القدوم ، ثم للوقوف بعرفة ، ثم بمزدلفة ، ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ، ولا غسل لرمى جمرة العقبة ، ثم لطواف الوداع ، ولم ير الشافعى فى الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع ، فتعود إلى سبعة . الثانى : أن يقول عند الدخول إلى أول الحرم وهو خارج مكة : اللهمّ هذا حرمك وأمنك ، فحرِّم لحمى ودمى وبشرى على النار وآمنِّي من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك ياربّ العالمين . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح ، وهى من ثنية كَدا بفتح الكاف عدَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها ، ويخرج من ثنية كُدا بضم الكاف . فالأولى هى العُليا ، والثانية هى السُّفلى . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم ، فعندما يقع بصره على البيت فليقل : لاإله إلا الله ، والله أكبر ، اللهمّ أنت السلام ، ومنك السلام ، ودارك دار السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام . اللهمّ إن هذا بيتك عظَّمته وكرّمته وشرّفته ، اللهمّ فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة ، وليقل : بسم الله وبالله

ومن الله وإلى الله و فى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قرُب من البيت قال : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهمّ صلّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ، وعلى إبراهيم خليلك ، وعلى جميع أنبيائك ورسلك ، وليرفع يديه ، وليقل : اللهمّ إنى أسألك فى مقامى هذا فى أوّل مناسكى ، أن تقبل توبتى ، وتتجاوز عن خطيئتى ، وتضع عنى وزرى ، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا ، وجعله مباركا وهدّى للعالمين ، اللهمّ إنى عبدك ، والبلد بلدك ، والحرم حرمك ، والبيت بيتك ، جئت أطلب رحمتك ، أسألك مسئلة المضطرّ الخائف من عقوبتك ، الراجى لرحمتك ، الطالب لمرضاتك . السادس : أن يقصد الحجر الأسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ، ويقبله ويغسله ، ويقول : اللهمّ أمانتى أدّيتها ، وميثاقى تعاهدته ، اشهد لى بالموافاة ، فإن لم يستطع التقبيل فليقف فى مقابلته ويقول ماسبق ، ثم لايعرج على شىء دون طواف القدوم ، إلا أن يجد الناس فى المكتوبة ، فيصلى معهم ثم يطوف .

( الجملة الرابعة : فى الطواف ) فإذا أراد أن يطوف أىّ طواف كان ، فعليه ستة أمور : منها أن يراعى شروط الصلاة فى الطواف ، فإن الطواف صلاة ، إلا أنه أبيح فيه الكلام ، وليضطبع فى ابتداء الطواف ، وهو أن يجعل وسط إزاره تحت إبطه اليمنى ، ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ، ويشتغل بالأدعية التى سنوردها . الثانى : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، وليتنح عنه قليلا ، ليكون الحجر قدّامه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت ، فإنه أفضل ، ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت ، وعند الحجر الأسود وقد يتصل الشاذروان بالأرض

يلتبس به ، والطائف عليه لايصحّ طوافه ، لأنه طائف فى البيت ، ثم من هذا الموقف يبتدئُ الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر ، بل ابتداء الطواف : بسم الله وبالله والله أكبر ، اللهمّ إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسُنة نبيِّك محمد صلى الله عليه وسلم ، يطوف ، فأوّل ما يجاوز الحجر الأسود وينتهى إلى باب البيت يقول : اللهمّ هذا البيت بيتك كما سبق . الرابع : أن يرمل فى ثلاثة أشواط ، ويمشى فى الأربعة الأخيرة على السّكينة واستلام الحجر والركن اليمانى مستحبّ فى كل شوط . الخامس : إذا تمّ الطواف سبعا ، فليأت الملتزم ، وهو بين الحجر والباب ، وهو موضع استجابة الدعوة ، وليلتزق بالبيت ويتعلق بأستار الكعبة وليضع عليه خدّه الأيمن ، ويبسط ذراعيه وكفّيه عليه ، ويقول : اللهمّ ربّ البيت العتيق أعتق رقبتى من النار ، وأعذنى من الشيطان الرجيم ، وأعذنى من كلّ سوء ، وقنعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيما آتيتنى . اللهمّ إن هذا البيت بيتك ، والعبد عبدك ، وهذا مقام العائذ بك من النار ؛ اللهمّ اجعلنى من أكرم وفدك عليك ، وليحمد الله كثيرًا ، وليصلّ على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين ، يقرأ فى الأولى : قل يا أيها الكافرون ، وفى الثانية : سورة الإخلاص ، وهما ركعتا الطواف . وقال الزهرى : مضت السنة بأن يصلى لكل سبع ركعتين .

( الجملة الخامسة : فى السعى ) فإذا فرغ من الطواف ، فليخرج من باب الصفا ، فاذا انتهى إلى الصفا ، وهو جبل ، فيستحبّ أن يرقى فيه درجا فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل ، رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة ، وابتداء السعى من أصل الجبل كاف ، ولكن بعض تلك

الدرج مستجد ، فينبغي أن لايخلفها وراء ظهره ، فلا يكون متمما للسعي وإن ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرّات ، فاذا انتهى إلى المروة صعدها وأقبل بوجهه على الصفا مرّة ، فقد حصل السعي مرّة ، فإذا عاد إلى الصفا ، حصلت مرّتان ، يفعل ذلك سبعا ، فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي ، وهما سنتان ، والطهارة مستحبة للسعي بخلاف الطواف ، ففيه واجبة ، فاذا سعى ، فينبغي له أن لايعيد السعي بعد الوقوف ، ويكتفي بهذا ركنا ، فانه ليس من شرط السعي أن يتأخّر عن الوقوف ، وإنما ذلك شرط في طواف الركن ، نعم من شرطه أن يقع بعد الطواف أيّ طواف كان .

( الجملة السادسة : في الوقوف وما قبله ) إن كان الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات ، فلا يتعرّض لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف ، وإذا وصل قبل ذلك بأيام وطاف طواف القدوم ، فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذي الحجة ، فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية ، والمبيت بها ، وبالغدوّ منها إلى عرفات لإقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس ، إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر ، فينبغي أن يخرج إلى منى ملبيا ، ويستحبّ له المشي من مكة في المناسك إلى انقضاء الحجّ إن قدر عليه والمشي من مسجد إبراهيم إلى الموقف أفضل وآكد ، فاذا انتهى إلى منى قال : اللهمّ إنّ هذه منى فامنن عليّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك ، وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لايتعلق به نسك ، فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح ، فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ، ويقول : اللهمّ اجعلها خير غدوة غدوتها ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك . اللهمّ إليك غدوت ، وإياك اعتمدت ، ووجهك أردت ، فاجعلني

من تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل يوم القيامة ، فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ، فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ، ونمرة هى ببطن عرفة دون الموقف ، ودون عرفة ، وليغتسل للوقوف ، فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذّن فى الأذان والإمام فى الخطبة الثانية ، ووصل الإقامة بالأذان ، وفرغ الإمام مع إتمام إقامة المؤذّن ، ثم يجمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، وقصر الصلاة وراح إلى الموقف ، فليقف بعرفة ، ولا يقف فى وادى عرنة . وأما مسجد إبراهيم ، فصدره فى الوادى ، وأخرياته من عرنة ، فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ، ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار ، والأولى أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبل القبلة ، وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل ، والثناء على الله تعالى ، والدعاء ، والتوبة ، ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ، وينبغى أن لاينفصل عن طرف عرفة إلا بعد الغروب ، ليجمع بين الليل والنهار فى عرفة ، وإن أمكنه الوقوف ساعة من اليوم الثامن عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم ، ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر ، فقد فاته الحجّ ، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العُمرة ، ثم يريق دما لأجل الفوات ثم يقضى ، وليكن أهمّ أشغاله فى هذا اليوم الدعاء فانه ترجى الإجابة فى هذا الجمع وهذا اليوم وهذه البقعة ، وأولى الدعاء المأثور فى يوم عرفة أن يقول : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له المُلك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو حىّ لايموت ، بيده الخير وهو على كلّ شىء قدير ؛ اللهمّ اجعل فى قلبى نورًا ، وفى سمعى نورًا ، وفى بصرى نورًا ؛ اللهمّ اشرح لى صدرى ، ويسّر لى أمرى .

( الجملة السابعة : فى بقية أعمال الحجّ بعد الوقوف ، من المبيت والرمى

والنحر والحلق والطواف) ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرًا لها بأذان وإقامتين ، وليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ، ومن خرج منها فى النصف الأوّل من الليل ، ولم يبت فعليه دم واجب ، وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ، ثم مهما انتصف الليل يأخذ فى التأهّب للرحيل ، ويتزوّد الحصى منها ، ففيها أحجار رخوة ، فليأخذ سبعين حصاة ، فانه قدر الحاجة ، ولا بأس بأن يستظهر بزيادة ، وليكن الحصى صغيرًا ، ثم ليغلس لصلاة الصبح ، وليأخذ فى السير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام ، وهو آخر المزدلفة ، فيقف ويدعو إلى الإسفار ، ويقول اللهمّ بحقّ المشعر الحرام ، والبيت الحرام ، والشهر الحرام ، والركن والمقام بلّغ روح سيدنا محمد منا التحيّة والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، ياذا الجلال والإكرام ، ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يُقال وادى محسر ، فيستحبّ أن يحرّك دابته ، حتى يقطع عرض الوادى ، فإن كان راجلا أسرع فى المشى ، ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فينتهى إلى منى سائرا ، ومواضع الجمرات وهى ثلاثة ، فيجاوز الأوّل والثانى فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى إلى جمرة العقبة ، وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل ، فيرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر الرمح قبل الذبح ، فيستقبل القبلة ، وإن استقبل الجمرة فلا بأس ، ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويكبر ويقول مع كل حصاة : اللهمّ تصديقا بكتابك ، واتباعا لسنة نبيّك ، فإذا رمى قطع التلبية والتكبير ، إلا التكبير عقيب فرض الصلاة من ظهر يوم النحر إلى عقيب العصر آخر أيام التشريق ، ثم ليذبح الهدى إن كان معه ، والأولى أن يذبح

بنفسه ، وليقل : بسم الله والله أكبر ، اللهمّ منك وبك ولك ، تقبّل منى كما تقبّلت من خليلك إبراهيم عليه السلام ، والتضحية بالبدنة أفضل ، ثم بالبقرة ، ثم بالشاة ، والشاة أفضل من مشاركة سبعة فى البدنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الأُضْحِيَةِ الكَبْشُ الأقْرَنُ » والبيضاء أفضل من الصفراء والسوداء ، وليأكل منه إن كان هدى تطوّع ، ولا يضحينّ بالجذعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء ، ثم ليلحق بعد ذلك . والسنة أن يستقبل القبلة ، ويبتدئ بمقدم رأسه ، فيحلق الشقّ الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقى ويقول : اللهمّ أثبت لى بكلّ شعرة حسنة ، وامح بها سيئة ، وارفع لى بها عندك درجة . والمرأة تقص الشعر . والأصلع يستحبّ له إمرار الموسى على الرأس ، ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل التحلل الأوّل ، وحلّ له كل المحظورات إلا النساء والصيد ، ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما ذكرناه ، وهذا الطواف ركن فى الحجّ ، ويسمى طواف الزيارة ،وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر ،وأفضل وقته يوم النحر ، ولا آخر لوقته ، بل له التأخير ، ولكن يبقى مقيدا بالإحرام ، فلا تحلّ له النساء إلا بعد هذا الطواف ، فإذا طاف تمّ التحلل ، وارتفع الإحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى ، وهى واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحجّ . وأسباب التحلل ثلاثة : الرمى ، والحلق ، والطواف الذى هو ركن . وفى الحجّ أربع خطب : خطبة يوم السابع ، وخطبة يوم عرفة ، وخطبة يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الأوّل ، وكلها عقب الزوال ، وكلها أفراد ، إلا خطبة يوم عرفة ، فإنهما خطبتان بينهما جلسة ، ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمى ، فيبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى ليلة القرّ ، لأن الناس فى غد يقرّون فى منى ، ولا ينفرون ، فاذا أصبح اليوم

Marfat.com

الثانى من العيد ، وزالت الشمس اغتسل للرمى ، وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة ، وهى على يمين الجادة ، ويرمى سبع حصيات ، فإذا أنفذها انحرف قليلا عن متن الجادة ، ووقف مستقبل القبلة ، وحمد الله تعالى وهلله وكبره ، ودعا مع الخشوع قدر قراءة سورة البقرة ، ثم يتقدّم إلى الجمرة الوسطى ، ويرمى كما رمى الأوّل ، ويقف كما وقف للأوّل ، ثم يتقدّم إلى جمرة العقبة ويرمى سبعا ، ولا يعرّج على شغل ، ثم يرجع إلى منزله ، ويبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى ليلة النفر الأوّل ويصبح ، فإذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من التشريق ، رمى إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ، ثم هو مخير بين المقام بمنى ، وبين العود إلى مكة ، فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه ، وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج ، بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى إحدى وعشرين حصاة كما سبق ، وفى ترك المبيت والرمى إراقة دم ، ويتصدّق باللحم ، وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لايبيت إلا بمنى ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

( الجملة الثامنة : فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع ) وهو يغتسل ويلبس ثياب الإحرام ، ويحرم بالعمرة ، وينوى ويلبى ، ويقصد مسجد عائشة ، ويصلى ركعتين ، ثم يعود إلى مكة ملبيا حتى يدخل المسجد الحرام ، فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا ، فإذا فرغ حلق رأسه ، وقد تمت عُمرته .

( الجملة التاسعة : فى طواف الوداع ) وهو أن ينجز أشغاله ، ويشد رحاله ، ويشتغل بالوداع ، فيطوف سبعا من غير رمل واضطباع ، فإذا فرغ صلى ركعتين خلف المقام ، ويشرب من ماء زمزم ، ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرّع ، ويلتمس الرضا والمغفرة .

Marfat.com

( الجملة العاشرة : فى زيارة المدينة وآدابها ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِى فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حياتى » ، وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي » ، وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ جاءَنِي زَائِرًا لاَ يَهُمُّهُ إلاَّ زِيارَتِى كانَ حَقًّا على اللهِ أنْ أكُونَ لَهُ شَفِيعا » . فمن قصد زيارة المدينة ، فليصلِّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا فى طريقه ، فاذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها ، قال : اللهمّ هذا حرم رسولك ، فاجعل لى وقاية من النار ، وأمانا من العذاب وسوء الحساب ، وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيَّب ، وليلبس أنظف ثيابه ، فاذا دخلها فليدخل إليها متواضعا معظما لها ، وليقل : بسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ربّ أدخلنى مُدخل صدق ، وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدُنك سلطانا نصيرًا ، ثم يقصد المسجد فيدخله ، ويصلى بجنب المنبر ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يأتى قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربع أذرع من السارية ، ويجعل القنديل على رأسه، وليس من السُّنة والاحترام أن يمسّ الجدار ولا أن يقبِّله ، ثم يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يانبىّ الله ، السلام عليك ياأمين الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك ياصفوة الله ، السلام عليك ياخيرة الله ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا شفيع ، السلام عايك ياعاقب ، السلام عليك يا بشير ، السلام عليك يا نذير ، السلام

Marfat.com

عليك يا طه ، السلام عليك يا أكرم ولد آدم ، السلام عليك يا رسول الله ؛
السلام عليك يا رسول ربّ العالمين ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلا
عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك يا قائد الخير ، السلام عليك يا فاتح البرّ
السلام عليك يا نبيّ الرحمة ، السلام عليك يا سيد الأمة ، السلام عليك يا قائ
الغرّ المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيراً ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين ، وأزواجك الطاهرا
أمهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ، ورسولا
أمته صلى الله عليك ، كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلو
وصلى الله عليك فى الأولين والآخرين ، أفضل وأكمل وأعلى وأجلّ وأ
وأطهر ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا من الضلالة ، وبصرنا
من العماية . وهدانا بك من الجهالة ، أشهد أن لاإله إلا الله ، وحده لا
له ، وأنك عبده ورسوله ، وصفيه وأمينه ، وخيرته من خلقه . وأشهد
قد بلّغت الرسالة ، وأدّيت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدو
وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك ،
أهل بيتك الطيبين الطاهرين ، وكرّم وشرّف . وإن كان قد أوصى
سلام فيقول : السلام عليك من فلان، ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الص
رضى الله عنه ، لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و
عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنهما ، ثم يتأخر قدر
ويسلم على الفاروق ويقول : السلام عليكما ياوزيرى رسول الله صلى ال
وسلم ، المعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا ، القائمين فى أمته بعد
الدين ، تتبعان فى ذلك آثاره ، وتعملان بسنته ، فجزاكما الله خير ما جز
وزيرى نبيّ على دينه خيراً ، ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله

Marfat.com

ليه وسلم بين القبر والأسطوانة، ويستقبل القبلة ، وليحمد الله وليمجده ، يكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : اللهمّ إنك ت ( وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ ، سْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ) ، اللهمّ قد سمعنا لك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا ، وما أثقل هورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا ، معترفين بخطايانا ، فتب علينا اللهمّ شفع نبيك هذا فينا ، وارحمنا بمنزلته عندك وحقه عليك . اللهمّ اغفر جاهدين والمهاجرين والأنصار ، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . اللهمّ جعله آخر العهد من قبر نبيك ، ومن حرمك برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم الروضة فيصلى فيها ، ويكثر من الدعاء ، لقوله عليه الصلاة والسلام : بينَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْبَرِي على ضِي » ويدعو عند المنبر ، ويستحبّ أن يضع يده على الرمانة السفلى ، ستحبّ أن يخرج يوم الخميس ، فيزور قبور الشهداء ، فيصلى الغداة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخرج للزيارة ويعود إلى المسجد صلاة الظهر حتى لاتفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ، ويستحبّ أن يخرج فى كلّ يوم إلى البقيع ، بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزور قبر الحسن بن علىّ رضى الله عنه ، ويزور قبر عثمان ، ويزور قبر علىّ بن الحسين بن علىّ ، ومحمد بن علىّ ، وجعفر بن محمد ، والعباس رضوان الله عليهم أجمعين ، ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ، ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

Marfat.com

## فصـــل

وينبغى أن لايتجر ليكون قصده العبادة وحدها ، ومهما أمكنه أن يوسع النفقة على غيره فعل ، ويكون توجهه إلى الحجّ توجها إلى الله تعالى ، فلا ينساه فى كلّ حال ، ويتبرأ من الحول والقوّة ، فافهم تغنم ، والله أعلم .

# الباب الثامن

## فى تلاوة القرآن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ ثُمَّ رأى أَحَدًا أُوتِيَ أفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَصْغَرَ ما عَظَّمَهُ اللهُ تَعالى » وقال عليه الصلاة والسلام : « ما مِنْ شَفِيعٍ أفْضَلُ مَنْزِلَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ القُرْآنِ ، لا نَبِيٌّ وَلا مَلَكٌ وَلا غيرُهُما » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرأَ طَهَ وَيس قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ بِألْفَيْ عامٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتِ المَلائكَةُ القُرْآنَ ، قالَتْ طُوبَى لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هَذَا ، وَطُوبَى لِأَجْوافٍ تَحْمِلُ هذا ، وَطُوبَى لِأَلْسِنَةٍ تَنْطِقُ بِهذَا » .

## فصل : فى ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك : رُبَّ تالٍ للقُرْآنِ والقُرْآنُ يَلْعَنُهُ . وقال أبو سليمان الدارانى : الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن ، فقد ورد فى التوراة : ياعَبْدِى أما تَسْتَحِى مِنِّى ، يَأْتِيكَ كِتابٌ مِنْ بَعْضِ إخوانِكَ وأنْتَ فِى الطَّريق

تمشي فتعدل عن الطريق فتقعد لأجله ، وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا ، حتى لايفوتك منه شيء ، وهذا كتاب أنزلته إليك أنظر كم فصلت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ، ثم أنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ، ياعبدى يقص عليك بعض إخوانك حديثا ، فتقبل عليه بكل وجهك ، وتصغى إلى حديثه بكل قلبك ، فإن كلمك متكلم ، أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف ، وها أنا ذا مقبل عليك محدث لك ، وأنت تعرض عنى بقلبك ، أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

## فصل

وينبغي أن يكون على وضوء ، وعلى هيئة الأدب قائما أوجالسا ، وأفضله يقرأ في الصلاة قائما ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفهمه » . وكرهوا أن يختم كل ليلة ، ولعل الختم في كل أسبوع قريب ، والترتيل مستحب في تلاوة القرآن . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه فتحازنوا » . وينبغي أن يراعى حق آية السجدة ، فيسجد ، سواء سمعه من غيره ، أو قرأ هو بنفسه إذا كان على وضوء ، وفى القرآن أربع عشرة سجدة ، وفى الحج سجدتان ، وليس فى ص سجدة :

Marfat.com

## فصـــل

وينبغى أن تكون قراءته بتعظيم وتدبر ، فان الله تعالى لطف بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه ، حتى أوصل معانى كلامه ، الذى هو صفة ذاته ، إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلّت لهم تلك الصفة فى طىّ حروف وأصوات ، ولولا استتار كُنه جمال كلامه بكثرة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرَى ، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه ، وسبحات نوره ؛ ولولا تثبيت الله موسى عليه الصلاة والسلام لما أطاق سماع كلامه . كما لم يطق الجبل مبادى تجلّيه، حيث صار دكًّا دكًّا ، وليكن تعظيم المتكل حاضرًا فى قلبه مساوقا له فى قراءته ، ويظنّ أن الله تعالى يخاطبه بذلك .

## فصـــل

قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ للقُرآنِ ظَهرًا وبَطنًا وحَدًّ ومَطلَعا » . وقال علىّ كرّم الله وجهه ، ورضى عنه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب، فتبين أن أسرار القرآن لاتنقضى ، وعجائ لاتُحصى ، وذلك على قدر طهارة القلب، ويدلّ على أن التفسير ليس مسمو منقولا كالتنزيل ، قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس: « اللَّهُمَّ فقّهه فِى الدّينِ ، وعَلّمْهُ التّأويلَ » ، وقال تعالى : ( لَعَلِمَهُ الّذِي يَستَنبِطُونَهُ منهُم) أثبت لأهل العلم استنباطا ، فيدلّ على أنه لايتوقف على محض السماع والله أعلم ، فافهم تغنم ، والله أعلم .

Marfat.com

# الباب التاسع

## فى الأذكار والدعوات

قال الله تعالى ( ادْعُونِى أسْتَجِبْ لَكُمْ ) ، وقال تعالى ( فإذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فاذْكُرُوا اللهَ قياما وقُعُودًا وَعلى جُنُوبِكُمْ ) وقال عليه الصلاة والسلام : « ذَاكِرُ اللهِ فِى الغافِلِينَ كالحَىِّ بينَ الأمْوَاتِ » قال عليه الصلاة والسلام : « ذَاكِرُ اللهِ فِى الغافِلِينَ كَشَجَرَةٍ خَضْرَاءَ فِى وَسَطِ الهَشِيمِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسا يَذْكُرُونَ اللهَ عزَّ وَجلَّ فِيهِ إلاَّ حَفَّتْ بِهِمُ المَلائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . وقال : « ماقَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ وَلَمْ يُصَلُّوا على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إلاَّ كانَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ » . وقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أفضَلُ ما قُلْتُ أنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلى لاإلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ » . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثا وَثَلاثِينَ ، وَحَمِدَ ثَلاثا وَثَلاثِينَ ، وكَبَّرَ ثَلاثا وَثَلاثِينَ ، وَخَتَمَ المِئَةَ بِلا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ، وَلَوْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » . « وروى أن رجلا جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله تولَّت عنى الدنيا ، وقلَّت ذات يدى ؛ قال عليه الصلاة والسلام : أيْنَ أنْتَ مِنْ صَلاةِ المَلائِكَةِ وتَسْبِيحِ الخلائِقِ وبِها يُرْزَقُونَ ؛ قال : قلت : وماذا

يارسول الله ؟ قال : سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحانَ اللهِ العَظِيمِ وبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِئَةَ مَرَّةٍ ما بينَ طُلُوعِ الفَجْرِ إلى أنْ تُصَلِّىَ الصُّبْحَ تَأْتِيكَ الدُّنْيا رَاغِمَةً صَاغِرَةً وَيَخْلُقُ اللهُ تعالى مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مَلَكاً يُسَبِّحُ اللهَ تَعالى إلى يَوْمِ القِيامَةِ لَكَ ثَوابُهُ ».وقال صلى الله عليه وسلم: « إذَا قالَ العَبْدُ :الحَمْدُ لِلهِ مَلأَتْ مابينَ السَّماءِ والأرْضِ ، فإذَاقالَ الحَمْدُ لِلهِ الثَّانِيَةَ مَلأَتْ ما بينَ السَّماءِ السَّابِعَةِ إلىالأرْضِ السُّفْلَى ، فإذَا قالَ : الحَمْدُ لِلهِ الثَّالِثَةَ ،قالَ اللهُ تَعالى سَلْ تُعْطَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الباقِياتُ الصَّالِحاتُ هُنَّ لاإلهَ إلاَّ اللهُ ، وَسُبْحانَ اللهِ واللهُ أكْبَرُ ،والحَمْدُ لِلهِ ،وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ رَجُلٍ يَقُولُهَا إلاَّ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » رواه ابن عمر رضى الله عنه.

واعلم أن النافع من جملة الأذكار ، ما حضر فيه القلب ، وما عداه فهو قليل الجدوى ، فإن المقصود الأنس بالله ، وذلك بالمداومة على الذكر مع حضور القلب ، وبذلك تأمن سوء الخاتمة ، والله أعلم .

## فصل : فى آداب الدعاء

فليسترصد الأوقات الشريفة ، ويكون على الوضوء مستقبل القبلة ، ويكون بخفض الصوت والتضرّع موقنا بالإجابة ملحا فيه ، ويفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ، وبالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم . وبردّ المظالم قبل إقباله على الدعاء .

## فضيلة الصلاة على رسول الله
## صلى الله عليه وسلم

« رُوى أنه عليه الصلاة والسلام ، جاء ذات يوم والبُشرى ترى فى وجهه قال صلى الله عليه وسلم : إنَّهُ جاءَنِي أخِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ تَرْضَى يا مُحَمَّدُ أنْ لايُصَلِّيَ عَلَيْكَ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ مَرَّةً إلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا » . وقال : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ ما صَلَّى عَلَيَّ ، فَلْيُقْلِلِ العَبْدُ عِنْدَ ذلكَ أو لِيُكْثِرْ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتابٍ ، لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مادَامَ اسمِي فِي ذلكَ الكِتابِ » .

## فضيلة الاستغفار

قال الله تعالى ( وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ) . وقال تعالى ( والمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحارِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيْهِ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ ، وَإنْ عادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » . وقال عليه الصلاة والسلام « مَنْ عَمِلَ ذَنْبا فَعَلِمَ أنَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ » . وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يا عِبادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إلاَّ مَنْ عافَيْتُهُ ، فاسْتَغْفِرُونِي أغْفِرْ لَكُمْ ، وَمَنْ عَلِمَ أنّى ذُو قُدْرَةٍ على أنْ أغْفِرَ لَهُ غَفَرْتُ لَهُ وَلا أُبالى » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ

قال: سُبْحانَكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سُوءًا فاغْفِرْ لى ، إنَّهُ لايَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنْتَ ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كانَتْ كَدَبِيبِ النَّمْلِ » . وقال فضيل بن عياض : استغفار بلا إقلاع ، توبة الكذّابين .

## فصـــل

ويُستحبّ أن يفتتح الدعاء بقوله: سبحان ربى العلىّ الأعلى الوهّاب، لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حى لايموت ، وهو على كلّ شيء قدير ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا . وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، ثم قال : اللهمّ فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، ربّ كلّ شيء ومليكه ، أشهد أن لاإله إلا أنت . أعوذ بك من شرّ نفسى ، ومن شرّ الشيطان الرجيم وشركه ، وقل : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى وأهلى ومالى ، اللهمّ استر عوراتى ، وآمن روعاتى . واعلم أن الدعوات كثيرة ، فاشتغل منها بما رأيت نفسك فيها حاضر والسلام على من اتبع الهُدى .

# الباب العاشر

## فى الأوراد

اعلم أن الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده ، ليتخذوها منزلا ويتزوّدوا منها محترزين من مصائبها ومعاطبها ، ويتحققوا أن العمر يسير سير السفينة براكبها ، فالناس فى هذا العالم سُفَرٌ ، وأوّل منازلهم المهد وآخرها اللّحد ، والوطن هو الجنة أوالنار ، والعمر مسافة السفر ، وس

Marfat.com

مراحله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطواته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رأس ماله وشهواته وأغراضه قطّاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم ، وخسرانه البُعد من الله تعالى والعياذ بالله مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم فى دركات الجحيم ، فالغافل لو عن نَفَس من عمره متعرّض إلى حسرة لانهاية لها وخسران ، لا تُدرك له نهاية .

## فصل : فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

قال الله تعالى : ( إنَّ لكَ فِي النَّهارِ سَبْحا طَوِيلاً ، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً ) . وقال تعالى ( وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . وَمِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ) فإن أردت أن تسعد سعادة لاتَشقى بعدها ، فاستوعب جميع نهارك وليلك بالطاعة ، فإن سيِّد المرسلين صلى الله عليه وسلم مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر أمر بذلك ، فأنت بالمداومة أحقّ وأمرك على الحظر ، فلا تشتغل بالكسب والأمور الدنيوية إلا بقدر حاجتك ، وماعدا ذلك فاستعمله فى طريق الآخرة ، ولا تترك قيام الليل . قال عليه الصلاة والسلام : « لابُدَّ مِنْ قيامِ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدْرَ حَلَبِ شاةٍ » ولا ينبغى أن تستجلب للنفس النوم بتمهيد الفُرُش الوطية ، بل تشتغل بالصلاة والذكر إلى أن يغلبك النوم . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « يَعْقِدُ الشَّيْطانُ على ناصِيَةِ أحَدِكُمْ إذَا هُوَ نام ثَلاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ مَكانَ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فارْقُدْ ؛ فانِ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ الله تَعالى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فانْ تَوَضَّأَ انحلَّتْ عُقْدَةٌ ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فأصْبَحَ نَشِيطاً

Marfat.com

طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ » . وفى الخبر أنه ذُكر عنده عليه الصلاة والسلام رجل نام كلَّ الليل حتى أصبح ، فقال : « ذَاكَ بالَ الشَّيْطانُ فِى أُذُنِه » . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : رَكْعتَان يَرْكَعُهُما العَبْدُ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيا وَما فيها ، وَلَوْلا أَنّى أَشُقُّ على أُمَّتِى لَفَرَضْتُها عَلَيْهِمْ » .

## بيان الليالى والأيام الفاضلة

والأيام قد سبق ذكرها . أما الليالى فخمسة عشر ، وهى : أوتار العشر الأخير من رمضان ، وليلة السابع عشر من رمضان فهى ليلة صبيحة يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر . وأما الليالى الأُخر : فأوّل ليلة من المحرّم ، وليلة عاشوراء ، وأوّل ليلة من رجب ، وليلة النصف منه ، وليلة سبع وعشرين منه ، وهى ليلة المعراج ، وفيها صلاة مأثورة ، فقد قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « للْعامِلِ فِى هذِهِ اللَّيْلَةِ حَسَناتُ مِئَةِ سَنَةٍ فَمَنْ صَلَّى فِيها اثْنَتَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ فاتحةَ الكِتابِ وَسُورَةَ قَ يَتَشَهَّدُ فى كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَيُسَلِّمُ فِى آخِرِهِنَّ ثُمَّ يَقُولُ : سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ ، وَلا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أكبَرُ مِئَةَ مَرَّةٍ ، ويَسْتَغْفِرُ مِئَةَ مَرَّةٍ ، وَيُصَلِّى على النَّبِىِّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ مِئَةَ مَرَّةٍ وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ ما شاء مِنْ أَمْرِ دُنْياهُ وآخِرَتِهِ وَيُصْبِحُ صائما فإنَّ اللهَ تَعالى يَسْتَجِيبُ لَهُ دُعاءَهُ كُلَّهُ ، إلاَّ أنْ يَكُونَ فِى مَعْصِيَةٍ » . وأما ليلة النصف من شعبان : ففيها مئة ركعة فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص عشر مرّات ، ويُستحبّ على الخصوص

[إ]حياء ليلتى العيدين ، قال عليه الصلاة والسلام : «مَنْ أحْيا لَيْلَتَيِ العِيدَيْنِ [لم] يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ القُلُوبُ » . وآخر ليلة من ذى الحجة ، [ف]يها فضل عظيم .

( تمّ ربع العبادات ، ويتلوه : ربع العادات )

## الباب الحادى عشر
## فى آداب الأكل والشرب

وينبغى أن يكون أكلك على نيَّة التَّقوِّى به على طاعة الله تعالى وعبادته [و]كونه حلالا ، على ما سيأتى ذكره ، قال الله تعالى ( يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا [من] الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صَالِحا ) ، وإذا كان أكلك لله فهو جدير بأن تقدم غسل اليد لقوله عليه الصلاة والسلام : « الوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعامِ يَنْفِي [الفق]رَ ، وبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ » ، وينبغى أن يكون على السفرة ، فذلك [أقر]ب إلى السنة ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أتى بطعام وضعه على الأرض [فهو] أقرب إلى التواضع ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « لا آكُلُ متكِئا ، إنَّمَا أنا عَبْدٌ آكُلُ كمَا يأكُلُ العَبْدُ ، وأشْرَبُ كمَا يَشْرَبُ العَبْدُ » . وقيل أربع أحدثن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموائد ، والمناخل ، والأشنان ، والشبع . ولا نقول إن الأكل على الموائد منهىّ عنه ، فليس كل مبتدع منهيا عنه . وينبغى أن يحسن الجلسة على السفرة فى أوّل جلوسه ويستديمها ، هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما جثى للأكل على ركبتيه ، وجلس على ظهر قدميه ، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى ، ويُكره الأكل والشرب نائما ومتكئا إلا مايتنقل

به ، وليعزم على قلة الأكل والشرب ، فانه لا يصدق فى نية الأكل للعبادة إلا بذلك ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ما مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرًّا من بَطْنِه ، حَسْبُ ابنِ آدَمَ لُقَيْماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فإنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَثُلُثٌ للطَّعامِ وثُلُثٌ للشَّرابِ وثُلُثٌ للنَّفَسِ » ، فإذن ينبغى أن لا يقدم على الطعام إلا بعد الجوع ، فان الشبع على الشبع يقسى القلب ، ويمسك قبل الشبع . ولا ينتظر لذيذ الأطعمة والأدم ، فإن من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم ، وينبغى أن يجتهد فى تكثير الأيدى ، وإن كان من أهله وولده فخير الطعام ما كثرت عليه الأيدى ، كان عليه الصلاة والسلام لا يأكل وحده رواه أنس رضى الله عنه .

## فصل : فى آداب الأكل

وهو أن يبدأ باسم الله فى أوّله ، وبالحمد فى آخره ، وحسن أن يقول بسم الله مع كلّ لقمة ، حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ، فيقول فى اللقمة الأولى بسم الله ، وفى الثانية بسم الله الرحمن ، وفى الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكّر غيره ، ويأكل باليمنى ، ويبدأ بالملح ويختم به ، ويصغر اللقمة ، ويجوّد مضغها ، ولا يمدّ اليد إلى أخرى مالم يبلع الأولى ، وأن لا يعيب مأكولا . كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب طعاما قطّ ، إن كان أعجبه أكله وإلا تركه . وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « كُلْ مِمَّا يَلِيكَ » ، ثم كان يدير يده على الفاكهة ، فقيل له فى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ هُوَ نَوْعا وَاحِدًا » ، وأن لا يأكل من ذروة القصعة ومن وسط الطعام ، بل يأكل من استدارة الرغيف ، وأن لا يقطع بالسكين لا الخبز ولا اللحم ، فقد نُهى عنه ، قال صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

انهشوا نهشا » ، ولا يوضع على الخبز القصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به . قال صلى الله عليه وسلم : « أكرِموا الخُبْزَ فإنَّ اللهَ تعالى أنزلَهُ مِنْ بركاتِ السَّماءِ » ، ولا يمسح يده بالخبز ، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْها ، وَلْيُمِطْ ما كانَ بِها مِنْ أذًى ، وَلا يَدَعها للشَّيْطانِ ، وَلْيَلْعَقْ أصابعَهُ ، وَلا يَنْفُخْ فى الطَّعام الحارّ » فذلك منهىّ عنه ، ويأكل من التمر الأوتار ، ولا يجمع بين التمر والنوى على طبق ؛ وأما الشرب فيأخذ الكوز بيمينه ، ويقول : بسم الله ويشربه مصًّا لا عبًّا ، فان الكباد من العب ، ويقول بعد الشرب : الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحا أُجاجا بذنوبنا ، وكلّ ما يدار فى القوم يدار يمنة ، ويشرب فى ثلاثة أنفاس ، يحمد الله تعالى فى أواخرها ويسمى فى أوائلها ، فإذا فرغ من الطعام يُستحبّ أن يلتقط فُتات الطعام ويتخلل . ويقال : إن من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة ، ويقول : الحمد لله الذى بنعمته تمّ الصالحات ، وتنزل البركات . اللهمّ لا تجعله قوّة على معصيتك . ويقرأ سورة الإخلاص ولئيلاف قريش . ولا يقوم حتى يرفع الطعام والمائدة ، وإن كان لغيره فليدع له ، ويقول : أكل طعامكم الأبرار ، وأفطر عندكم الصائمون ، وصلّت عليكم الملائكة ؛ ويُستحبّ أن يقول : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا ، ثم يتمم بغسل يديه .

## فصــل

وإذا كان فى جمع ، فيصبر إلى أن يمدّ له من هو أكبر منه سنا ، إلا أن يكون هو المتبوع ، ويتحدّثون بما فيه خير ، ويرفق برفيقه ، ولا يحلف على

Marfat.com

أحد . قال الحسن بن علىّ رضى الله عنه : الطعام أهون من أن يحلف عليه ، ولا بأس باعادة قوله : كل ثلاثا ، وإذا أكرمه غيره بتقديم الطشت إليه فليقبل . اجتمع أنس بن مالك وثابت البنانى ، فقدّم أنس الطشت إليه فامتنع ؛ قال أنس رضى الله عنه : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردّها فإنما يكرم الله عزّ وجلّ . ولا بأس بالاجتماع فى الطشت على غسل اليد . ويُستحبّ أن يجمع ماء الكلّ فى الطشت ما أمكن . قال عليه الصلاة والسلام : « اجْتَمِعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ » ، وحسُن أن يصبّ صاحب المنزل الماء على أيديهم ، ويُدار الطشت يمنة . وينبغى أن لايفعل مايكرهه القوم من النظر إليهم فى أكلهم . ومن نفض اليد فى القصعة والإمساك قبلها إظهارا لقلة أكله . قال جعفر بن محمد : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس ، فإنها ساعة لاتحسب عليكم من أعماركم . وقال عليه الصلاة والسلام : « لاتَزَالُ المَلائِكَةُ تُصَلِّى على أحَدِكُمْ ما دَامَتْ مائِدَتهُ مَوْضُوعَةً بينَ يَدَيْهِ حتى تُرْفَعَ » . وقال الحسن : كل نفقة يُنفقها الرجل على نفسه وأبويه ، فن دونهم يحاسب عليها غدا ، إلا نفقة الرجل على إخوانه فى الطعام ، فإنها له حجاب من النار . وقال علىّ رضى الله عنه : لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام ، أحبّ إلىّ من عتق رقبة . وكانوا إذا اجتمعوا على قراءة القرآن لايتفرّقون إلا عن ذواق . وفى الخبر ، يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة « يا ابْنَ آدَمَ جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِى ، فيقول : كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين ؟ فيقول الله تعالى : جاعَ أخُوكَ المُسْلِمُ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، وَلَوْ أطْعَمْتَهُ كُنْتَ أطْعَمْتَنِى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ فِى الجَنَّةِ غُرَفا يُرَى ظاهِرُها مِنْ باطِنِها ، وَباطِنُها مِنْ ظاهِرِها ، أعَدَّها اللهُ لِمَنْ ألانَ الكَلامَ ، وأطْعَمَ الطَّعامَ ، وَصَلَّى

Marfat.com

باللَّيْلِ والنَّاسُ نِيامٌ » . ولا ينبغى أن يمشى إلى الطعام الذى لم يُدع إليه ، ففى الخبر « إنَّ مَنْ مَشَى إلى طَعام لَمْ يُدْعَ إلَيْهِ مَشَى فاسِقا وأكَلَ حَرَاما » إلا إذا كان يعلم من ذلك الرجل فرحه به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه ، وكانوا جياعا . فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وعلم أنه يفرح فيقدم طعامه ويأكله . ومن الآداب أن لايقترح على أخيه شيئا معينا ، فلعله يعسر عليه إلا إذا وثق به ، وإن اقترح عليه أحد الشيئين فليختر أيسرهما عليه ، ولا بأس أن يقول لهم : اقترحوا ما شئتم ، ففيه الثواب الجزيل ، فقد روى جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ لَذَّذَ أخاهُ بِمَا يَشْتَهِى كَتَبَ اللهُ لَهُ ألْفَ ألْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ ألْفَ ألْفِ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ ألْفَ ألْفِ دَرَجَةٍ ، وأطْعَمَهُ اللهُ تعالى مِنْ ثَلاثِ جَنَّاتٍ : جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ ، وَجَنَّةِ عَدْنٍ ، وَجَنَّةِ الخُلْدِ » ، وأن لايقول له : هل أقدم لك مطعما ، بل ينبغى أن يقدِّم له ، فان اشتهى أكل ، وإلا رفع ، هكذا قاله الثورى .

## فصل : فى آداب الضيافة

قال عليه الصلاة والسلام : « لاتَتَكَلَّفُوا للضَّيْفِ فَتَبْغَضُوهُ ، فإنَّ مَنْ أبْغَضَ الضَّيْفَ فَقَدْ أبْغَضَ اللهَ ، وَمَنْ أبْغَضَ اللهَ فَقَدْ أبْغَضَهُ اللهُ » ، والإجابة سنة للفقير والغنىّ . وفى بعض الكتب المنزلة : سر ميلا عُد مريضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة . وقال صلى الله عليه وسلم : « لَوْ دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ » وهو موضع على أميال من المدينة أفطر عليه الصلاة والسلام لما بلغه فى رمضان وقصر عنده فى سفره

Marfat.com

ويفطر إذا كان صائما من التطوّع ، فإدخال السرور على قلبه أفضل ، ويمتنع من الإجابة إن كان الطعام أو الموضع أو الفراش فيه شبهة ، أو كان الداعى فاسقا أو ظالما أو مبتدعا أو طالبا بذلك للمباهاة ، وينوى بالإجابة طاعة لاقضاء شهوة ، ولا يخرج من منزل المضيف إلا بإذنه .

ورُوى أن ابن عمر قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ، ونشرب ونحن قيام . ويُستحبّ أن يحمل طعام إلى أهل الميت ، فافهم تغنم ، والله أعلم ، وإليه المرجع والمآب .

## الباب الثانى عشر

### فى آداب النكاح

اعلم أن العلماء اختلفوا فيه ، حتى ذهب بعضهم إلى أنه أفضل من التخلى للعبادة ، واعترف آخرون بفضله ، ولكن قدّموا عليه التخلى ما لم تتق نفسه إلى النكاح . وذهب بعضهم إلى أن الأفضل فى زماننا تركه ، إذ غالب الأكساب محظورة ، وأخلاق النساء مذمومة . ويدلّ على الترغيب فيه قوله تعالى ( وأنكِحُوا الأيامَى مِنْكُمْ ) وقال تعالى ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ ) . وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: « النِّكاحُ سُنَّتِي ، فَمَنْ أحبَّ فِطْرَتِى فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي » ويدلّ على الترغيب عنه قوله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ المِئَتَيْنِ الخَفِيفُ الحاذُّ الَّذِى لاأهْلَ لَهُ وَلا وَلَدَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يأْتِى على النَّاسِ زَمانٌ يَكُونُ هَلاكُ الرجُلِ على يَدِ زَوْجَتِهِ وأبَوَيْهِ وَوَلَدِهِ ، يُعَيِّرُونَهُ بالفَقْرِ ، ويُكَلِّفُونَهُ ما لاَ يُطِيقُ ، فَيَدْخُلُ المَداخِلَ الَّتى يَذْهَبُ فِيها دِينُهُ فَيَهْلِكُ »

Marfat.com

## فصل : فى فوائد النكاح

هى كثيرة ، فمنها الولد الصالح ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، وثواب المجاهدة فى القيام بنفقتهم ، فإن كان الولد صالحا لحقه بركة دعائه ، وإن توفى كان له شفيعا ، وآفات النكاح أن يعسر عليه الإنفاق من الحلال وطلبه وهو واجب ، ولعله أيضا يقصر عن القيام بحقها فلها حقوق ، ويلزمه حُسن الاحتمال والرفق بهن ، وهذا لايتقوى عليه إلا الأقوياء ، ومن الآفات العظيمة أن يكون الأهل والولد شاغلين عن دوام ذكر الله تعالى ، وسلوك طريق الآخرة ، ولعله يورث البخل فى الغالب وهو من المهلكات ، وقد نبهناك على الفوائد والآفات ، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فاختبر حالك ، واختر لنفسك ماهو أقرب لك إلى طريق الآخرة ، والله أعلم .

## فصل : فيما يختار حالة العقد

## من أحوال المرأة وشروط العقد

وشروطه حتى ينعقد أربعة : إذن الولىّ فإن لم يكن فالسلطان ، ورضا المرأة إن كانت ثيبا بالغة ، وحضور شاهدين ظاهرى العدالة ، وينعقد بمستورى الحال ، وإيجاب وقبول متصل بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاصّ بكلّ لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة ، سواء كانا هما الزوج والولىّ أو وكيليهما .

وأما آدابه : فتقديم الخطبة مع الولىّ ، لا فى حال عدتها ، ولا فى حال سبق خطبة من غيره ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخِطبة على الخطبة . ومن آدابه : الخُطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب

والقبول ، فيقول المزوّج : بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوّجتك ، فيقول الزوج كذلك ، ثم يقول : قبلت نكاحها على هذا الصداق . وإلقاء أمر الزوج على البكر مستحبّ ، فإنه أقرب إلى الألفة . وكذلك يستحبّ تقديم النظر إليها . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح للاستظهار وراء العدلين . وينبغي أن ينوى بالنكاح غض البصر ، وطلب الولد الصالح ، وتكثير الأمة .

ومن الشرائط : أن لاتكون رقيقة ما دام الزوج قادرًا على مهر الحرّة ، ولا تكون محرّمة من رضاع ، فإنه يحرم من الرضاع ما يحرُم من النسب . والمحرّم خمس رضعات ، وما دونها لايحرّم .

وأما الخصال المطلوبة لدوام العيش فثمانية : الدين ، والخُلق الحسن ، وخفّة المهر ، والولادة ، والبكارة ، والنّسب ، وأن لاتكون قرابة قريبة فكل ذلك مما دلّت عليه الآثار والأخبار .

## فصل : فى آداب المعاشرة وما على الزوج والزوجة

أما الزوج ، فعليه الوليمة ، قال عليه الصلاة والسلام : « أوْلِمْ وَلَو بِشاةٍ » ، وعليه حُسن المعاشرة والرعاية وحُسن السياسة فى الغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب فى النشوز والوقاع . ويُكره العزل ، وإذا وُلد له ولد فيؤذّن فى أذن المولود . كذلك رُوى عنه صلى الله عليه وسلم ، و يحسن اسمه ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ بأسْمائِكُمْ ، فأحْسِنُوا أسْماءَكُمْ » ، ومن كان له اسم يكرهه ، فيستحب تبديله ، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام « لا تَجْمَعُوا بينَ اسمي وكُنْيَتِي » ، ويُستحبّ التحنيك بالتمر أو بحلاوة

وعلى المرأة طاعته فى جميع الأحوال ، والشفقة على أحواله وأمواله ، والرفق بأقاربه . وقد رُوى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « حَرَّمَ اللهُ على كُلِّ آدَمِيٍّ دُخُولَ الجنَّةِ قَبْلِي ، غيرَ أَنِّي أَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي فإذَا امْرأةٌ تُبادِرُنِي ، فأقُولُ : ما لِهَذِهِ تُبادِرُنِي البابَ ؟ فَيُقَالُ لى : يا مُحَمَّدُ هذِهِ امْرأةٌ حَسْناءُ ، وكانَ عِنْدَها يَتامَى فَصَبرَتْ عَلَيْهِنَّ حتى بَلَغَ أَمْرُهُمُ الَّذِي بَلَغَ ، فَشَكَرَ اللهُ تَعالى لَهَا ذلكَ » . ورُوى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يَحِلُّ لامْرأةٍ تُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ أكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ أيَّامٍ ، إلاَّ المَرْأةَ على الزَّوْجِ أرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » ويلزمها لزومُ مسكن النكاح إلى آخر العدة ، والله أعلم .

## الباب الثالث عشر

### فى آداب الكسب والمعاش وفيه فصول

يدلّ على فضله قوله عليه الصلاة والسلام : « مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لا يُكَفِّرُها إلاَّ الهَمُّ فِي طَلَبِ المَعِيشَةِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ » . وفى الخبر : « إنَّ اللهَ تَعالى يُحِبُّ المُؤْمِنَ المُحْتَرِفَ » . وقد ورد أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم « ما أُوحِيَ إلَيَّ أنِ اجْمَعِ المَالَ وكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ ، وَلكِنْ أُوحِيَ إلَيَّ أنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، واعْبُدْ رَبَّكَ حَتى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ » .

واعلم أن السؤال لايخلو عن نوع من الكراهية ، فالكسب أولى ، إلا فى حقّ من يتعلق به مصالح المسلمين ، فعند ذلك يكون ترك الكسب والقيام بتلك

Marfat.com

المصالح أولى ، فيكفى من مال المصالح أوغيرها ، ولهذا أشارت الصحابة على أبى بكر رضى الله عنه لما ولى الخلافة بترك التجارة فتركها ، وكان يكفى من مال المصالح ، وهو يقوم بمصالح الخلق .

## فصل : فى بيان شروط صحة المعاملات

أما البيع فله ثلاثة أركان : العاقد ، والمعقود عليه ، واللفظ . فلا ينبغى أن يعامل أربعا : الصبىّ ، والمجنون ، والعبد ، والأعمى ، ويجوز البيع من الكافر ، ولكن لايباع منه المصحف ، والعبد المسلم ، ولا يباع منه السلاح إ[ن] كان من أهل الحرب ، ولا يجوز بيع الخمر والودك النجس والعاج ، و[لا] شراؤها ، ويجوز بيع الدهن الذى نجس بوقوع نجاسة فيه،ولا يجوز بيع الكلب والحشرات والملاهى ، ويجوز بيع ماعليه الصور من الفرش واستعمالها ، لقو[له] عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها «اتخذى منها نمارق» ولا يجو[ز] استعمالها منصوبة ، ويجوز موضوعة . وينبغى أن يكون مملوكا مقدوراً [على] تسليمه ، معلوم العين . وينبغى أن يأتى بلفظ الإيجاب والقبول ، وفى المحقر[ات] والمطعومات قول أو وجه ، خرّجه ابن سريج أنه يكفى فيها المعاطاة لمس[يس] الحاجة . وأما الربا ، فقد ورد فيه تهديدات كثيرة ، فليحترز منه ، وا[لسلم] مباح ، وكذا الإجارة وشرائطها مستوفاة فى كتب الفقه فلتطالع .

## فصل فى بيان العدل والإحسان واجتناب الظلم فى المعاملات

اعلم أن المعاملة قد يفتى المفتى فيها بالصحة ، ولكن تشتمل على نوع من الظلم يتعرّض به العامل لسخط الله تعالى ، فمنه الاحتكار ، وهو فى الط[عام]

Marfat.com

المحتكر ملعون ، وفيه تشديدات عظيمة ، ومنه إخفاء العيوب فإن فيه خيانة ، ومنها تعديل الميزان ، ففي تركه تغليظات عظيمة . وفيه قوله تعالى ( وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ) . وبالجملة فجميع أنواع التلبيس محرّم ، فلا يجوز أن يقدم على شيء لايريد شراءه ، ويطلب ما فوق ثمنه ، ترغيبا للمشترى فيه ، ونهى عن بيع حاضرٍ لبادٍ ، ولو اشترى الشيء بمسامحة من رفيقه أو ولده فليذكره للمشترى حتى لايعول على شرائه . وينبغى أن يحسن ، وهو أن لايغبن غيره بما لم تجر العادة بمثله ، والمساهلة فى البيع والشراء مندوب إليها . قال عليه الصلاة والسلام : « رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَهْلَ البَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ سَهْلَ القَضَاءِ سَهْلَ الاقْتِضَاءِ » ، فمن اغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى معاملته ربح الدنيا والآخرة . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ تَرَكَ لَهُ حَاسَبَهُ اللهُ حسابا يَسِيرًا » . ومن الإحسان أن يُقيل من يستقيله . قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَقَالَ نَادِمًا صَفْقَتَهُ ، أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

## فصـــل

وينبغى أن لاتشغلك التجارة ، فتطلب الربح فى الدنيا ، وتضيع رأس المال فى الآخرة ، فتخسر خسرانا مُبينا ، فلتكن نيتك من التجارة الكسب فى طلب الحلال ، والتعفُّف عن السؤال ، وتحصيل الزاد ، لتتفرّغ به لطلب الآخرة .

واعلم أن السلف رضى الله تعالى عنهم كرهوا أخذ الأجرة على ماهو من قبيل العبادات ، وفروض الكفايات ، كغسل الأموات ودفنهم ، والأذان ، وصلاة التراويح . وإذا كان يريد بتجارته ماقدّمناه ، فلا يشغله سوق الدنيا عن

سوق الآخرة ، وهو المساجد ، قال الله تعالى ( رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجار
وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ) ، وذلك بأن يلازم من أول الصبح إلى ضحو
النهار المساجد ، ويرجع إليها عند فرائض الصلوات ، فكلما قرع الأذان سم
يترك ماهو فيه من المعاملات الدنيوية ، كان بعضهم إذا سمع الأذان ، وقد ر
المطرقة لايوقعها ، بل يتركها ، وليكن بقلبه فى السوق ذاكرا لله تعالى ، ف
ورد فيه فضائل . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقا
لاإلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، يُحْ
وُيميتُ ، وَهُوَ حَىٌّ لايَمُوتُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ على كُلِّ شَى
قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ » . وينبغى أن يكون مر
لمعاملاته ، حتى لايجرى فيها ما يتعذر عليه الخروج من عهدته يوم الحساب
فإنه سيحاسب على ماجرى منه من المعاملات ، ويطالب فيها بنيته ، وبحق
الناس أحفظها أم ضيعها ، والله أعلم بالصواب .

## الباب الرابع عشر

### فى الحلال والحرام

رُوِى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « طَلَبُ الحَلال
فَرِيضَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ » . وقد ركن من استولى عليه الكسل إلى
يبق الحلال ، فاسترسل فى كل شىء ، وذلك جهل ، فقد قال صلى الله عليه
وسلم : « الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُما أُمُورٌ مُتَشابِهاتٌ .

Marfat.com

## فضيلة الحلال

قال الله تعالى( يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبات واعْمَلُوا صَالحا )
ل صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أكَلَ الحَلالَ أرْبَعِينَ يَوْما نَوَّرَ اللهُ
بَهُ ، وأجْرَى يَنابِيعَ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ على لِسانِهِ » . وفى رواية
هَّدَهُ اللهُ فِي الدُّنْيا » . ورُوى أن سعداً سأل رسول الله صلى الله عليه
لم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مُستجاب الدعوة ، فقال عليه الصلاة
لام : « أطِبْ طُعْمَتَكَ تُسْتَجَبْ دَعْوَتُكَ » . وفى حديث ابن
س ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لِلهِ مَلَكا على بَيْتِ المَقْدِسِ
ى كُلَّ لَيْلَةٍ : مَنْ أكَلَ حَرَاما لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا
لٌ » . فقيل : الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة . وقال صلى الله عليه
: « مَنِ اشْتَرَى ثَوْبا بعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وفِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ
قْبَلِ اللهُ صَلاتَهُ ما دَامَ عَلَيْهِ » . وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام :
ل لَحْمٍ نَبَتَ مِنَ الحَرَامِ فالنَّارُ أوْلَى بِهِ ». وقال صلى الله عليه وسلم
مَنْ لَمْ يُبالِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَ المَالَ ، لَمْ يُبالِ اللهُ تعالى مِنْ
أيْنَ أدْخَلَهُ النَّارَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « العِبادَةُ عَشَرَةُ
أجْزاءٍ ، فَتِسْعَةٌ مِنْها فِي طَلَبِ الحَلالِ » رُوى مرفوعا وموقوفا . وقال
صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أصَابَ مالاً مِنْ مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِما ، أوْ
تَصَدَّقَ بِهِ ، أوْ أنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ ذلكَ جَمِيعا ، ثُمَّ
قَذَفَهُ فِي النَّارِ » . ورُوى أن الصدّيق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب
عبده ، ثم سأل عبده ، فقال : تكهّنت لقوم فأعطونى ، فأدخل أصبعه
فى فيه وجعل يَقِيءُ حتى ظننت أنه ستخرج روحه . ثم قال : اللهمّ إنى

Marfat.com

أستغفرك وأعتذر إليك مما حملت العروق ، وخالط الأمعاء . وفى الخبر « أنه عليه الصلاة والسلام أُخبرَ بذلك ، فقال : أوَ ما علمتم أنّ الصدّيق لايُدْخِلُ جوْفَهُ إلاّ طيّبا » . وقال ابن عباس رضى الله عنه : لايقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام . وقال سهل رضى الله عنه : من أراد أن يُكاشف بأحوال الصدّيقين فلا يأكل إلا حلالا طيبا ، ولا يعمل إلا فى سنة أو ضرورة .

## فصل : فى بيان درجات الحلال

واعلم أنه تحلّ الأموال المأخوذة من أهل الحرب بأىّ طريق أخذت وما يُهلك بالاصطياد أو الاحتطاب أو يستخرج من المعادن ، وما يؤخذ من أهل الحرب إنما يحلّ بعد إخراج الخمس إذا كان بقتال من السلطان ، والطين الذى يؤكل إنما يحرّم على من يتضرّر به . وقد ورد فى معناه ما يُشعر بعموم التحريم ، فينبغى أن يُحترز منه .

## بيان درجات الحلال والحرام

اعلم أن الحرام كله خبيث ، إلا أن بعضه أخبث من بعض ، والحلال كله طيب إلا أن بعضه أطيب ، فأول الدرجات وأقلها : أن يحترز مما يفتى الفقهاء بتحريمه . الدرجة الثانية : ورع الصالحين ، وهو الامتناع عما يتطرّق إليه احتمال التحريم وإن كان المفتى يرخص فيه بناء على الظاهر ، ولكنه من مواقع الشبه على الجملة . الدرجة الثالثة : ما لاتحرمه الفتوى ، ولا شبهة فى حلّه ، ولكن يخاف أداؤه إلى محرّم ، وهو ترك ما لابأس به مخافة ما به بأس . الدرجة الرابعة : ما لابأس

به أصلا ، ولا يخاف منه أن يؤدى إلى ما به بأس ، ولكنه يتناول لغير الله تعالى ، ولا على نية التقوّى به على العبادة ، أو يتطرّق إلى أسبابه المسهلة له كراهية تحريم أو معصية ، والامتناع منه ورع الصدّيقين .

## فصل : فى بيان مراتب الشبهات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحَلالُ بَيِّنٌ ، والحَرَامُ بَيِّنٌ وبَيْنَهُما أُمُورٌ مُتَشابِهاتٌ لايَعْلَمُها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهاتِ وَاقَعَ الحَرَامَ كالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ » .

## بيان القسم المتوسط

وهو الشبهة ، ومثاله : أن الماء من المطر حلال قطعا ، قبل أن يقع فى ملك ... ، والحرام المحض هو الخمر مثلا . ومثارات الشبهة خمس : أوّلها : ماوقع الشكّ فى سببه المحرّم والمحلل ، وذلك لايخلو إما أن يكون متعادلا ، أو غلب أحد الاحتمالين ، فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ، وإن غلب أحد الاحتمالين كان الحكم للغالب ، ونبين ذلك بأربعة أقسام :

القسم الأوّل : أن يكون التحريم معلوما ، ثم يقع الشكّ فى المحلل ، مثاله أن يرمى السهم إلى صيد فيجرحه ، ويقع فى الماء فيصادفه ميتا ، ولا يدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح ، فهذا حرام ، لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين ، وقد وقع الشكّ فى الطريق المعين ، فلا يترك اليقين بالشكّ ، والله أعلم.

القسم الثانى : أن يعرف الحلّ ويشكّ فى المحرّم ، فالحكم للحلّ كما إذا نكح رجلان امرأتين ، وطار طائر ، فقال أحدهما : إن كان غرابا فامرأتى طالق

Marfat.com

وقال الآخر : إن لم يكن غرابا فامرأتى طالق وبقى ملتبسا ، فلا يحكم بتحريم البتة ما لم يتبين ، والله أعلم .

القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ، ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب ، فهو مشكوك فيه ، والغالب حله ، مثاله : أن يرمى إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ، ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر ، فان ظهر سبب آخر من صدمة أو سقطة التحق بالقسم الأول . وقد اختلف قول الشافعى رحمه الله تعالى فى هذا القسم ، والمختار أنه حلال .

القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ، ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر شرعا ، فيرتفع الاستصحاب لضعفه ، ويحكم بغالب الظن . مثاله : أن يغلب على ظنه نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن ، فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به .

المثار الثانى للشبهة : شك منشؤه الاختلاط ، وذلك كأن يختلط الحرام بالحلال فيشتبه الأمر ولا يتميز ، والخلط لايخلو ، إما أن يقع بعدد لايحصر من الجانبين أو من أحدهما ، أو بعدد محصور ، وإن اختلط المحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج كالمائعات ، أو اختلاط استبهام مع التمييز كالأعبد وغيرها ، وذلك يتبين بأقسام ثلاثة :

القسم الأول : أن تستبهم العين بعدد ، كما لو اختلطت ميتة بعشر مذكيات أو رضيعة بعشر نسوة ، فهذا يوجب الاجتناب بالإجماع ، إذ لامجال للاجتهاد فيها .

القسم الثانى : حرام محصور ، مختلط بحلال غير محصور ، كما لو اختلطت عشر رضائع بنسوة بلد كبير ، فلا يحرم نكاح أهل البلد ، والعلة الغلبة والحاجة جميعا ، إذ كل من ضاع له محرم لايمكن أن يسد عليه باب النكاح

ومن علم أن مال الدنيا خالطه حرام لايحرم عليه الأكل والبيع ، إذ ما جعل الله عليكم فى الدين من حرج ، لأنه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجنّ وعباءة ، لم يمتنع أحد من شراء المجنّ والعباءة فى الدنيا ، فافهم تغنم ، والله أعلم .

القسم الثالث : أن يختلط حرام لايحصر ، بحلال لايحصر ، كالأموال فى زماننا هذا ، والذى أختاره أنه لايحرم تناول شىء بعينه إلا أن تقترن بتلك العين علامة معينة ، إلا أن تركه ورع . ومن جملة العلامات يد السلطان الظالم إلى غير ذلك من العلامات التى ستأتى ، ويدلّ على ماذكرناه أن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لم يتركوا المعاملات وأخذ الأموال ، مع كثرة أثمان الخمور وأموال الربا فى يد أهل الذمة . ومن جملة الشبهات : أن يكون الشىء مما قد اشترى فى الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام ، إلا أن يكون تسليم الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب فأكله قبل قضاء الثمن ، فهو حلال بالإجماع ، ولا ينقلب بأداء المال فى مقابلته من الحرام حراما ، بل غايته أن لاتبرأ ذمته ، فكأنه لم يقضِ الثمن ، ولا يحرم ما أكل وإن أبرأ ذمته ، مع العلم بكون الثمن حراما ، فهو يوجب براءة الذمة والحلّ ، والله أعلم .

## فصل : فى التجسس والسؤال

اعلم أنه لايحمد على كلّ حال ، ولا يترك بكلّ حال ، فان كان من يأخذ المال من يده على زىّ أهل الصلاح فحاله كافية ، وإن كان على زىّ أهل الظلم والفسق ، فكذلك أيضا ، وإن كان مستور الحال لاعلى زىّ أهل الصلاح والتجار ، ولا على زىّ أهل الظلم ، فالظاهر الاكتفاء بعدالة الإسلام



Marfat.com

ومنهم من جوّز السؤال ، وإذا كان للرجل إدرار ودخول من الحرام ومال السلطان ودهقنة ، فالورع تركه . ومنهم من نظر إلى الأكثر ، وجعل الاعتبار به . قال الحرث المحاسبي رحمه الله تعالى : إن من كان له صديق أوأخ فلا ينبغى أن يسأله ، لأنه ربما يبدو له ما كان مستوراً عنه ، فيؤدّى إلى الغضب وهو معصية فى الحال . واعلم أنه لافائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام ، لأنه ربما يكذب لغرض ، فالأولى أن يكون السؤال من غيره ، والله أعلم .

## فصل : فى الخروج من المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفى يده مال مختلط ، فعليه وظيفة فى تمييز الحرام وإخراجه ، ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج .

الوظيفة الأولى : فى كيفية التمييز والإخراج ، فان كان معينا من جهة غصب أو وديعة أو غيره فهو سهل ؛ وإن كان مختلطا مثلا بأن يعلم أن قدر نصف المال حرام أو بكسب تجارة فيها كذب وخيانة ، فعليه تمييز ذلك القدر وإن لم يعلم قدره أخذ بالاحتياط وغالب الظنّ واليقين .

الوظيفة الثانية : فى المصرف ، فاذا ميز الحرام ، فان كان له مالك معين يصرف إليه ، وإن لم يكن صرف لوارثه ، وإن كان غائبا انتظر حضوره ، أو تكلّف الإيصال إليه حيث هو ، وإن لم يكن له مالك معين تصدّق به أو صرفه إلى مصالح المسلمين من الرباطات والمساجد والقناطر ، وحسُن أن يسلّمه إلى القاضى إن كان أمينا ، وإلا لم تبرأ ذمته بالتسليم إلى قاض خائن ، وقد وردت أخبار وآثار تدلّ على جواز التصدّق بهذا المال الحرام وصرفه إلى المصالح ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدّق بالشاة المصلاة

Marfat.com

التي قدمت إليه ، فكلمته بأنها حرام ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أطْعِمُوها الأسارَى » .

فصل : فى إدرارات السلاطين وصلاتهم

وهو نوع من الإصلاحات ، وينبغى أن ينظر فيه ، فلا يأخذه إن كان من الخراج الموظَّف على المسلمين والمصادرات ، ويحلّ إن كان من المواريث والأموال الضائعة ، والفىء والغنيمة والجزية بشرط أن يكون فى صرفه إليه مصلحة أو حاجة . وذهب عمر رضى الله عنه إلى أنه ما من مسلم إلا وله فى بيت المال حقّ .

واعلم أن الجزية أربعة أخماسها للمصالح ، وخمسها لجهات معينة ، وإن كان يأخذ مال السلطان ليتصدّق به على الفقراء ، فمن الورعين من أمسك عنه . ومنهم من أقدم عليه ، ولعلّ الأولى الإقدام عليه بشرط أن لا يرغب فيه لنفسه ، ولا يقتدى به غيره ، ولا يظنّ بأخذه من السلطان أن ماله حلال فيجترئ بسببه على أمثاله ، والله أعلم . فافهم تغنم .

## الباب الخامس عشر

### فى آداب الصحبة

اعلم أن التحابب فى الله تعالى ، والأخوّة فى دينه من أفضل القربات ، وهو ثمرة حُسن الخُلُق ، وكلاهما محمودان. أما حسن الخلق فقال تعالى فيه : ( وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ) . وأما الأخوّة والإخوة ، فقال تعالى فيهما ( فأصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ) . وقال تعالى ( لَوْ أَنْفَقْتَ مافِي الأَرْضِ جميعا ما أَلَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ ) ... الآية . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ

Marfat.com

أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » . وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن آلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من آخى أخاً في الله تعالى ، رفعه الله تعالى درجة في الجنة ، لاينالها بشيء من عمله » .

## بيان معنى الأخوة فى الله تعالى وتمييزها عن الأخوة فى الدنيا

قال صلى الله عليه وسلم : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . وقال : « إن روحي المؤمنين المتقيين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط » . فالإنسان يحب غيره ، إما لذاته لكونه جميلا محبوبا فى ذاته ، أو لكونه وسيلة إلى غرض خارج عن ذاته ، وذلك الغرض متعلق بمصالح الدنيا ، وإما أن يكون وسيلة إلى حظ فى الآخرة ، وإما أن يكون لله وفى الله لاينال به دنيا ولا آخرة ، بل لكونه من عباد الله ، فمن أحب شيئا أحب من أحبه ، وهذا هو الأخوة فى الله ، وهو كما قال مجنون بنى عامر حيث يقول

أمرّ على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبى ولكن حبّ من سكن الديارا

وكما لابدّ من الحبّ فى الله ، فلا بدّ من البغض فى الله ، فمن أحبّ إنسانا لكونه حبيب حبيبه ومطيعا له ، فلا بدّ وأن يبغض عدوّه لكونه عاصيا له

## فصل

اعلم أن كلّ أحد لايصلح للصحبة ، قال صلى الله عليه وسلم : « المَرْءُ على دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلْ » فلا بدّ من اعتبار عدّة خصال : أن يكون عاقلا ، حسن الخُلُق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال ، قال أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهـــل وإيّاك وإيّاه
فكم من جاهل أر دى حليما حين آخاه
يُقاس المــرء بالمر ء إذا ما المرء ماشاه
وللشىء من الشى ء مقاييس وأشباه
وللقلــب على القل ب دليل حين يلقاه

كيف والأحمق يضرّك ، وهو يريد أن ينفعك ؟ وقال بعضهم :

إنى لآمن من عــدوّ عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فنّ واحد وطريقه أدرى فارصد والجنون فنون

ولذلك قيل : مقاطعة الأحمق قُربان إلى الله تعالى ، وكذا الفاسق لافائدة فى صحبته ، لأن من يخاف الله لايصرّ على كبيرة ، ومن لايخاف الله لاتؤمن غائلته. قال الله تعالى (وَلا تُطِـعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا واتَّبَعَ هَوَاهُ ) والطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى ، وكذا المبتدع . وأما حُسن الخلق فقد جمعه علقمة فى وصيته لابنه رحمه الله لما حضرته الوفاة ، قال : يا بنىّ ، إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا

Marfat.com

مددت يدك بخير مدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن رأى منك سيئة سدّها ؛ اصحب من إذا سألته أعطاك ، وإن سكتّ ابتداك ، وإن نزلت بك نازلة واساك ؛ اصحب من إذا قلت صدّق قولك ، وإذا حاولت أمرًا آمرك . وإن تنازعتما آثرك . وقال عليّ بن أبي طالب :

إن أخاك الحقّ من كان معك ... ومن يضرّ نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدّعك ... شتّت فيك شمله ليجمعك

وكان فى السلف من يتفقّد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجاتهم . ويتردّد كل يوم إليهم ويمونهم بماله ، فكانوا لايفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لايرونه من أبيهم فى حياته ، ويحسُن أن يكون عالما بعد الورع لينتفع بعلمه أيضا . قال لقمان : يا بنيّ ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فان القلوب تحيا بالحكمة ، كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر .

## فصل : فى حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوّة رابطة بين شخصين ، كعقد النكاح بين الزوجين فإذا انعقدت الأخوّة ، فذلك يوجب حقوقا عليك فى المال والنفس واللسان والقلب ، بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء ، وترك التكلف .

الأول فى المال : وأقله أن يكون مثل عبدك ، فيكون أمره من مهماتك وأوسطه أن يكون مثلك ، فإن الأخوّة توجب الشركة والمساواة ، وأعلاها أن تؤثره عليك ، فتخلّ بأمر نفسك لينتظم حاله ، وهومن أعلى الدرجات ، فقد ورد فى الآثار أخبار كثيرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ إلاَّ كانَ أَحَبُّهُمَا إلى اللهِ تَعَالى أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ »

الثانى : الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات ، والقيام بها قبل السؤال ، وهذا له درجات توازى ماسبق من درجات المال فى المقامات الثلاثة .

الثالث : أن لاتواجهه بشىء يكرهه . قال أنس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايواجه أحداً بشىء يكرهه . واعلم أنك لو كنت تطلب من هو خال من العيوب فلا تجده . قال الشافعى رضى الله عنه : ما أحد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ، ولا أحد يعصى الله فلا يطيعه ، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل ، فإذا كان هذا عدلا فى حقّ الله تعالى فهو فى حقك أولى ، فكن ممن يظهر الجميل ويستّر القبيح ، لأن الله تعالى وصف بذلك فى الدعاء ، فقيل : يا من يُظهر الجميل ويستّر على القبيح .

واعلم أن المرضى عند الله تعالى من يتخلّق بأخلاقه ، وهو ستّار العيوب غفّار الذنوب . واعلم أنه لايتمّ إيمان الرجل حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ، ولا شكّ أنه ينتظر منه ستر العورات ، والعفو عن الزلات ، وأن يكتم سرّه . وقد قيل : قلوب الأحرار قبور الأسرار . وقيل : إن قلب الأحمق فى فيه ، ولسان العاقل فى قلبه . وقال ابن المعتزّ :

ومستودعى سرّا تبوأت كتمه ... فأودعته صدرى فصار له قبرا

الرابع : النطق بما يحبه من المدح من غير خروج عن الحقّ . قال عليه الصلاة والسلام : « إذَا أحبَّ أحَدُكُمْ أخاهُ فَلْيُخْبِرْهُ » وذلك لأنه يوجب زيادة فى الحبّ . وما أحسن ما قيل فى هذا المعنى :

خذ من خليلك ما صفا ... ودع الذى فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا ... تبة الخليل على الغير

وقيل بيت مفرد :

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أىّ الرجال المهذّب

الخامس : الوفاء والإخلاص ، وذلك بالثبات على الحبّ ومداومته إلى الموت وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه . رُوى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه ، فقيل له فى ذلك ، فقال: « إنَّها كانَتْ تأْتِينا أيَّامَ خَدِيجَةَ » . واعلم أن حُسن العهد من الإيمان ، وأن كرم العهد من الدين . وينبغى أن ترى الفضل أبدًا للإخوان لا لنفسك . وقد قيل فيه هذان البيتان :

تذلَّل لمن إن تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له

## فصل : فى حقوق المسلم والرحم والجوار

أما حقوق المسلم : فهو أن يسلِّم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه . ويشمِّته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات ، ويبرّ قسمه إذا أقسم ، وينصح له إذا استنصحه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب . ويحبّ له ما يحبّ لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أرْبَعٌ مِنْ حَقّ المُسْلِمِينَ عَلَيْكَ : أنْ تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ وأنْ تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ ، وأنْ تَدْعُوَ لِمُدْبِرِهِمْ ، وأنْ تُحِبَّ تائِبَهُمْ » . ومنها : أن لا تؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ » ؛ وقال عليه الصلاة والسلام : « المُؤْمِنُ مَنْ أمِنَهُ المُؤْمِنُونَ على أنْفُسِهِمْ وأمْوَالِهِمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم « المُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَاجْتَنَبَهُ » . ومنها : أن يتواضع لكلّ مسلم ولا يتكبر عليه ، فان الله تعالى لا يحبّ كلّ مختال فخور ، وإن تكبر عليك أحد فلتحتمل ، لقوله تعالى (خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ

بالجاهلين ) ومنها : أن لايسمع بلاغات الناس ، لاعلى نفسه ولا على غيره ، ولا يفعل هو أيضا . قال صلى الله عليه وسلم « : لايَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ » . ومنها : أن لايزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام ، ولا يدخل على أحد إلا بإذنه ، ويخالق الجميع بخلق حسن ، فيوقر المشايخ ويرحم الصبيان ، ويكون مع كافة الخلق طلق الوجه ، ولايعد لمسلم بوعد إلا ويفى به . ومنها : أن يصلح ذات البين بين المسلمين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أُخبِرُكُمْ بأفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيامِ والصَّلاةِ والصَّدَقَةِ ؟ قالوا : بلى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إصْلاحُ ذَاتِ البَيْنِ ، وأنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ » . ومنها : أن يتقى مواضع التهم ، ويشفع لمن له حاجة عند من له عنده منزلة ، وأن يبدأ بالسلام قبل الكلام ، وأن يصون عرض أخيه وماله ، من ظلم غيره ما وجد إليه سبيلا . ومنها : أنه إذا بلى بذى شرّ جامله ويداريه . ومنها : أن يزور قبورهم فيدعو لميتهم .

وأما حقوق الجوار : فاعلم أن الجار يستحقّ ما يستحقه المسلمون كافّة وزيادة بسبب الجوار . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « الجِيرَانُ ثَلاثٌ : جارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ ، وجارٌ لَهُ حَقَّانِ ، وجارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ . فالجارُ الَّذِى له ثَلاثَةُ حُقُوقٍ : الجارُ المُسْلِمُ ذُو الرَّحِمِ ، والجارُ الَّذِى لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ : الجارُ المُشْرِكُ ، والجارُ الَّذِى لَهُ حَقَّانِ : الجارُ المُسْلِمُ » فاثباته الحقّ للمشرك بسبب الجوار دلّ على تأكد حقّ الجوار . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بالجارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ » .

وأما حقوق الأقارب والرحم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يَقُولُ

Marfat.com

الله تعالى ، أنا الرحمن الرحيم ، وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » . وقال عز وجل لموسى صلوات الله عليه وسلامه : « يا موسى إنه من بر والديه وعقني كتبته براً ، ومن عق والديه وبر بي كتبته عاقاً » .

## حقوق المملوك

وقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا ، وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله تعالى ، فإن الله ملككم إياهم ، ولو شاء الله ملكهم إياكم » .

# الباب السادس عشر

## فى العزلة

اعلم أنه قد اختلف الناس فيها ، فذهب بعضهم إلى استحباب العزلة وتفضيلها على المخالطة ، مثل سفيان الثورى وإبراهيم بن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ، وبشر الحافى . وذهب أكثر التابعين إلى استحباب المخالطة ، واستكثار الإخوان للتعاون على البر والتقوى ، واستدل الجميع بما ورد فى الأخوة والألفة من قوله عليه الصلاة والسلام لما أتى برجل كان قد أتى الجبل ليتعبد فيه ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا تفعل أنت ولا أحد منكم ، لصبر أحدكم فى بعض مواطن الإسلام

خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ أحَدِكُمْ أرْبَعِينَ عاما » . واستدلّ من فضل العزلة
كفضيل رضى الله عنه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعبد الله بن
عامر الجُهنىّ لمَّا قال : يا رسول الله ما النَّجاةُ ؟ قال صلى الله عليه وسلم :
لِيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وأمْسِكْ عَلَيْكَ لِسانَكَ ، وَابْكِ على خَطِيئَتِك»

## فصل : فى فوائد العزلة وغوائلها
## وكشف الحقّ فى فضلها

واعلم أن الأمر فيها يختلف باختلاف الأشخاص . أما فوائد العزلة :
التمكن من المواظبة على الطاعات ، وتربية العلم ، والتخلص من ارتكاب
المناهى التى يتعرّض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة وترك الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر ، ومسارقة الطبع من الأخلاق الذميمة ، وكذلك يتفرّغ
لصالح دنياه من الحرف والصناعات .

فالفائدة الأولى : الفراغ للعبادة ، والتفكر والاستئناس بالله تعالى ومناجاته
ومطالعة الملكوت ، وذلك إنما يأتى بالعزلة ومفارقة الخلق ، ولهذا قال بعض
الحكماء : ولا يتمكن أمن الخلوة إلا بالأنس بكتاب الله تعالى ، والمتمسكون
بكتاب الله تعالى ، هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله ، والذاكرون الله
تعالى عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ، واتقوا الله بذكر الله ، ولا شكّ أن
هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى ابتداء أمره يتبتّل فى جبل حراء ، فإذا دام الرجل على الخلوة انتهى
أمره إلى ماقال الجنيد رضى الله عنه : أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون
أنى أكلمهم . وقيل لبعضهم : ما حملك على الوحدة ؟ فقال : لست وحدى إنما
أنا جليس الله ، فإذا أردت الله أن يناجينى قرأت كتاب الله ، وإذا أردت أنا

أناجيه صلّيت . وقيل : بينما أُويس القرنى جالس ، إذ أتاه هرم بن حيان ، فقال له : ما جاء بك ؟ قال : جئت لآنس بك . قال : ما كنت أدرى أن أحدًا يعرف ربه فيأنس بغيره . وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربى ، وإذا رأيت الصبح أدركنى استوحشت كراهة لقاء الناس وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى . وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة الخلق ، فقد قلّ عمله وعمى قلبه وضيع عمره .

الفائدة الثانية : التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرّض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ، ويسلم منها فى الخلوة ، وهى الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسيأتى ذكره فى موضعه . وعلى الجملة الحكم بأن الأولى واحد منهما على الإطلاق محال ، فإنه يختلف باختلاف الأشخاص والاعتدال هو الأولى ، وهو أن لاينقبض كلّ الانقباض ، فتفوته الفوائد الموقوفة على المخالطة ، ولا ينبسط كلّ الانبساط ، فتفوته فوائد العزلة وينوى بالعزلة أن يعتزل الناس من شرّه ، ويقبل بكليته على ذكر ربه ، ولا يطيل الأمل فتأمن نفسه ذلك لتخيل طول الأمل ، وينوى الجهاد الأكبر بالعزلة ، وهو جهاد النفس ، كما قالت الصحابة : رَجَعْنا مِنَ الجهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ . والله أعلم ، فافهم تغنم ، والله أعلم ، وإليه المرجع والمآب .

## الباب السابع عشر

### فى السفر

اعلم أن السفر سفران : سفر بالظاهر فى آفاق الأرض وأقطارها ، وسفر بالباطن إلى الله تعالى ، وهو ما دلّ عليه قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم

Marfat.com

إنى ذاهبٌ إلى ربى سيهدين ) ويدل على السفرين جميعا قوله تعالى :
سنريهم آياتنا فى الآفاق ) . . . الآية ، فالسفر الأعظم : هو السفر
السرّ إلى الله تعالى ، وهذا المسافر سيره أبداً فى جنة عرضها السموات
الأرض فى منازل لاتضيق مواردها ومناهلها بكثرة الواردين ، بل تتضاعف
بكثرة المسافرين ، ومن حرم هذا السفر فقد حرم الخير كله ، وبقى فى حضيض
يرفع عنه أبد الآبدين . وجميع الآداب والسنن التى وردت بها الأخبار
الآثار هى آداب لهذا السفر ، وهو سفر الآخرة . وأما السفر الظاهر الذى
يختص بنقل الأقدام وقطع المنازل ، فنحن نبين فائدته وآدابه فى فصول :

## فصـــل

ينبغى أن يصحح أولا لقصد السفر نيته ، إما لحجّ أو زيارة عالم أو ولىّ
حيا أو ميتا ، أو للمقام بالثغور والمرابطة بها ، أو الفرار مما لايطاق من خلل
الدين أو الدنيا ، أو لتجارة فى طلب الحلال حتى لاتكون حركته لمحض
الدنيا ، فيضيع تعبه ونصبه . واعلم أن النفس إنما تظهر رذائلها وخبائثها
باختلاف الأحوال ، وذلك فى السفر كثير . وقد بيّنا بعض آداب السفر
فى كتاب الحجّ ، والرخص التى تثبت فى السفر هى المسح على الخفّ ثلاثة أيام
بعد أن يكون لبس الخفّ بعد تمام الوضوء والتيمم للفرض والقصر والجمع
وأداء النوافل على الراحلة وأداؤها ماشيا والفطر . وينبغى أن يتعلم دلائل القبلة
والمنازل فيما يتهيأ له من السفر ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ،
فافهم تغنم ، والله أعلم .

Marfat.com

## الباب الثامن عشر

### فى السماع والوجد

اعلم أن السماع قد اختلف الناس فيه ، فمنهم من حرّمه ، ومنهم من أباحه. ونبين حقيقة السماع وإباحته فنقول : السماع هو استماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى ، محرّك للقلب ، وليس فى جملة ذلك إلا التذاذ حاسة السمع والقلب ، فهوكالتذاذ حاسة البصر بالنظر إلى الخضرة والتذاذ القلب به . وقد قال الله تعالى ( يَزِيدُ فِي الخَلْقِ ما يَشاءُ ) ففسّروه بالصوت الحسن . وقال صلى الله عليه وسلم فى أبى موسى الأشعرى : « لَقَدْ أُوتِىَ مِزْماراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » . وفى الحديث : « ما بَعَثَ اللهُ نَبيا إلاّ وَهُوَ حَسَنُ الصَّوْتِ » ومحال أن يقال : هو مباح لكتاب الله تعالى وتلاوته ، فإذ استماع صوت العندليب مباح ، فإذا كان استماع الصوت الطيب مباحا . فبأن يكون موزونا لايحرُم ، كيف وأصوات الغناء موزونة نوعا من الوزن ذ مقاطع ومباد متناسبة ، وهذا لايختلف بخروج هذا الصوت الطيب من حلق آدمى أو طير أو غيرهما ، وينبغى أن يُقاس على أصوات الطيور ما يخرج من الأجسام كالطبل والقضيب والدفّ والقصب ، فلا يستثنى من جملتها إلا ماور النصّ بتحريمه ، وذلك كالأوتار والمزامير التى كانت معتادة للشرب إ اقتضى المنع من شرب الخمر أن يمنع من متمماته وتوابعه ، مبالغة فى الفطام حتى اقتضى ذلك كسر الدنان فى الابتداء ، ويدلّ على ماذكرناه من جوا ما روى عن الصحابة من التغنى بالأبيات حتى رُوى فى الصحيحين ع أبى بكر وبلال لما قدما المدينة أن بلالا كان مريضا ، فاذا أقلعت عنه الحم قال رافعا صوته رضى الله عنه :

Marfat.com

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقال أبو بكر رضى الله عنه :

كل امرئ مُصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةِ ، فارْحَمِ الأنْصَارَ والمُهاجِرَةِ » كل ذلك فى الصحيحين .

## فصل : فى آثار السماع

من حيث إنه محرّك للقلب ، ومهيج لما هو غالب عليه ، فنقول : إن لله سرّا فى مناسبة الأصوات الموزونة للأرواح ، فتؤثر فيها تأثيرا غريبا ورثها الحزن مرّة ، والفرح مرّة ، والبكاء مرّة ، والضحك أخرى ، وتوجب حركات فى الأعضاء غريبة عجيبة ، ولا تظنّ أن ذلك لفهم المعنى فحسب ، ذلك مشاهد فى الحيوانات ، خصوصا فى الإبل ، ومُشاهد فى الطفل الذى يتكلم ولا يفهم ، ومُشاهد فى أصوات الأوتار التى لا تفهم ، وعلى الخصوص الإبل ، فإنها كلما طالت عليها البرارى وأعيت تحت الأحمال ، وتسمع الحداء ، فتمدّ أعناقها وتطوى المراحل ؛ فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى ، قال : كنت فى البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب ، فأضافنى رجل وأدخلنى خباء ، فرأيت عبدًا أسود مقيدًا بقيد ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدى البيت ، ورأيت جملا قد نحُل وهزل كأنه تخرج روحه ، فقال لى الغلام : أنت ضيف ولك حقّ ، فتشفّع لى فإنه يُكرم ضيفه فلا يردّ شفاعته ، فلعله يحلّ القيد عن رجلى ؛ فلما أحضر الطعام امتنعت وقلت : لا آكل ما لم أشفع فى هذا العبد ، فقال : إن هذا الغلام قد

أهلك جميع مالى ، قلت : ماذا فعل ؟ فقال : إن له صوتا طيبا ، وكنت أعيش من ظهور هذه الجمال ، فحملها أحمالا ثقالا ، وكان يحدو ، حتى قطع مسيرة ثلاث ليال فى ليلة واحدة من طيب نغمته ؛ فلما حطّت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل ، ولكن أنت ضيفى قد أكرمتك ووهبته لك ، فأحببت أن أسمع صوته ؛ فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يسقى الماء من بئر هناك ؛ فلما رفع صوته ، هام الجمل وقطع حباله ، ووقعت أنا لوجهى ، فما أظنّ أنى سمعت صوتا أطيب منه ، فإذا للسماع تأثير غريب ؛ ومن لم يحرّكه السماع فهو ناقص العقل مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية ، وكان الطير يقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته : قال أبو سليمان : السماع لا يحصل فى القلب ما ليس فيه ، وإنما يحرّك ما هو فيه ، فتكره أصوات النياحة لأنها تحرّك ما هو مذموم ، وهو التأسف على الفائت قال الله تعالى ( لِكَيْلَا تَأْسَوْا على مافاتكُمْ ) . وقد ورد فيه أخبار كثيرة . ولا يُكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها ، فإن فيها تحريكا لزيادة سرور مباح ، أو مندوب ، ويدلّ عليه ما رُوى من إنشاد النساء بالدفّ والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة :

طلع البــدر علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ويدلّ عليه ما رُوى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأم . ومما روى مسلم والبخارى أيضا فى صحيحيهما عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها : أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدفقان ويضربان ، وال

Marfat.com

لى الله عليه وسلم متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر رضى الله عنه ، فكشف
بى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دَعْهُمَا يا أبا بكْرٍ فإنَّها أيَّامُ
يدٍ » . وفى حديث آخر نحوه وفيه « يغنيان ويضربان » فهذه الأمور دلّت
لعا على إباحة السماع ، ودلّت على إباحة صوت النساء إذا لم يكن بحيث
ف الفتنة . وعلى الجملة فالسماع مهيج لما فى القلب ، فإن كان فى قلبه عشق
ح ، فتهييجه جائز ، وإن كان حراما فتهييجه غير جائز ، هذا فى سماع أهل
فلة . وأما سماع أرباب القلوب الذين اشتهروا بحبّ الله والشوق إليه . وهم
ين لاينظرون إلى شىء إلا ويرونه فيه ، ولا يقرع سمعهم شىء إلا وسمعوا
أو فيه فسماعهم مؤكد للحب والعشق ، مهيج للشوق . ومن زناد القلوب
خرج لضروب المكاشفات والملاطفات ، لايحيط الوصف بها ، يعرفها
ذاقها ، ويُنكرها من كَلّ حسه عن دركها ، ويسمّى فى لسان الصوفية
دًا ، وما يزيد فى حبّ الله تعالى والشوق إليه إن لم يعدّ من الفرائض ، فلا
من أن يكون من المباحات ، كيف وهو مشير لما استدعاه رسول الله صلى
عليه وسلم بدعائه حيث قال : « اللّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ ، وحُبَّ مَنْ
بّكَ ، وَحُبَّ مايُقَرِّبُنِي إلى حُبِّكَ » ، فاعلم الآن أن السماع محرّك
طن ، فمن الناس من قويت منته وكمل أمره فلا يحتاج إلى محرّك من خارج .

## فصـــل

اعلم أن من الآداب : حُسن الإصغاء وترك الشهقة والحركة ما وجد إليه
سبيلا ، خصوصا للشاب بين يدى المشايخ ، وللمبتدى بين يدى المنتهى .
ومن الواجبات أن يراعى فيه أحوال قلبه ونفسه حتى لاتدعوه نفسه إلى المراءاة



Marfat.com

بالحركات وإظهار الوجد، ولقد ذهب بعضهم إلى تجويز التواجد رجاء لتحقيق الوجد وتهييج ما هو كامن فى الباطن ككمون النار فى الحجر . والله أعلم ، فافهم تغنم . والله أعلم بالصواب .

## الباب التاسع عشر
## فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

اعلم أنهما من أصول الدين ، فبهما يحصل الغرض من بعثة الأنبياء ، ويدل عليه قوله تعالى ( وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ) . . . الآية . وفى الخبر ما رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ، وتؤولونها على خلاف تأويلها ( يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ . لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ ) وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما مِنْ قَوْمٍ عَمِلُوا بالمَعاصِي وَفِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ على أنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِم فَلَمْ يَفْعَلْ إلاَّ يُوشِكُ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » . ورُوى عن أبى ثعلبة الخشنى أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ( لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ ) فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا ثَعْلَبَةَ مُرْ بالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ ، فاذَا رأيْتَ شُحًّا مُطاعا ، وَهَوًى مُتَّبَعا ، ودُنْيا مُؤْثَرَةً ، وإعْجابَ كُلِّ ذِي رأيٍ برأيِهِ ، فَعَلَيْكَ بنَفْسِكَ . وَدَعْ عَنْكَ العَوَامَّ ، إنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ ، للمُتَمسكِ فِيها بِمِثْلِ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ أجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ » الحديث

Marfat.com

## فصـــل

اعلم أن الأمر بالمعروف له أركان أربعة : المحتسب ، والمحتسب عليه ، والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب . أما المحتسب : فشرطه أن يكون مسلما مكلفا ، فيدخل فيه آحاد الرعايا ، ولا يشترط فيه التولية بالإذن . الشرط الثانى : الإسلام ، لأنه نُصرة للإسلام . واختلفوا فى شرط العدالة ، فذهب بعضهم إلى اشتراطها ، لقوله تعالى ( لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ ) ، ولقوله عزّ وجلّ ( أتأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرّ وتَنْسَوْنَ أنفُسَكُمْ ) . وقد ورد فيه أخبار كثيرة . ومنهم من ذهب إلى أنه لاتشترط فيه العدالة ، وهو الحقّ ، لأنه بالإجماع لاتشترط العصمة إذا اختلف الناس فى عصمة الأنبياء من الصغائر فكيف ترجى لغيرهم العصمة ، ثم هذا يؤدّى إلى تركه ، إذ لايوجد هذا الشرط ، فأىّ بعد فى أن يشرب هو ويمنع غيره ، ويقول : علىّ وظيفتان : إحداهما الانتهاء ، والثانى النهى ، وأنا فاعل إحداهما رجاء أن أوفّق للثانية تركه ، ويمنع الكافر عنه لأن فيه تسلطا على المسلمين ( ولَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلكافِرِينَ على المُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ) ، والمسلم يفعل ذلك، فيمنع الناس بالتهديد والتخويف ، والضرب على حسب ما يليق فى كلّ شىء به ، وذلك لايختلف بالسلطان والإمام وغيرهما ، فكلّ من ارتكب ما لاينبغى يحتسب عليه ، ويدلّ على ذلك ماروى أن مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة فى العيد ، فقال له رجل : إنما الخطبة بعد الصلاة ، فقال مروان : أترك ذلك يافلان ، فقال أبو سعيد الخدرىّ رضى الله عنه : أما هذا فقد قضى ماعليه ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَأى مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بيَدِه ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذلكَ أَضْعَفُ

Marfat.com

الإيمَان » ، وحصل من هذا أيضا أن الاحتساب على مراتب . الشرط الآخر : أن يكون كون المحتسب فيه ، وهو الركن الآخر ، معلوما كونه منكرا بغير الاجتهاد فلا يكون فى محل خلاف الأئمة المعتبرين ، فلا ينكر الشافعى على الحنفى شرب النبيذ الذى لايُسكر ، ولا الحنفى على الشافعى أكل الضبّ والضبع .

والركن الآخر هو المحتسب عليه ، وشرطه أن يكون إنسانا ، لأنه يمنع الصبيّ من شرب الخمر ، نعم من الأفعال ما ليس منكرًا فى حقّ المجنون والصبيّ ، ولا يُمنعان منه .

## بيان آداب المحتسب

وليكن عالما ورعا ، حسن الخلق ، يتلطف فلا يعنف . أما العلم فليعلم حدود الاحتساب والورع ليقتصر على الحدّ المشروع فيه ، ويحسُن الخلق بتلطف فلا يعنف ، كيلا يتجاوز حدّ الشرع فيفسد أكثر مما يصلح ، فيكون فى احتسابه نوع شفقة ، حتى إنه إذا امتنع عليه أحد أو قابله بما يكره ، فلا يتجاوز حدّ الشرع ، وينسى الاحتساب ، ويأتى المنكر فى نفس الاحتساب

## فصل : فى المنكرات المألوفة فى العادات

وهو كمن انحرف عن القبلة ، أو لايطمئنّ فى ركوعه وسجوده فى صلاته أو يلحن فى قراءته ، فإنه يجب التنبيه فى أمثال ذلك ، وهو من أفضل القربات وهو أولى من الاشتغال بالنوافل . ومنها : تراسل المؤذّنين فى أذانهم وتطويلها ومدّ الكلمات بحيث يخرج عن الحدّ ، وتكرير الأذان مرّة بعد أخرى فى مسجد واحد بعد الصبح ، إذ لافائدة فيها . ومنها : لبس الثوب الذى [illegible] زيادة إبريسم . ومنها : كلام الفساق الذين يمزحون بالبدع . ومنها : الح[illegible]

Marfat.com

يوم الجمعة لبيع الأدوية والتعويذات ، ويستدلّ بما ذكرنا على أمثالها ، فلا مطمع فى إحصائها .

## فصل : فى أمر السلاطين بالمعروف ونهيهم عن المُنكر

اعلم أن للاحتساب أربع درجات : التعريف ، ثم الوعظ ، ثم التخشين فى القول ، ثم المنع بالقهر . ولا يجوز فى حقّ السلاطين والأمراء إلا التعريف والوعظ . وأما التخشين والمنع قهرا ، فذلك يحرّك فتنة ويورث أمورا ، هى أفحش مما هم ملابسوه ، نعم إن كان يعلم أن المخاشنة تفيد ولا تورث أمرا محذورا فلا بأس به . ومنهم من لم يكترث بذلك أيضا ، ويدلّ على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، ثُمَّ رَجُلٌ قامَ إلى إمامٍ فأمَرَهُ ونَهاهُ فِي ذاتِ اللهِ عزَّ وجَلَّ فَقَتَلَهُ على ذلكَ » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أفْضَلُ جِهادٍ كَلِمَةُ الحَقِّ عِنْدَ سُلْطانٍ جائِرٍ » ، وإن صاحب ذلك إن قُتل فهو شَهيد كما وردت به الأخبار وقد رُوى عن ضبة بن محصن العنزى ، قال : كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرًا بالبصرة ، كان إذا خطبنا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فغاظنى ذلك منه ، فقمت إليه وقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ، فكتب إلى عمر يشكونى ، يقول فى شكواه : إن ضبة بن محصن العنزى يتعرّض لى فى خطبتى ، فكتب إليه عمر أن أشخصه إلىّ ، قال : فأشخصنى إليه ، فقدمت إليه فضربت عليه الباب ، فخرج إلىّ ، فقال : من بالباب ؟ فقالت أنا ضبة ابن محصن العنزى قال : فقال بك لامرحباً ولاأهلا ، قلت : أما المرحب فمن

Marfat.com

الله تعالى ، وأما الأهل فلا أهل لى ولا مال ، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصى من البصرة بلا ذنب أذنبته ولا شىء أتيته ؟ قال : ما الذى شجر بينك وبين عاملى؟ قال قلت : الآن أخبرك أنه كان إذا خطبنا فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لك ، فغاظنى ذلك منه ، فقمت إليه : فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ، فصنع ذلك جمعا عديدة ، ثم كتب إليك يشكونى ، قال : فاندفع عمر باكيا وهو يقول : أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر ذنبى يغفر الله لك ؟ قال : قلت غفر الله تعالى لك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم اندفع باكيا وهو يقول : والله لليلة من أبى بكر ويوم ، خير من عمر وآل عمر ، ، فهل لك أن أحدثك ليلته ويومه ؟ قلت نعم ؛ قال : أما الليلة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين ، خرج ليلا فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرّة أمامه ، ومرّة يمشى خلفه ، ومرّة يمشى عن يمينه ، ومرّة يمشى عن يساره ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا أبا بكر ، ما أعرف هذا من أفعالك ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرّة عن يمينك ومرّة عن يسارك ، ولا آمن عليك ، فمشى النبىّ صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ؛ فلما ر[آه] أبو بكر رضى الله عنه أنه حفى حمله على عاتقه ، وجعل يشتدّ به حتى أتى الغار فأنزله ، فقال : والذى بعثك بالحقّ لاتدخله حتى أدخله ، فإن كان [فيه] شىء نزل بى قبلك ، قال : فدخل فلم ير فيه شيئا ، فحمله فأدخله ، وك[ان] فى الغار حجر مخروق ، وفيه حيات ، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخر[ج] منه شىء من الحيّات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، فخرج منه حية فلدغته ، فجعلت دموع أبى بكر تتحدر على خدّه من ألم ما ي[جد]

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا بكر لاتحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته والطمأنينة لأبي بكر ، فهذه ليلته . وأما يومه : فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّت العرب ؛ فقال بعضهم : لانصلى ، وقال بعضهم : لانزكى ، فأتيته لا آلوه نصحا ، فقلت : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تألّف الناس وارفق بهم ، فقال : أجبّار فى الجاهلية ، خوّار فى الإسلام ؟ فبماذا نتألّفهم ، قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى ، والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، قال : فقاتلنا عليه ، فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه ، وكتب إلى أبى موسى يلومه ، فافهم تغنم ، والله أعلم .

## الباب العشرون

### فى آداب المعيشة ، وأخلاق النبوّة

بيان آدابه صلى الله عليه وسلم : اعلم أنه كان كثير الضراعة والابتهال ، دائما يسأل الله تعالى أن يحسنه بمحاسن الآداب ، وأن يزينّه بمكارم الأخلاق ، فكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : « اللّهُمَّ حَسِّنْ خُلُقِي وخَلْقِي » . قال سعيد بن هشام : دخلت على عائشة رضى الله عنها ، فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن . وإنما أدبه بالقرآن بمثل قوله تعالى ( خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ ) ، وقوله تعالى ( إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ والبَغْيِ ) ، وقوله تعالى ( وَاصْبِرْ على

ما أصابَكَ إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأمُورِ ) إلى آيات كثيرة ، وكُسرت رباعيته يوم أحد ، فجعل يسيل الدم على وجهه وهو يمسح الدم ويقول : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى رَبِّهِ ، فأنزل الله تعالى قوله (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ )» تأديبا على ذلك . واعلم أن مثل هذه الآيات فى القرآن كثيرة ، وهو المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ، ثم منه يشرق النور على كافَّة الخلق . قال صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخْلاقِ » . وقال علىّ رضى الله عنه : ياعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة ، فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لايرجو ثوابا ، ولا يخشى عقابا ، لقد كان له أن يسارع فى مكارم الأخلاق ، فانها تدلّ على سبيل النجاة ، فقال رجل : أسمعته من النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم .ولما أُتِىَ بسبايا طىْ وقعت جارية فى السبى فقالت : يا محمد أرأيت أن تخَلِّى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الذمار ، ويفكّ العانى ، ويُشبع الجائع ويُطعم الطعام ، ويُفْشى السلام ، ولم يردّ صاحب حاجة ، أنا ابنة حاتم طى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارِيَةُ هذِهِ صِفَةُ المُؤْمِنِ حقًّا ، لَوْ كانَ أبُوكِ مُسْلِما تَرَحَّمْنا عَلَيْهِ ، خَلُّوا عَنْها ، فإنَّ أباها كانَ يحِبُّ مَكارِمَ الأخْلاقِ ، وَإنَّ اللهَ تَعالى يحِبُّ مَكارِمَ الأخْلاقِ » . وقال صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لايَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاَّ حَسَنُ الأخْلاقِ » وعن مُعاذ بن جبل أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ اللهَ تَعالى حَفَّ الإسْلامَ بِمَكارِمِ الأخْلاقِ وَمَحاسِنِ الأعْمالِ ، وَمِنْ ذلكَ حُسْنُ المُعاشَرَةِ ، وكَرَمُ الصَّنِيعَةِ ، وَلِينُ الكَلامِ ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ ، وإطعامُ الطَّعامِ ، وإفْشاءُ السَّلامِ ،

Marfat.com

وَعِيادَةُ المَرِيضِ المُسْلِمِ ،بَرًّا كانَ أوْ فاجِرًا ، وَتَشْيِيعُ جَنَازَةِ المُسْلِمِ ، وَحُسْنُ الجِوَارِ لِمَنْ جاوَرْتَ ، مُسْلِما كانَ أوْ كافِرًا ، وتَوْقِيرُ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ ، وإجابَةُ الطَّعامِ ، والدُّعاءُ ، والعَفْوُ ، والإصْلاحُ ، والجُودُ ، والكَرَمُ ، والسَّماحَةُ ، وَالابْتِداءُ بالسَّلامِ ، وكَظْمُ الغَيْظِ ، والعَفْوُ عَنِ الناسِ » . ويذهب بهاء الإسلام باللهو والباطل والغناء والمعازف كلها ، وكل ذى وتر ، وكلّ ذى دخل ، والكذب والغيبة والبخل والشحّ والجفاء والمكر والخديعة والنميمة ، وسوء ذات البين ، وقطيعة الأرحام ، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاحتيال والاستطالة والمزح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم .. قال أنس رضى الله عنه : فلم يدع نصيحة جميلة إلا قد دعانا إليها وأمرنا بها ، ولم يدع غشا أو قال عيبا ولا شيئا إلا حذّرنا ونهانا عنه ، ويكفى من ذلك كله هذه الآية ( إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ ) . . . الآية . وقال معاذ رضى الله عنه : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أُوصِيكَ باتِّقاءِ اللهِ تَعالى وَصِدْقِ الحَدِيثِ ، والوَفاءِ بالعَهْدِ ، وأَداءِ الأمانَةِ ، وَتَرْكِ الخِيانَةِ ، وَحِفْظِ الجارِ ، وَرَحْمَةِ اليَتِيمِ ، وَلِينِ الكَلامِ ، وَبَذْءِ السَّلامِ ، وَحُسْنِ العَمَلِ ، وَقِصَرِ الأمَلِ ، وَلُزُومِ الإيمَانِ ، والتَّفَقُّهِ فِي القُرْآنِ ، وَحُبِّ الآخِرَةِ ، والجَزَعِ مِنَ الحِسابِ ، وَخَفْضِ الجَناحِ ؛ وأنهاكَ أنْ تَسُبَّ حَكِيما ، أوْ تُكَذِّبَ صادِقا ، أوْ تُطِيعَ آثِما ، أوْ تَعْصَى إماما عادِلاً ، أوْ تُفْسِدَ أرْضًا ؛ وأُوصِيكَ باتِّقاءِ اللهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ ، وأنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً السِّرُّ بالسِّرِّ ، والعَلانِيَةُ بالعَلانِيَةِ » ، فهكذا آداب عباد الله ودعاؤهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .

Marfat.com

## بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناسّ وأعفّ الناس لم تمسّ يده قط يد امرأة لايملك رقبتها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس ، لايبيت عنده دينار ولا درهم ، فان فضل ولم يجد من يعطيه لم يدخله منزله حتى يدبر أمره إلى من يحتاج إليه لايأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك فى سبيل الله تعالى ، ولا يسأل شيئا إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامه ، فيواسى منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام وإن لم يأته شىء صبر . وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقّع الثوب ويخدم فى مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهنّ ، وكان صلى الله عليه وسلم من أشدّ الناس حياء ، لايثبت بصره فى وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحرّ ، وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ، أو فخذ أرنب ، ويكافئ عليها ويأكلها ، ولا يأكل الصدقة ، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين ، ويغضب لربه ، ولا يغضب لنفسه . وكان صلى الله عليه وسلم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرّة يأكل ماحضر ، ولا يردّ ما وجد ، ولا يتورّع من مطعم حلال ، وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ماوجد مرة شملة ، ومرّة برد حبرة يمانيا ، ومرّة جبة صوف ، وما وجد من المباح لبس وخاتم فضة يلبسه فى خنصره الأيمن ، وربما فى الأيسر ، ويردف خلفه عبده أو غيره ، يركب ما أمكنه مرّة فرسا ، ومرّة بغلة شهباء ، ومرّة حمارًا ، ومرة راجلا وحافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة ، وكان صلى الله عليه وسلم يعو

المرضى فى أقصى المدينة ، وكان يحبّ الطيب ، ويكره الريح الرديئة ، ويجالس الفقراء ، ويواكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ، ويتألّف أهل الشرف بالبرّ إليهم ، ويصل ذوى الأرحام من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل ، لايجفو على أحد ، ويقبل معذرة المعتذر إليه ، يمزح ولا يقول إلا حقا ، يضحك من غير قهقهة ، يرى اللعب المباح فلا يكرهه ، ويسابق أهله له عبيد وإماء ، لايرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ، وهو أمىّ لايقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم ، يتيما لا أب له ولا أم ، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأوّلين والآخرين ، وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة ، وفقّنا الله تعالى لطاعته والتأسّى به فى فعله آمين .

## بيان جملة أخرى من آدابه صلى الله عليه وسلم

قالو : ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا من المؤمنين بشتيمة إلا جعلت له كفّارة ورحمة ، وما لعن امرأة ولا خادما بلعنة . وقيل له وهو فى القتال : لو لعنتهم يا رسول الله ؟ قال : « إنّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لعّانا » . وقال أنس رضى الله عنه : والذى بعثه بالحقّ نبيا ما قال لى فى شىء قطّ كرهه لم فعلته ولا لامنى نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب و قدر ، قالوا : وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم ، فيكون أبعد الناس من ذلك ، ولا يأتيه أحد حرّ أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته ، وقد وصفه الله تعالى فى التوراة ، قبل أن يبعثه فى السطر الأوّل فقال : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ عَبْدِي المُخْتارُ ، لافَظٌّ وَلا غَلِيظٌ وَلا

صَخَّابٌ فِى الأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِى بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو ويَصْفَح ، ومَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ . وَهِجْرَتُهُ طَيبةُ ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ ، يَأْتَزِرُ على وَسَطِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وُعاةُ القرآنِ والعِلْمِ ، يَتَوَضأ على أطْرَافِهِ . وكذلك نعته فى الإنجيل . وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام ، ومن فاوضه بحاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف ما أخذ أحد بيده ، فيرسل يده حتى يرسلها . وكان صلى الله عليه وسلم إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ، ثم أخذ بيده فشابكه ، ثم شدّ قبضته . وكان صلى الله عليه وسلم لايقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى ، وكان لايجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه ، فقال : ألك حاجة ؟ فاذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته . وكان صلى الله عليه وسلم أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان صلى الله عليه وسلم يُكرم من يدخل عليه، حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه نسب ولا رضاع يجلسه عليه . وكان صلى الله عليه وسلم يؤثر الداخل بالوسادة التى تحته ، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل . وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه قال : سُبحانَ اللهِ . وفى نسخة : سُبحانك اللّهُمَّ وبِحَمدِكَ ، أشْهَدُ أنْ لاإلهَ إلاَّ أنتَ ، وَحدَكَ لاشَريكَ لكَ أستَغفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ . ثم يقول : علَّمَنِيهِنَّ جِبريل .

## بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما ، ويقول : أنا أفْصَحُ العَرَبِ وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة النبىّ صلى الله عليه وسلم . وكان يتكلم بجوامع الكلام ، لافضول ولا تقصير . كان كلامه يتبع بعضه بعضا ، وبين كلامه توقف يحفظه سامعه ، ويعيه صلى الله عليه وسلم ، لايقول فى الرضا والغضب

Marfat.com

لا حقا أكثر الناس تبسما ، وأطيبهم نفسا ، ما لم ينزل عليه قرآن ، أو يذكر الساعة ، أو يخطب بخطبة عظة . ولقد جاء أعرابيّ يوما وهو عليه الصلاة والسلام متغير ، تنكره أصحابه ، فأراد أن يسأله ، فقالوا : لاتفعل يا أعرابيّ فإنا ننكر لونه ، قال : دعونى فوالذى بعثه بالحقّ نبيا لاأدعه حتى يتبسم ، فقال : يارسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جميعا جوعا أفترى لى بأبى وأنت وأمى أكفّ عن ثريده تعففا وتنزّها حتى أهلك هزالا ، أم أضرب فى ثريده حتى إذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به ؟ قالوا : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، قال : لا بَلْ يُغنيك الله بما يغنى به المؤمنين. وكان إذا نزل به الأمر فوّض الأمر وتبرأ من الحول والقوّة ، واستنزل الهدى ، فيقول : اللّهُمَّ أرِنِي الحَقَّ حَقًّا فأتَّبِعَهُ ، وأرِنِي المُنكَرَ مُنكَرًا ، وارْزُقْنِي اجتِنابَهُ ، وأعِذْنِي مِنْ أنْ يَشتَبِهَ عَلَيَّ فأتَّبِعَ هَوَايَ بغَيرِ هُدًى مِنْكَ ،وَاجْعَلْ هَوايَ تَبَعًا لِطاعَتِكَ ، وخُذْ رِضَا نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي فى عافِيَةٍ ، وَاهْدِنى فيما اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقّ بإذْنِكَ ، فإنَّكَ تَهْدِى إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ .

## بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام

### وقد سبق بعضه فى باب الأكل والشرب

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب وبالملح ، وكان صلى الله عليه وسلم أحبّ الفواكه إليه الرطب والبطيخ والعنب ، وربما أكل العنب خرطا يرى دوانه على لحيته كاللؤلؤ وهو الماء الذى يتقطر منه ، وكان صلى الله عليه وسلم أكثر طعامه الماء والتمر . وكان صلى الله عليه وسلم يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين . وكان صلى الله عليه وسلم أحبّ الطعام إليه اللحم ، ويقول

« هُوَ يَزِيدُ فى السَّمْعِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَلَوْ سألْتُ رَبِّى أنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لَفَعَلَ » . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الثريد باللحم والقرع . وكان صلى الله عليه وسلم يحبّ القرع ، ويقول : إنها شجرة أخي يونس . قالت عائشة رضى الله عنها : إذا طبختم قدرًا فأكثروا فيه من الدباء ، فانه يشدّ القلب المحزون . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الطير الذى يُصاد ، وكان لايتبعه ولا يصيده ، ويحبّ أن يُصاد له ، ويؤتى به فيأكله . وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الخبز والسمن . وكان يحبّ من الشاة الذراع والكتف ، ومن القدر الدباء ، ومن الصباغ الخلّ ومن التمر العجوة ، ودعا فيها بالبركة ، وقال : هى من الجنة ، وشفاء من السمّ والسحر . وكان صلى الله عليه وسلم يحبّ من البقول : الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء .

## بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد ، وكان صلى الله علي[ه] وسلم أكثر لباسه البياض ، ويقول : « ألْبِسُوها أحْيَاءَكُمْ . وكَفِّنُو[ا] فِيها مَوْتَاكُمْ » وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة ، ور[بما] ينزع قلنسوته من رأسه ، فيجعلها سترة بين يديه ، ثم يصلى إليها . وكان ص[لى] الله عليه وسلم إذا لبس الثوب لبسه من قبل ميامنه ، ويقول : « الحَمْدُ [لله] الَّذِى كَسَانِي ما أُوَارِى بِهِ عَوْرَتِى ، وأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ » ، و[إذا] نزع ثوبه خرج من مياسره . وكان صلى الله عليه وسلم له ثوب لجمعته خاص[ة] وكان صلى الله عليه وسلم إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكينا ، يقول:

« مامِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِما مِنْ فَضْلِ ثِيابِهِ ، وَلا يَكْسُوهُ إلاَّ لِلهِ تَعالى ، إلاَّ كانَ فِي ضَمانِ اللهِ وَحِرْزِهِ وخَيْرِهِ ما وَارَاهُ حَيا وَمَيِّتا » وكان صلى الله عليه وسلم له فراش من أدم حشوه ليف ، طوله ذراعان أو نحوه ، وعرضه ذراع وشبر . وكان صلى الله عليه وسلم له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين . وكان صلى الله عليه وسلم يلبس المنطقة من الأدم ، فيها ثلاث حلق من فضة .

## بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم

قال علىّ رضى الله عنه : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدوّ . وكان صلى الله عليه وسلم من أشدّ الناس يومئذ بأسا .

## بيان معجزاته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من شاهد أحواله وأخلاقه وأصغى إلى ما نُقل عنه علم[1] أن الأوّلين والآخرين يعجزون عن أمثالها ، وأن ذلك لايتصوّر إلا أن يكون من الوحى والتنزيل . وكان الجلف العربىّ يرى وجهه الكريم فيقول : والله ما هذا وجه كذّاب قط ، فذو البصيرة يكفيه ذلك ، دلالة على صدقه ونبوّته ، ونحن نورد بعض ماظهر على يده من خرق العادات . منها : أنه شقّ له القمر بمكة إذ سألته قريش ذلك . ومنها : أنه أطعم النفر الكثير فى منزل أبى طلحة يوم الخندق . ونبع الماء من بين أصابعه فشرب العسكر كلهم وهم عطاش ، وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه الصلاة والسلام فيه يده . وأمثال ذلك كثيرة ، والبصير لايتوقف إيمانه على ذلك ، والله أعلم .

# الباب الحادى والعشرون

## فى عجائب القلب

## وهو الأوّل من ربع المهلكات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ فِي جَسَدِ ابْنِ آدَمَ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَصَلَحَ لَهَا سائِرُ البَدَنِ ، ألا وَهِىَ القَلْبُ » ، فقد تبين بهذا الحديث أن الأصل هو القلب ، وهو الأمير المطاع فى عالم الجسد ، والبقية رعية ، ونحن نبين معنى القلب والروح والنفس والعقل

فالأول : لفظ القلب ، وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وفى باطنه تجويف يسكنه دم أسود ، وهو منبع الروح ومعدنها ، وهذا اللحم على هذا الشكل أيضا موجود للبهائم وللموتى . والمعنى الثانى : هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا اللحم اتصال مّا ، وهذه اللطيفة ، هى العالمة بالله تعالى ، المدركة لما ليس يدركه الخيال والوهم ، وهو حقيقة الإنسان وهو المخاطب ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى : ( إنَّ فِي ذلكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ ) ولو كان المراد بالقلب : اللحم الصنوبرىّ الشكل ، لكان موجودا لكلّ أحد ، فاذا عرفت هذا ، فاعلم أن تعلق هذه اللطيفة بهذا اللحم الصنوبرى ، هو تعلق غامض ، لايُدرك بالبيان بل يتوقف على المشاهدة والعيان ، والذى يمكن أن يذكر فيه أنه كالملك ، وهذا اللحم له كالدار والمملكة ، إذ لو كان تعلقه به تعلق الإعراض لما صحّ فيه أن يقال : وإنه يحول بين المرء وقلبه .

اللفظ الثانى : الروح ، وله أيضا معنيان : أحدهما الروح الطبيعى ، وهو دخان منبعه دم أسود فى تجويف القلب ، وهو اللحم الصنوبرى ، وينتشر

اسطة العروق والضوارب فى جميع أجزاء البدن ، ومثاله : سراج فى بيت ، يستضاء فى جميع زوايا البيت به ، وهو الذى يريده الأطباء بإطلاق الروح . عنى الثانى : هو اللطيفة الربانية التى هى معنى حقيقة القلب ، فالروح لب متواردان على تلك اللطيفة على نسك واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى يَسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ) .

اللفظ الثالث : النفس ، ولها معنيان : أحدهما المعنى الجامع لقوّة الغضب شهوة والصفات المذمومة ، وهو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : دَى أعدائك نَفْسُكَ التى بينَ جَنْبَيْكَ » ، وهى المجاهدة والمأمور هرها . المعنى الثانى لها : اللطيفة الربانية التى هى إحدى معني الروح والقلب . س أيضا ، مع لفظ القلب والروح مطلقة على تلك اللطيفة ، وهى حقيقة ان التى يتميز بها عن سائر الحيوانات ، فإذا صفت وتحلّت بذكر الله ، ومحى عنها آثار الشهوات والصفات المذمومة ، سميت النفس المطمئنة ، المراد بقوله تعالى : ( يا أيّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ) . . . الآية ، س قبل أن تنتهى إلى هذه الدرجة لها درجتان بالاعتبار : إحداهما أن تسمى س اللوّامة ، وهى التى أقسم الله تعالى بها فى قوله تعالى ( وَلا أُقْسِمُ فْسِ اللَّوَّامَةِ ) وهى التى تلوم على المعاصى ، ولاتركن إليها ، ولا ترضى ا ، وقبل أن تنتهى إلى هذه الدرجة لها درجة ، وهى أن تكون أمّارة بالسوء ، كما قال الله تعالى ( إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ ) وهى فى حالة لاتأمر بالخير ، ولا تلوم على الشرّ ، وهى حضيض النفس والمطمئنة سماكها واللوّامة بينهما ، لاهى ترضى بالشرّ فتركن إليه ، ولا تستطيع الاطمئنان فتطمئنّ إلى الخير ، وهو ذكر الله تعالى .



Marfat.com

اللفظ الرابع : العقل ، وقد ذكر له عدّة معان : أحدها العلم بحقائق الأشياء . والثانى : العالم الذى يكون العلم له كالصفة ، وهذا المعنى هو اللطيفة الربانية التى سبق ذكرها ، إذ لايمكن أن يكون المراد بالعقل المعنى الأوّل ... لقوله صلى الله عليه وسلم : « أوّلُ ما خَلَقَ اللهُ تَعالى العَقْلَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : أقْبِلْ ، فأقْبَلَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ أدْبِرْ فأدْبَرَ » الحديث ، فاذا تبين لك أن القلب والعقل والروح والنفس فى الأخبار والآيات ، المراد منها : ه... اللطيفة الربانية ، ونحن إذ أطلقناها أردنا بها تلك ، فاعلم ذلك ، وقال س... التسترى : القلب : هو العرش ، والصدر : هو الكرسى ، وهو يدلّ أ... على أن المراد عنده من القلب شىء وراء اللحم الصنوبرى .

## فصــل

إذا عرفت القلب فنحن نبين لك جنوده ، وله جندان : جند يشاهد با... وهو اليد والرجل والعين وسائر الأعضاء ، وجند يشاهد بالبصيرة ، ... الصفات على ماسيأتى ذكرها ، ودلّ الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه ... « إنَّ فِى جَسَدِ ابْنِ آدَمَ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ سائِرُ الجَسَدِ ... وَهِىَ القَلْبُ » ، على أن القلب ينبغى أن يكون أميرًا مطاعا ، وتكون ... وسائر البدن مطيعة لأوامره ونواهيه ، فاذا لم يكن كذلك ، وغلبت الش... صار الأمير مأمورا ، وانعكس الأمر ، فيصير الملك مثلا أسيرًا ... فى يد كلب أو عدوّ ، ولهذا إن الرجل إذا أطاع داعية الشره أو الشهو... نفسه فى النوم أو فى اليقظة ، وهى حالة الصوفية ساجدة بين يدى خن... حمار ، وإن أطاع الغضب يرى نفسه ساجدة بين يدى كلب ، فإنه على ... أطاع الحمار وهو الشهوة ، وأطاع الخنزير وهو الشّره . وهو فى هذ...

[ط]اغى فى طاعة الشهوة والشره مطيع للشيطان المسلَّط على الآدمىّ، فإذا طال [ت]سلط هواه بهذه الصفات التى هى جند الشيطان على القلب ، ولم يكن للقلب [ن]صرة على هزم هذا الجند ، وصار القلب مقهورا مدة ، صار ذلك سببا [ف]ى إبطال خاصية تلك اللطيفة ، وهو المراد بسواد القلب فى الأخبار ، وهو [الم]رادبالطبع والرين فى قوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) [و]فى قوله تعالى (كَلاَّ بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ) ومثال القلب : المرآة ، فإنها [ما] دامت صافية من الصدإ والخبث يشاهد فيها الأشياء ؛ وإذا غلب عليها الصدأ [ول]م يكن لها ما يصقلها ويدفع الصدأ عنها ويجلوها ، تمكَّن منها وغاص فى جرمها [وأه]لكت وصارت بحيث لايقدر المصقل على صقلها وجلائها ، وهو المراد [بال]طبع والرين ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنَّ القَلْبَ لَيَصْدَأُ [كَم]ا يَصْدَأُ الحَدِيدُ » قيل : وما جلاؤه ؟ قال : « ذِكْرُ المَوْتِ ، وَتِلاوَة [القُر]آنِ » فإذا بطلت ولاية القلب بالكلية استولى الشيطان ، فتقلب الصفات [المح]مودة مذمومة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « القُلُوب أربَعَةٌ : قَلْبٌ [أَجْ]رَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ ، فَذَاكَ قَلْبُ المُؤْمِنِ ؛ وَقَلْبٌ أَسْوَد [مَنْ]كُوس ، فَذَاكَ قَلْبُ الكافِرِ ؛ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ على غِلافِه [فَذ]اكَ قَلْبُ المُنافِقِ ؛ وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ ، فَمَثَلُ [ال]إيمَانِ فِيهِ مَثَلُ البَقْلَةِ يَمُدُّها المَاءُ الطَّيِّبُ ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ [مَ]ثَلِ القَرْحَةِ يَمُدُّها القَيْحُ والصَّدِيدُ ، فأىُّ المَادَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَيْه [حُ]كِم لَهُ بِها » . وفى رواية « ذَهَبَتْ بِهِ » ، وقد قال تعالى ( إنَّ الَّذِينَ [ا]تَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ) [فأ]خبر أن إبصار القلب وجلاءه يحصل بالذكر ، وأنه يتمكن من الذكر [بال]تقوى ، فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف مفتاح [الف]وز الأكبر .

## فصـــل

اعلم أن القلب مثاله مثال المرآة ، وعلوم الحقائق مثالها مثال الصور التى ترى فى المرآة ، وحصول الصورة شىء ثالث ، فاذا عرفت هذا ، فاعلم أن امتناع انكشاف الصور فى المرآة له خمسة أسباب : أحدها فساد صورتها ، أعنى المرآة ، وهو أن تدور وتتشكل وتصقل . والثانى : خبثه وصدؤه . والثالث : كونه معدولا به عن جهة الصورة بأن تكون الصورة وراء المرآة . والرابع : الحجاب المرسل بين المرآة . والصورة . الخامس : بجهلها بالجهة التى فيها الصورة ، فكذلك القلب ، هو مستعدّ لأن يتحلى بحلية الحقّ فى الأمور كلها ، وإنما خلا بهذه الأسباب الخمسة التى أولها النقصان فى ذات القلب كالصبيّ والمجنون . الثانى : لكدورة المعاصى والخبث التى تراكم على القلب بسببها من كثرة الشهوات ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَارَفَ ذَنْباً فَارَقَهُ عَقْلٌ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ أَبَدًا » إذ غايته أن يصقل القلب بحسنة يتبعها ، ولو كانت دون الذنب لزاد إشراق القلب . الثالث : أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة ، فيكون وجهه إلى ترتيب الطاعات . وينبغى أن يكون كما قال الخليل عليه السلام : إنى وجهت . الرابع : الحجاب ، وذلك أن يكون فى سر القلب بقيّة شهوة ، أو فساد عقيدة سبقت فى الصبا ، وبقى أثرها . الخامس : الجهل بالجهة التى منها يطلب ، فإنه ينبغى أن يكون له إيمان كلى بما لا يحصل له ، و[illegible] الإيمان بالغيب ، وما لم يكن له هذا الإيمان كيف يمكنه أن يطلب ما لم يع[illegible] وجوده ، فالغفلة مانعة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ على قُلُوبِ بَنِى آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ » . و[illegible]

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ أوْ يُمَجِّسانِهِ » . وقد رُوى عن ابن عمر ، قال : يا رسول الله ، أين الله فى الأرض أو فى السماء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « فِي قُلُوبِ عِبادِهِ المُؤْمِنِينَ» . وفى الخبر قال الله تعالى : « لَمْ يَسَعْنِي أرْضِي وسمائى ، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ » وبذلك قال عمر : رأى قلبي ربى ، فإنه كان زكيّ قلبه . وقد قال الله تعالى ( قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) .

واعلم أن قبول الحقّ له ثلاث درجات : أوّلها : القبول بالسماع فى أوّل الفطرة ، وهو يمكن فيه الخطأ ، وهو تقليد العوامّ . الثانى : أن يسمع كلام من يطلبه مثلا من داخل البيت ، فيستدلّ به على أن ذلك الرجل المطلوب . الثالث : أن تدخل البيت فتشاهده وتعاينه ، وهو المراد بقول علىّ رضى الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، وهو إيمان الأنبياء والصدّيقين والأولياء ، فهذا الذى لايدور السهو والغفلة حواليه . وأما مثال امتناع الكافر والصبىّ والمجنون عن استطلاع الحقائق، مثال رجل بصير ، فإن البصر ربما يكون كاملا ، ولكن يمتنع الإبصار حتّى يشرق نور الشمس فيبصر ببصيرة سابقة عند طلوع الشمس ، فكذا العلم لم ينكشف فى قلب الصبىّ والمجنون ، وهو قبل التميز والعقل ، لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش القلم ، والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله تعالى جعل سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب العباد ، قال الله تعالى ( الَّذِى عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ) وقلم الله تعالى لايُشبه قلم خلقه ، كما أن وصفه لايشبه وصف خلقه ، فليس قلمه من قصب ولا خشب ، كما أن ذاته ليست من جوهر ولا عرض .

Marfat.com

## فصـــل

قد تبين لك أن مثال القلب ، أعنى اللطيفة الربانية كالملك والبدن كالولاية له والقوّة العقلية المفكرة كالوزير له ، والصفات المذمومة هى كالشرط . فالقلب ما دام متمكنا من استعمال إشارة بحسب التصرّف فى المملكة الوزير وإشارة العقل ، فهو مستقيم فى ولايته ، وإن تسلطت الشهوات والصفات المذمومة على نقص إشارة العقل ، فذلك على خلاف العدل ، ونحن نضرب له مثالا آخر فنقول : اللطيفة الربانية مثالها مثال الفارس الصياد ، والبدن مركبه والغضب والشهوة كلابه ، فان أذعنت له فرسه وانقاد له سباعه وكلابه تحصل على غرضه من الصيد ، وهو اقتناص العلوم ، واقتناء سعادة الأبد ؛ وإن كان الفرس جموحا لم تطعه ، أو الكلب غير معلم لم يسترسل بإرساله ، ولم يعمل بإشارته ، فسد الأمر ، وامتنع المقصود ، ويخاف أن يستولى عليه كلبه فيأكله ، فضلا من أن يمتنع عليه للصيد .

## فصـــل

اعلم أن اقتناص العلوم للقلب على مراتب : منها ما يكون للعلماء فيتوسل بالمقدّمات إلى النتائج ، وبالأدلة إلى المدلولات . ومنها ما يكون على سبيل الكشف والإرادة من الله تعالى ، كما يكون للأنبياء ، قال تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام : ( وكذلكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ) وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ أرِنا الأشْياءَ كَمَا هِيَ » فتنكشف لهم الحقائق كفاحا من غير توسط دليل أو برهان أو مقدّمات ، وهو المراد بقوله تعالى ( ما يَفْتَحِ اللهُ للنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ) ، وهذه الأمة

مبذولة فى الجود الإلهى ، والكرم الأبدى فى القلوب المتعرّضة لها ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « إنَّ لربكُمْ فى أيَّامِ دَهْرِكُمْ نفَحاتٍ ألا فتَعَرَّضُوا لهَا » ، فالتعرّض : هو الفلاح والسعادة بالتزكية ، قال تعالى ( قَدْ أفْلَحَ مَنْ زكَّاها ) والإعراض : هو الإدبار والشقاء بضده. وقد قال تعالى ( وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ) وإذا كان القصد الاستكشاف من جهة العبد ، كان مثاله الدعاء واستنزال الهدى ، وإن كان من جهة الله تعالى من غير استنزال وسبب من جهة العبد ، كان مثاله النزول ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « يَنْزِلُ اللهُ تعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى سماءِ الدُّنيا » . وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عزّ وجلّ : « لقَدْ طَالَ شَوْقُ الأبرارِ إلى لِقائى ، وأنا إلى لِقائِهِمْ لأشَدُّ شَوْقا ». وإلى طرفى الاستكشاف والكشف الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه سبحانه وتعالى : « مَنْ تقَرَّبَ إلىَّ شِبْرًا تقَرَّبْتُ إليْهِ ذِرَاعاً » . وعلى الجملة فاعلم أن الجود الإلهى اقتضى أن تكون السعادة مبذولة من غير بخل ، والكرم السرمدى اقتضى أن يكون القلب فى أصل الفطرة مستعدا لقبول هذه السعادة ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ » الحديث ، وقوله تعالى ( فِطْرَةَ اللهِ ) . . . الآية ، وقوله تعالى ( لَقَدْ خلَقْنا الإنْسانَ فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ ) نعم بعد ذلك يعترض فى وسط الأمرين أمور مانعة شاغلة ، وهى الشهوات والخبائث والشواغل فاذا رُفعت الموانع رجعت الأمور إلى أصل مقتضياتها ، وانكشف للقلب جلال الله وعظمته ، ووصل إلى سعادة الأبد ، فبقدر ما تفرّغ الإناء من شىء يتسع لغيره ، قال الله تعالى ( الرَّبَّانِيُّونَ والأحْبارُ ) فمن حصلت له هذه السعادة صار ملكا كريما ، وصار ربانيا ، وإليه الإشارة بقول علىّ رضى الله عنه ، إن لله تعالى فى أرضه

آنية ، وهى القلوب ، فأحبُّها إلى الله أرقها وأصفاها وأصلبها ، ثم فسَّر
فقال : أصلبها فى الدين ، وأصفاها فى اليقين ، وأرقها على الإخوان ، وال
الإشارة بقوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) قال أُبىُّ بن كعب
هذا مثل نور المؤمنين وقلوبهم . وأما قوله تعالى ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْ
لُجِّيٍّ ) مثل قلب المنافق . وقال زيد بن أسلم قوله تعالى ( فِي لَوْحٍ مَحْفُوظ
هو قلب المؤمن .

## فصـــل

اعلم أن الإنسان فى أصل فطرته وتركيبه قد اجتمع فيه أربعة شوائب
فمنها الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية ، فهو من حيث سلط
الغضب يتعاطى أفعال السباع ، ومن حيث سلط عليه الشهوات يتعاطى
البهائم ، ولتركب هاتين الصفتين فيه ، وتولد حبّ الشَّره والقهر والغلبة و
والخديعة غلبت عليه الشيطنة ، ومن حيث أنه فى نفسه أمر ربانى ، كما
تعالى ( قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) فانه يدّعى لنفسه الربوبية والاست
وترك الانقياد ، ويفرح بما يناسب هذا الأمر من المعرفة والوصف بها ، و
بما يناقضه من الجهل والوصف به ، فاذا عرفت هذا ، فاعلم أن الاش
بالعبادات والمواظبة عليها ، القصد منه تحصيل الغرض من قهر ما لا ينبغ
وإبقاء ما ينبغى ، وسيأتى فى باب رياضة النفس ذلك إن شاء الله تعالى .

واعلم أن العلم الصالح الحاصل فى القلب إن كان بطريق التعلم
المقدّمات ، فهو طريق العلماء ، وما وراءه فهو طريق الصوفية
بكشف ومشاهدة ، وذلك قسمان : أحدهما مثل وقوع إلهام فى النفس
النفث فى الروع ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « إن

القدس نفث فى روعى : أحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، وعش ما شئت فإنك ميت » . وقسم آخر هو من جنس الإلهام ، وذلك أن يكشف له حقائق الأشياء ، ويرى الملك الموكل بها ، الذى منه يستفيد . واعلم أن القلب إذا كان كالمرآة الصقيلة المجلوة ، وقد علمت قبل ذلك أن حقائق الأشياء منقوشة فى اللوح المحفوظ ، فمهما ارتفع الحجاب ، وكانت المرآة فى محاذاة اللوح المحفوظ ، تكشفت فيه حقائق العلوم ، وارتفاع الحجاب تارة يكون فى النوم ، وتارة يكون فى اليقظة ، وهو المعتاد للصوفية ، وتارة بهبوب رياح الألطاف من غير سبب من جهة العبد أو استعداد ، فيلمع فى القلب من وراء ستر الغيب شىء من غرائب العلوم ، وتمام هذا الكشف بالموت فيه ارتفاع الحجاب بالكلية ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » ويقرب من الموت تصفية الصوفية ، فلذلك لايشتغلون بدراسة العلم ، بل يشتغلون بتصفية القلب وقطع العلائق ، ليكون ذلك سببا فى الإقبال على الله تعالى بالكلية ، ثم تفويض الأمر إليه ، فهو أعلم بما يكشفه لقلوبهم من الأنوار والألطاف ، وهو طريق الأنبياء والأولياء ، فإنهم لم يحصلوا العلوم والحقائق بالمدارسة ، بل وجدوا الكنوز ، فاشتغلوا بها عن الاكتساب ، ومثال العلم الكسبي ، ومثال طريقتهم الكنز والكيمياء ، وإياك أن تترك الكسب ما لم تعثر على الكنز ، فذلك هو الهلاك .

## بيان حالة القلب بالنسبة إلى العلوم
## والفرق بين التعلم وحال الصوفية

اعلم أن للقلب بابين : باب ينفذ إلى عالم الحواس ، وباب ينفذ إلى عالم الغيب . ويعرف صدق هذا القول بالتأمل فى النوم ، فإنك ترى فيه من

Marfat.com

العجائب ، ويظهر لك الغيب وما سيكون بعد بمدّة مديدة . وفى اليقظة : إنما يُفتح ذلك الباب للأنبياء والأولياء ، وذلك لمن طهر قلبه عما سوى الله تعالى ، وأقبل بالكلية عليه ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « سَبَقَ المُفَرِّدُونَ ، قِيلَ : وَمَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : المُجْتَهِدُونَ بِذِكْرِ اللهِ ، وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ ، فَوَرَدُوا القِيامَةَ خِفافا » ثم قال فى وصفهم : « أُقْبِلُ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِي ، أَتَرَى أَنَّ مَنْ وَاجَهْتُهُ بِوَجْهِي يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيَّ شَيْءٍ أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ ؟ » ثم قال عليه الصلاة والسلام : « أَوَّلُ ما أُعْطِيهِمْ أَنْ أَقْذِفَ مِنْ نُورِي فى قُلُوبِهِمْ فَيُخْبِرُونَ عَنِّى كَمَا أُخْبِرُ عَنْهُمْ » ، فإذن مدخل هذا كله هو الباب الداخل من القلب ، الذى ينفذ إلى عالم الغيب ، وهو عالم الإله . وقد قال بعضهم : من القلب إلى الغيب روزنة ، ونحن نبين الفرق بين التعلم والتصوف بمثال فى حكاية .

قد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن النقش والصور ، فاستقرّ رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة تنقش أهل الصين منها جانبا ، وأهل الروم جانبا ، ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كلّ رفيق منهم على صاحبه ، ففعل ذلك ، وجمع أهل الروم غرائب الأصباغ ، ودخل أهل الصين يصقلون جانبهم ؛ فلما فرغ أهل الروم ادّعى أهل الصين أنهم أيضا قد فرغوا ، فتعجب الملك منهم وقال : كيف الفراغ ولم تأتوا بشىء من الأصباغ ، فقيل : ماعليكم من ذلك ، ارفعوا الحجاب وتأمّلوا ، ففعل ورفع الحجاب ، فإذا عجائب الأصباغ والألوان والنقوش تزهر وتتلألأ بزيادة بريق وصفاء ، إذ كانوا هم يصقلون ما دام غيرهم ينقش ، فالصوفية يصقلون ، والعلماء ينقشون ، فما ينكشف للعلماء ينكشف لهم بزيادة بريق

Marfat.com

وراء ما يحصله العلماء ينكشف لهم أمور لا يتصوّر الوصول إليها بتكلف التعلم إليه الإشارة بقوله : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : وبقوله : أيعلم أحد إذا واجهته بوجهى أىّ شىء أريد أن أعطيه ، ذلك هو الحياة المرادة بقوله تعالى ( إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ) فعند ذلك يموت قلبه . قال الحسن : التراب لا يأكل محلّ الإيمان ، فيكون إذن لكلّ أحد الأجر على قدر النصب ، فالمؤمنون يسعون بأنوارهم إلى لقاء الله تعالى إلى هذه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ بَعْضَهُمْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ الجَبَلِ ، وبَعْضَهُمْ يُعْطَى أَصْغَرَ حَتَى يَكُونَ آخِرَهُمْ رَجُلٌ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ ، فَيُضِىءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً ، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى ، وَإِذَا طُفِئَ أَقَامَ ، وَمُرُورُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ العَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالبَرْقِ ، وَمِنْهُمْ كَالسَّحَابِ ، وَمِنْهُمْ كَانْقِضَاضِ الكَوْكَبِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الفَرَسِ ، وَالَّذِى أُعْطِىَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، يَجُرُّ يَدًا وَيَتَعَلَّقُ بِأُخْرَى ، وَيَجُرُّ رِجْلاً وَيَتَعَلَّقُ بِأُخْرَى ، وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَى يَخْلُصَ » الحديث ، وبهذا تتفاوت درجات الإيمان ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِى بَكْرٍ بِإِيمَانِ العَالَمِ سِوَى النَّبِيِّينَ لَرَجَحَ » ، وهذا أيضا كقول القائل : لو وُزن نور الشمس بنور السُّرُجِ كلها لرجح ، فإيمان الناس كالسُّرُجِ والشموع ، وإيمان الأولياء كنور القمر والنجوم ، وإيمان الأنبياء كنور الشمس .

## فصل : فى الدلالة على صحة طريق الصوفية رضى الله عنهم

قال أبوالدرداء : المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق ، فوالله إن للحقّ قو يقذفه الله فىقلوبهم ، ويجريه على ألسنتهم . وقال عليه الصلاة والسلام « اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ » . وقال عليه الصلا والسلام : « إنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ ومُكَلَّمِينَ ، وَإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ » وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا ولا محدّث ، يعنى الصدّيقين . وعلى الجملة من رأى فى عمره ولو واحدا صحيحا استغنى عن البراهين والأخبار والآثار والآيات الدالة على أكثر من أن تحصى .

## فصـــل

واعلم أن للقلب بابا ينفذ فيه الشيطان فى مقابلة بابه النافذ إلى عالم الغيـ وللشَّيطان لمة ، كما أن للملك لمة ، والصفات المذمومة مداخل الشيطان القلب ، فبقدر قمع جميع تلك الصفات تضيق مجارى الشيطان أو تنسـ وبقدر إهمالها تتسع تلك الأبواب على الشيطان والمنافذ ، وأنت بين أن هذا الباب ، فيكون القلب محلّ الحكمة ، ومهبط الملائكة ، وبين أن فيكون القلب معشش الشياطين ، وجميع هذه الأبواب التى ستأتى من بع الباب فى قمع الشهوات ، وتخلية القلب عنها ،فافهم تغنم ، والله أعلم بالصـ

Marfat.com

## الباب الثانى والعشرون

### فى رياضة النفس ، وفيه فصول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رجَعْنا مِن الجهادِ الأصْغَرِ إلى الجهادِ الأكْبَرِ » ، اعلم أن النفس لها رذائل لابدّ من تنقيتها وتصفيتها ، لك تصل إلى سعادة الأبد وجوار الله تعالى ، وقد عرفت مما سبق .

### فضيلة حسن الخلق

قال صلى الله عليه وسلم : « إنّ حُسْنَ الخُلُقِ يُذِيبُ الخَطِيئَةَ كما يبُ الشَّمْسُ الجَلِيدَ » ، وقال عبد الرحمن بن سمرة : كنا عند رسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنّى رأيْتُ البارِحَةَ جَبا ، رأيْتُ رجُلاً مِنْ أُمَّتى جاثِيا على رُكْبَتَيْهِ ، بَيْنَهُ وبين اللهِ جابٌ ، فجاء حُسْنُ الخُلُقِ فأدْخَلَهُ على اللهِ تَعالى » .

### فصل : فى بيان حسن الخلق وسوئه ١

يقال : فلان حسن الخَلْق والخُلُق : أى حسن الظاهر والباطن ، فحسن اهر : هو الجمال كما عرفت ، وحسن الباطن هو غلبة الصفات الحميدة ن المذمومة ، والتفاوت فى الباطن أكثر من التفاوت فى الظاهر ، وإليه لإشارة بقوله تعالى ( إنّى خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ، فإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحى) نبّه على أن صورة ظاهره مركبة ، وصورة باطنه من عالم أمر الله تعالى ، فنعنى بحُسن الخُلُق : حسن صورة الباطن ، فبقدر ماينمحى عنه من الصفات المذمومة يثبت بدلها من الصفات المحمودة ، فهو حسن الخلق تمام حسن الخلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نال فى هذا المعنى درجة

Marfat.com

الكمال ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « حَسِّنُوا أخلاقَكُمْ » ، نبّه على قبولها التغيير ، وانفعالها تحت التصرّف ، فعليك بالسعى فى إذعان الغضب والشهوة والشّره ، وجميع هذه الصفات لإشارة الشرع ، فاذا فعلت ذلك فقد حصل الغرض ، وذلك بالمجاهدة والصبر على ما تكره ، ليصير بعد ذلك عادة . قال صلى الله عليه وسلم : « الخَيْرُ عادةٌ » ، فمن لم يكن فى أصل الفطرة مثلا سخيا جوادًا ، فيتعوّد ذلك بالتكلف ، وكذلك لو لم يخلق متواضعا يفعل ذلك بالتكلف إلى أن يتعوّد ذلك ، وكذا سائر الصفات يعالجها بضدّها إلى أن يحصل الغرض ، فالمداومة على العبادات ومخالفة الشهوات يحسن صورة الباطن

ويحصل الأنس بالله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : « اعْبُدِ الله فى الرّضا ، فإنْ لمْ تَسْتَطِعْ فَفِى الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ » ففى الابتداء الصبر إلى أن تصير راضيا ، إذ أصل الفطرة يقتضى حُسن صور الباطن ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « الحَسَنَةُ بعَشْرِ أمْثالِهَا » إذ هى موافقه أصل الفطرة ، وبيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق أ قد عرفنا أن المعالجة فى مرض البدن أن يقابل الشىء بضدّه ، وكذلك فى مرض القلب ، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، إذ الطباع مختلفة ، والشيخ فى قومه كالنبىّ فى أمته ، وهو ينظر فى حال المريد ، فيعلم ما يغلب عليه من الصفات ، وما ينبغى أن يعالج به فيشغله فى ابتداء أمره بالعبادات ، وتنظيف الثياب وتطهيرها ، والمواظبة على الصلوات ، وذكر الله تعالى فى الخلوات فبذلك تظهر عيوبه الكامنة كمون النار فى الحجر ، وإن كان معه فضل م أخذه منه ، وصرفه إلى حاجات أرباب القلوب ليفرغ قلبه . ويكون فراغ ق هو الأصل ، ثم فراغ قلب غيره وباله بماله يمدّه بالهمم . فيتيسر عليه مقصو ببركة تلك الهمم ، ومن الطرق فى تهذيب أخلاقه أن يسلط بعض صفاته

Marfat.com

بعض ، فيرغب فى السخاء والجود بوسيلة الرياء ، ليترك البخل وحبّ الدنيا وجمعها ، ويترك استعمال الغضب والشهوة ، ليحمل على العفة والسداد ، ثم بعد ذلك يتوجه إلى الرياء فيقمعه بقوّة دينه التى حصلت فى مدّة الرياضة والإقبال على الله تعالى ، وبالمعالجة بالضدّية عن النفس على المداومة . وقد حكى أن بعض الشيوخ كانت نفسه تكسل عن قيام بعض الليل ، فألزمها القيام على الرأس مدة ، فرضيت بالقيام على الرجل واغتنمت .

## بيان معرفة عيوب النفس

قال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا بَصَّرَهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ » ، ولهذه المعرفة طرق : أعلاها أن يجلس بين يدى شيخ من مشايخه ، ويشتغل بما يأمره ، فعند ذلك ينكشف له تارة ، وتارة يكشفه له شيخه ، وهذه أعلى الطرق وأولاها ، إلا أنه قد عزّ فى هذا الزمان هذا الطريق وطريق أخرى أن يطلب رفيقا صالحا ، عالما بأسرار هذا الأمر ، فيصحبه ويجعله رقيبا على نفسه ، ليلاحظ أحواله ، وينبهه على عيوبه ، فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين ، كان عمر رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى . وكان يسأل سلمان عن عيوبه رضى الله عنه لما قدم عليه ، فقال له : ما الذى بلغك عنى مما كرهته ، فاستعفى ، فألحّ عليه ، فقال : سمعت أنك جمعت أدمين على مائدة ، وإن لك حلّتين حلة بالليل وحلة بالنهار ، فقال : وهل بلغك غيرهما ؟ قال : لا ، قال : أما هذان فقد كفيتهما . وكان يسأل حذيفة رضى الله عنه ، وهو صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين : هل ترى علىّ شيئا من آثار النفاق ؟ فهو على جلالة قدره ، وعلوّ منصبه هكذا كان يتهم نفسه ، فإن لم تجد رفيقا فاصغ إلى قول الحسّاد

Marfat.com

فلا تعدم حاسدا يطلب معايبك ويزيد ، فاستفد منه ، واتهم نفسك فى كل ماترضى به من العيوب ، ولا تغضب ، ولا تحرد إذا نبهك إنسان على عيب من العيوب ، فإن العيوب حيَّات وعقارب تلدغك فى الدنيا والآخرة ، فمَنْ نبهك على أن حيَّة فى ثيابك تلدغك ، فاقبل منه المنة ، فإن حردت عليه ، دلَّ على ضعف إيمانك بالآخرة ، وإذا اغتنمت ذلك دلَّ على قوّة إيمانك واعلم أن عين السخط تبدى المساوى ، فقوّة الإيمان تفيدك هذه الفائدة ، وهى أن تغتنم عدل الحسود وتعييره إياك ، قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام : من أدّبك ؟ قال : ما أدّبنى أحد ، رأيت جهل الجاهل فجانبته .

## فصـــل

اعلم أن ماذكرناه إذا تأملته انفتحت لك عين تنتفع بها ، فان لم ترزق فلا أقلّ من الإيمان والتصديق ، فالأوّل هو الإيمان ثم الوصول ، قال الله تعالى ( يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ ) فالتقوى رأس المال فى تحصيل هذه الأعمال ، قال الله تعالى ( وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ) . ويقال : إن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام : يا يوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدًا ، والصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا ، فقال يوسف ، قال الله تعالى ( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) وقال الجنيد رضى الله عنه : أرقت ليلة فقمت إلى وردى ، فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها ، فأردت أن أنام فلم أقدر ، فقعدت فلم أطق القعود فخرجت فإذا رجل ملتفّ فى عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحسّ بى قال : يا أبا القاسم إلىّ الساعة ، فقلت : يا سيدى من غير موعد ؟ قال : بلى سألت

يحرّك القلوب أن يحرّك إلىّ قلبك ، فقلت : قد فعل ، فما حاجتك ؟ فقال : متى يصير داء النفس دواءها ؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها ، فأقبل على نفسه وقال : اسمعى قد أجبتك بهذا سبع مرّات ، فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد ، قال : فانصرفت وما عرفته .

## بيان علامات حسن الخلق

قال الله تعالى ( قَدْ أفلَحَ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ ) . . . إلى قوله ( أولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ ) ، وقال تعالى ( التَّائِبُونَ العابِدُونَ ) ، وقال تعالى ( إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَانا ) ، وقال تعالى ( وَعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأَرْضِ هَوْنا ) . . . الآية ، ومن الناس من يكفيه فى ذلك أدنى شىء لما اتفق له فى ابتداء نشوه من هداية مشفق كما نقل عن سهل التسترى أنه قال : كنت ابن ثلاث سنين ، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى خلوة خالى محمد بن محمد بن سوار[١] ، فقال لى خالى يوما : ألا تذكر الله الذى خلقك . قلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرّات من غير أن تحرّك به لسانك : الله معى الله ناظر إلىّ الله شاهدى ، فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته ، فقال : قله فى كلّ ليلة سبع مرّات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : : قله فى كلّ ليلة إحدى عشرة مرّة ، فقلت ذلك ، فوقع فى قلبى حلاوته ، فلما كان بعد سنة . قال لى خالى : احفظ ماعلّمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة فى سرّى ، ثم قال لى خالى يوما : ياسهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده كيف يعصيه ،



Marfat.com

فاياك والمعصية ؛ فكنت أخلو بنفسى . فبعثوا بى إلى المكتب ، فقلت : إنى لأخشى أن تتفرّق علىّ همّتى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع . فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ستّ سنين أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر ، وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة ، فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة . فسألت أن يبعثونى إلى البصرة أسأل عنها علماءَها ، فلم يكشف أحد عنى شيئا ، فخرجت إلى عبادان إلى رجل يُعرف بأبى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى . فسألته عنها فأجابنى وأقمت عنده أنتفع بكلامه ، وأتأدّب بآدابه ، ثم رجعت إلى تستر ، فجعلت قوتى اقتصاداً على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق ، فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر كلّ ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا إدام ، فكا يكفينى ذلك الدرهم سنة ، ثم عزمت أن أطوى ثلاث ليال ، ثم أفطر ، خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة ، فكنت على ذلك عشرين سنة ، ثم خرج أسيح فى الأرض ، ثم رجعت إلى تستر ، وكنت أقوم الليلة كلها ، فالموف هو الله تعالى القوىّ الكريم .

## بيان شروط الإرادة

اعلم أن من يريد حرث الآخرة فعلامته الإقلاع عن حرث الدنيا ، شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين ، فعلامته استحقار الدنيا ، فمن شاهد الج النفيس وفى يده خرزة لم يبق له رغبة فى الخرزة ، ومن لم يفعل فذاك لع الإيمان بالله واليوم الآخر ، فإذا المانع من الوصول عدم السلوك ، والمانع السلوك عدم الإرادة ، والمانع من الإرادة عدم الإيمان ، وسبب عدم الإ

Marfat.com

الظاهر عدم الهداة ، والعلماء بالله الهادين إلى طريقه ، فمن تنبّه من نفسه من غيره ، فله شروط لابد من تقدمها .

الشرط الأول : رفع الحجاب والسد ، وهو أربع : المال والجاه ، التقليد ، والمعصية ؛ فالمال بأن تفرقه ، والجاه والخلاص عنه بالبعد عن طن ، أو بإشهار التواضع والخمول والإقبال على ما يذهب بالجاه ، والتقليد تفع بأن يترك تعصب المذاهب ، وأن يصدّق بمعنى قوله : لاإله إلا الله محمد سول الله تصديق إيمان ، ويخوض فى تحقيقه بالإقبال على أعماله المصدقة حققة له ، ورفع الآلهة كلها من الهوى والدنيا وجميع ماتركن إليه النفس ، عد ذلك يقبل على الله بكنه همته ، ويداوم على ذكره ، فينكشف له الاعتقاد حق ، لقوله تعالى( والّذينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ) . ا المعصية ، فيتركها جانبا ، ويضع مكانها الطاعات والندم على ما قدّم ، توبة ورد المظالم ، فإذا فعل ، وفرغ من هذه الأمور الأربعة صار كمن ضأ ، ورفع الحدث ، والخبث ، وستر العورة ، واستعد للصلاة ، فعند ك لابد له من شيخ سلك طريق الآخرة لنفسه ، حتى يهتدى به ، وعند ك يكون بين يدى شيخه كالميت بين يدى الغاسل ، لايتحرك لنفسه ، بل لبه الغاسل كيف شاء ، وعندها يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام لا يعترض على شيخه بحال من الأحوال ، وعند ذلك يؤمر بأربعة أشياء : خلوة ، والصمت ، والجوع ، والسهر . فالجوع مراد لتقليل دم القلب ، ففيه اضه ونوره ، ولذوبان شحم الفؤاد ، وفيه رقته ، وهى مفتاح المكاشفة كما ن القسوة التى هى ضد الرقة سبب الحجاب ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله ليه وسلم لعائشة رضى الله عنها : « ضيّقى مجارىَ الشّيْطانِ بالجُوعِ » . ال عيسى عليه السلام للحواريين : « جَوِّعُوا بُطُونَكُمْ لَعَلَّ

Marfat.com

قُلُوبَكُمْ تَرَى رَبَّكُمْ ».وقال سهل رضى الله عنه : ماصار الأبدال أبدالا إلا بأربع خصال : إخماص البطون ، والسهر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس. أما السهر : فإنه أيضا يجلوالقلب فينوّره . والجوع يعين على السهر ، ويتعاضدان فى تنوير القلب . والنوم يقسى القلب ويميته إلا إذا كان بقدرالضرورة ، فقيل فى حق الأبدال إن نومهم غلبة ، وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة . وقال إبراهيم الخواص : اجتمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فيتيسر بالعزلة والخلوة وشره الكلام إلى القلوب ، خصوصا لمن ذاق شيئا من العلم عظيم ، والفطام عنه شديد ، لكنه كثير الفائدة وغزير الجدوى ، فبه يتوجه الباطن إلى الغيب ، ويعرض عن هذه الحياة الدنيا. وأما الخلوة : ففائدتها دفع الشواغل ليتفرغ للمقصود ، إذ لابد من ركود حواسه حتى يتحرك قلبه ، وذلك بالخلوة فحسب ، ثم الأولى أن يكون فى بيت مظلم ، حتى لايقع بصره على شىء يشغله ، فإن لم يكن مظلما فليلفّ رأسه فى شىء أو يغمض عينيه ، فعند ركود الحواس يسمع نداء الحقّ ، ويشاهد جمال الحضرة الربوبية ،ألا ترى أنه نودى عليه الصلاة والسلام فقيل : ( يا أيُّها المُزَّمِّلُ ، يا أيُّها المُدَّثِّرُ ) فاذا فعل ذلك من الجوع والخلوة والسهر والصمت ، فليلقن ذكرًا من الأذكار ، وهو أن يجلس فى زاوية بيت على الوضوء مستقبل القبلة ، فيقول بلسانه : الله الله . لايزال يقول كذلك ويحضر القلب والحواس كلها لاستماع الكلمة من اللسان ، ويواظب عليه إلى أن تسقط عنه حركة اللسان بالتكلف ، فيصير بحيث تجرى على لسانه من غير اختياره ثم يرجع من اللسان إلى القلب ، وهو كلما يسكت القلب عاد إلى الذكر باللسان ، فإذا أخذ القلب فى الذكر سكت اللسان ، ولا يزال كذلك إلى ينمحى عن القلب الحروف ، ويبقى ذكر صاف عرىّ عن الحروف ، ثم يرتفع

Marfat.com

عن الذكر ، فيصير حالة مستدامة ، ويتيقظ لما يجرى عليه من الوقائع فيذكرها لشيخه ، وهو يرى فى تلك الوقائع ماسيجرى عليه من الصفاء والكدورة ، وما يتجدّد عليه من الخيالات والوساوس والأحوال الصحيحة ، لايمكن أن يعلمها بنفسه ، بل يلقيها إلى الشيخ ، فهو أعلم بذلك ، وهو على جميع الأحوال مادام عالما بوجود نفسه فعليه بالذكر ، قال الله تعالى ( قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ) . فإذا غلب عليه وسوسة أو خاطر سوء فما دام غائبا لايدرى ما يجرى عليه ، فلا حرج عليه ، فإذا ثاب إلى نفسه ورجع إلى علمه يرجع إلى الذكر ، قال الله تعالى ( إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فإذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ـ وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بِاللهِ إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) . ويلازم الذكر طول العمر ، فعساه يرزق أن يكون من ملوك الدين الذين تكشف لهم الحقائق ، ويرى ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فإن لم يكشف له شىء فليداوم ، فإنه عند ظهور ناصية ملك الموت عليه السلام ينكشف له ذلك ، ويصل إلى المقصود إن شاء الله تعالى ، فافهم تغنم ، والله أعلم .

## الباب الثالث والعشرون

### فى كسر الشهوتين : شهوة البطن ، والفرج

### وفيه فصول

اعلم أن منشأ جميع الآفات شهوة البطن ، ومنها تتشعب شهوة الفرج ، ومنها أصيب آدم عليه السلام ، فأخرج من الجنة ، وهى التى تنتهى بالرجل إلى أن يطلب الدنيا ويرغب فيها .

## بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهِدُوا أنفُسَكُمْ بالجُوعِ والعَطَشِ ، فإنَّ الأجْرَ فى ذلكَ كأجْرِ المُجاهِدِ فِي سَبيلِ اللهِ ، وإنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أحَبَّ إلى اللهِ تَعالى مِنْ جُوعٍ وعَطَشٍ » . وقال ابن عباس رضى الله عنه : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لايَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّماءِ مَنْ مَلأَ بَطْنَهُ » . وروى أبوسعيد الخدرىّ رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : « البَسُوا وَاشْرَبُوا وكُلُوا فى أنْصافِ البُطُونِ . فإنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ » . وقال الحسن رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفْضَلُكُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ تَعالى أطْوَلُكُمْ جُوعا وتَفَكُّرًا ، وأبْغَضُكُمْ إلى اللهِ تَعالى كُلُّ نَئُومٍ أكُولٍ شَرُوبٍ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ اللهَ تَعالى يُباهِي المَلائِكَةَ بِمَنْ قَلَّ طَعامُهُ فِي الدُّنيا ، يَقُولُ : انظُرُوا إلى عَبْدِي ابْتَلَيْتُهُ بالطَّعامِ والشَّرابِ فِي الدُّنْيا ، فَتَرَكَهُما لأجْلِي ، اشْهَدُوا يا مَلائِكَتِي ما مِنْ أكْلَةٍ يَدَعُها إلاَّ أبْدَلْتُهُ بِها دَرَجاتٍ فى الجَنَّةِ » وقال أبو سليمان : لأن أترك لقمة من عشائى أحبّ إلىّ من قيام ليلة إلى الصبح وقد بيَّنا أنه يجلب الرقة والانكسار ، ويدفع الأشر والبطر . ومن فوائده أن لاينسى البلاء وأهله والعذاب ، وكسر سائر الشهوات ، وبه يستولى على النفس والشيطان فيقمعهما ، وبه يدوم السهر ، ويندفع النوم . ولذلك كان بعض الشيوخ يقف على رأس السفرة ويقول : معاشر المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسَّروا كثيرا . فبالجوع تتيسَّر المواظبة على العبادة . فمن شبع كسل عن الطاعات ، وكثرة الأكل تستدعى كثرة

Marfat.com

الاستمداد من الطلب والطبخ وغسل اليد والخلال والتردّد إلى بيت الماء للاستفراغ .

وحكى السرىّ عن بعض الشيوخ أنه كان يستفّ سويقا ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى حسبت مابين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة ، فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة . واعلم أن من تيقن أن كلّ نفس جوهر لاقيمة له حوسب على تضييعه . ومن فوائد الجوع : صحة النفس والبدن ، فإن من قلّ أكله قلّ مرضه . ومن فوائده : القدرة على الإيثار ، ونيل الفضيلة .

## بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة النفس والبطن

اعلم أنه بعد أن يكون الطعام حلالا كما سبق ذكره ، فعليه ثلاث وظائف هى : تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة ، وتقدير وقته فى الإبطاء والسرعة ، وتعيين جنس المأكول .

الوظيفة الأولى : فى تقليل الطعام ، وسبيله التدريج ، فمن انتقل من الكثير إلى القليل دفعة واحدة فسد مزاجه ، فليتدرّج فيه بأن يحسب على نفسه ، فإن كان يأكل كل يوم ثلاثة أرغفة مثلا ، فينقص كلّ يوم نحو من ثلث عشر رغيف ، وهو جزء من ثلاثين جزءا من رغيف ، فى شهر ينقص رغيف ، وفى شهرين رغيفان ، ولا يشقّ عليه ، ويكون هذا التدريج بحيث يبقى ويعتمد عليه ، وله الآن فيا يرد إليه درجات ؛ واقتنع الصدّيقون فى ذلك بقدر مايقيم الحياة والعقل ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ » .

والدرجة الثانية : أن يردّ نفسه بالرياضة فى اليوم والليلة إلى نصف مدّ ،

Marfat.com

وهو الرغيف وشيء ، فهو مما يكون الأربعة منه منا ، ويقرب منه عادة عمر رضى الله عنه ، فإنه كان يأكل سبع لقم أو تسعا .

الدرجة الثالثة : أن يردّ بالرياضة فى اليوم والليلة إلى مقدار المدّ ، وهو رغيفان ونصف ، وهذا يزيد على ثلث البطن .

والدرجة الرابعة : أن يزيد على المنّ إلى المدّ ، وهذا هو النهاية ، وما وراءه إسراف يكاد يدخل تحت قوله تعالى ( كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا ) وله طريق آخر ، فهو أن يمدّ يده بعد الجوع ، ويمسك قبل الشبع ولا يتجاسر لكنه فيه خطر ، إذ لعله لايطلع على صدق الجوع فيلتبس عليه الأمر . وقد قيل : إن الجوع الصادق أن لايطالب الأدم . وقيل : أن لايميز بين خبز وخبز . واعلم أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فلا يمكن تقديره ، بل على كلّ أحد أن ينظر فى حقّ نفسه . وقال سهل : لو كانت الدنيا دما عبيطا ، لكان قوت المؤمن منها حلالا ، لأن أكل المؤمن بقدر الضرورة وبقدر القوام .

الوظيفة الثانية : فى وقت الأكل . ومن المريدين من ردّ الرياضة إلى الطىّ لا إلى المقدار ، فمنهم من طوى ثلاثة أيام ، ومنهم من زاد إلى الثلاثين والأربعين ، وانتهى إليه جمع كثير ، منهم سليمان الخوّاص ، وسهل بن عبدالله ، وإبراهيم الخوّاص . ورُوى أن بعض العلماء الصوفية قال : من طوى أربعين يوما عن الطعام ، ظهرت له قُدرة من الملكوت : أى كوشف ببعض الأسرار الإلهية . وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع فى إسلامه ، فقال له الراهب : إن المسيح كان يطوى أربعين يوما ، وإنها معجزة لاتكون إلا لنبى صادق ، فقال له الصوفى : فإن طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل فى دين الإسلام ؟ قال : نعم ، فقعد لايبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ، فقال : أزيدك إلى تمام الستين ، وفعل ، فتعجب

راهب وقال : ما ظننت أن أحدا يزيد على المسيح ، وكان سبب إسلامه ، هذه درجة عظيمة لايبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ماقطعه عن طبعه وعادته ، واستوفى نفسه فى لذته ، وأنساه جوعه وحاجته ، فيأتيه القوت روحانى من عالم الغيب ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « أنا بِيتُ عِنْدَ رَبِّى يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِى » .

الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاث ، وذلك معتاد .

الدرجة الثالثة : الاقتصار فى اليوم والليلة على أكلة واحدة ، وهذا هو قل . وقد روى أبوسعيد الخدرى أنه عليه الصلاة والسلام : كان إذا تغدى يتعش ، وإذا تعشى لم يتغد . وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة : « إِيَّاكِ الإِسْرَافَ ، فإِنَّ أَكْلَتَيْنِ فِى يَوْمٍ مِنَ الإِسْرَافِ » .

فصـــل

اعلم أن الجوع المحمود ، هو الذى لايشغل عن ذكر الله تعالى ، وإذا رج عن الحد شغل ، إلا فى حق من غلبت عليه شهوة عظيمة ، فيفعل ذلك كسرها ، فإن لم يكن كذلك ، فخير الأمور أوسطها . ١

ثم لكسر هذه الشهوة آفتان يجب التحفظ عنهما :

إحداهما : أنه ربما يأكل فى الخلوة حتى لايأكل فى الجماعة ، وهذا هو شرك الخفى ، وربما انتهى بصاحبه إلى النفاق .

والآفة الثانية : أن يحب أن يُعرف بقلة الأكل والعفة ، فقد ترك آفة سهلة ، وارتكب أمرًا فوق ذلك ، وهو الجاه والشهرة . قال أبوسليمان : إذا قدمت إليك شهوة ، وقد كنت تاركها ، فأصب منها شيئا يسيرا ، ولا تعط نفسك مناها ، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة ، وقد نقصت على نفسك إذا لم تعطها من شهوتها ما تهنأ به ، فذلك يكون إسقاطا للشهوة ، وعصيانا

Marfat.com

للنفس . وقال جعفر بن محمد الصادق : إذا قدّمت إلىّ شهوة نظرت إلى نفسى ، فإن أظهرت شهوتها لها أطعمتها منها ، وكان ذلك أفضل من منعها فإن أخفت شهوتها وأظهرت العروض عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئا وهذه طريق فى عقوبة النفس على هذه الشهوة . واعلم أن من ترك شهوة الطعام ووقع فى الرياء كان كمن هرب من العقرب وفزع إلى الحية .

القسم الثانى من هذا الباب فى كسر شهوة الفرج

اعلم أن لذّة الوقاع سُلطت على الإنسان لفائدتين :

إحداهما : أن يدرك لذّته فيقيس عليها لذّة الآخرة ، إذ هى أقوى لذّات الأجساد إن دامت ، كما أن النار وألمها أعظم آلام الجسد .

والفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود ، ولكن فيها بعد هاتين الفائدتين من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم يضبط ولم يقهر ولم يرد إلى حدّ الاعتدال . وقد قيل فى المعنى قوله تعالى ( رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ ) معناه : الغلمة . وعن ابن عباس ، فى قوله تعالى ( وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ ) هو قيام الذكر . وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَمَنِيِّي » . وقال : « النِّساءُ حَبائِلُ الشَّيْطانِ ، وَلَوْلا هَذِهِ الشَّهَواتُ لَما كانَتْ كذلكَ » . وقد رُوى أن موسى عليه الصلاة والسلام كان جالسا فى بعض مجالسه ، إذ أقبل إبليس وعليه برنس يتلوّن فيه ألوان ، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه، ثم أتاه فقال السلام عليك ، فقال موسى عليه السلام : من أنت ؟ فقال : أنا إبليس ، قال فلا حيّاك الله ، ماجاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه ، قال : فما الذى رأيت عليك ؟ قال : به أختطف قلوب بنى آدم

Marfat.com

قال : فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ؟ قال : إذا أعجبته نفسه ، واستكثر عمله ونسي ذنوبه ؛ وأحذّرك ثلاثا : لاتخل بامرأة لاتحلّ لك ، فإنه ماخلا رجل بامرأة لاتحلّ له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها ، ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به ، ولا تخرجنّ صدقة إلا أمضيتها ، فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ، ثم ولى وهو يقول : يا ويلتاه علم موسى ما أخدع به بنى آدم، وقد ينتهى الأمر بصاحب الشهوة إلى أن يعشق محلا مخصوصا ، فلا يريد قضاء وطر إلا منه ، وهو زيادة فى البهيمية ، وهو مذموم ، فالإسراف أبداً مذموم وهو غلبة الشهوة إلى حدّ لايطيع العقل آثاره ، وعدمها بالكلية فى حقّ العنين أيضا مذموم ، وخير الأمور أوساطها ، ومهما زادت على الحدّ فاكسرها بالجوع أو بالنكاح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَعاشِرَ الشَّبابِ عَلَيْكُمْ بالباءَةِ ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوْمِ ، فإنَّ الصوْمَ لَهُ وِجاءٌ » .

١

## بيان ماعلى المريد فى ترك التزويج وفعله

اعلم أن المريد لاينبغى أن يشغل نفسه فى ابتداء أمره بالتزويج ، فإن ذلك يمنعه عن الإقبال بكُنه الهمة على الله تعالى كما سبق ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : من تزوّج فقد ركن إلى الدنيا ، وقال : ما أيت مريداً تزوّج فثبت على ما كان ، واعلم أنك إن قست نفسك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخطأت الطريق ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان لاتشغله الدنيا والآخرة وما فيهما ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( مازَاغَ البَصَرُ وَما طَغَى ) فإنه كان لايشغله عن الله شاغل ، فإنه مهما غلبت عليك الشهوة ، فعليك

Marfat.com

بالصوم والجوع والعطش والسهر . والغالب أن تندفع بذلك ، فإن كانت خارجة عن الحدّ على خلاف المعتاد ، وليس يقدر على حفظ العين ، فقد وجب بحكم خصوص الحال النكاح حتى يستريح ، وإلا فمن لايقدر على حفظ العين لايقدر على حفظ القلب ، وإذا تفرّق همه فلا فائدة فى عزوبته ، بل يخاف عليه ما قال عيسى عليه السلام : إياكم والنظرة ، فإنها تزرع فى القلب شهوة ،وكفى بها فتنة.وقال سعيد بن جبير :إنما جاءت فتنة داود من أجل النظر وقال داود لابنه عليه السلام : يابنىّ امش خلف الأسدوالأسود،ولا تمش خلف المرأة . وقيل ليحيى بن زكريا : ما بَدْء الزّنا ؟ قال عليه السلام : النظر والتمنى نعم إن لم تطالبه نفسه مطالبة لايقدر على كسرها فله أن لاينكح . وقد رُوى أ محمد بن سليمان ملك غلة كلّ يوم ثمانين ألف درهم ، ثم كتب لأهل البصر وعلمائهم فى امرأة يتزوّجها ، فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية ، فكتب إليها بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فإن الله تعالى ملّكنى من غلة الدنيا فى كل يوم ثمانين ألف درهم ، وليس يمضى الأيام والليالى حتى أتمها مئة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها ، فأجيبينى . فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإن الزهد فى الدنيا راحة البدن ، والرغبة فيها تورث الغمّ والحزن فإذا أتاك كتابى هذا ، فهيّ زادك ، وقدّم لمعادك ، وكن وصىّ نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقسموا تراثك ، وصُم الدهر ، واجعل فط الموت ؛ وأما أنا فلو أن الله عزّ وجلّ خوّلنى أمثال ما خوّلك وأضعافه ماسر ذلك أن أشتغل عن الله عزّ وجلّ طرفة عين ، فتبين بهذا أن ما يشغل عن تعالى لاسبيل إليه .

Marfat.com

فصل : فى بيان فضيلة من يخالف الشهوة

اعلم أن من العصمة أن يقدر على مخالفة الشهوة مع القدرة ، فذلك أفضل
هو درجة الصدّيقين ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ عَشِقَ
فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ
يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ يَوْمَ لاظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ ، وَعَدَّ مِنْهُمْ رجلاً
دعته امْرأةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجمالٍ إلى نَفْسِها ، فَقَالَ إنِّى أخافُ اللهَ رَبَّ
العالَمينَ » . ورُوى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها ، فدخلت
عليه امرأة فسألته نفسه ، فامتنع عنها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه . قال
سليمان : فرأيت فى المنام يوسف عليه السلام ، وكأنى أقول له : أنت يوسف ؟
قال : نعم أنا يوسف الذى هممت ، وأنت سليمان الذى لم تهم ، والله أعلم
بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

## الباب الرابع والعشرون

### فى آفات اللسان ١

اعلم أن خطر اللسان عظيم ، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت ، فلذلك
مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمت وحثّ عليه ، فقال : « مَنْ
صَمَتَ نَجا » . وقال : « الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فاعِلُهُ » . وقال صلى
الله عليه وسلم « : مَنْ يَتَكَفَّلُ لى ما بينَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أتَكَفَّلُ لَهُ
بالجَنَّةِ » . ورُوى أن معاذ بن جبل قال : يا رسول الله أوصنى ، قال :
« اعْبُدِ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِى المَوْتَى ، وإنْ شِئْتَ
أنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ أمْلَكُ لَكَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ، وأشار بيده إلى لسانه
صلى الله عليه وسلم . وعن الصديق رضى الله عنه أنه كان يضع حجرًا فى فيه

يمنع به نفسه عن الكلام . وكان يشير إلى لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد . وقال ابن مسعود : والله الذى لاإله إلا هو ما من شىء أحوج إلى طول سجن من لسان .

ونحن الآن نبين آفات اللسان ، ونبدأ بأخفّ الآفات ثم نترق :

الآفة الأولى : الكلام فيما لايعنيك . اعلم أنك إذا تكلمت بما لايعنيك فقد ضيّعت زمانك ، وتعرّضت به للحساب ، وقد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فإنك لو ذكرت الله بدله ، أو سكت ، أو اشتغلت بالفكر لكنت تنال به معالى الدرجات . وقال عليه الصلاة والسلام : « مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لايَعْنِيهِ » . وقال أنس : استشهد غلام منا يوم أحد ، فوجد على بطنه حجر مربوط من الجوع ، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك الجنة يا بنىّ ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « فَمَا يُدْرِيكِ لَعَلَّهُ كانَ يَتَكَلَّمُ فِيما لايَعْنِيهِ ، وَيَمْنَعُ ما لايَضُرُّهُ » واعلم أن الكلام فيما لا يعنى : أن تجلس فتحكى من أحوالك التى لحقتك فى أسفارك من الجبال والبرارى التى رأيتها مما لا كذب فيه .

الآفة الثانية : فضول الكلام . وهو أن تكرّر ما لافائدة فى تكراره ، وتقرّر منه زيادة الألفاظ المستغنى عنها ، قال عطاء بن أبى رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ؛ ومن هذا الجنس أن تقول : اللهم اخز هذا الكلب مثلا . قال مطرّف : ليعظم جلال الله فى قلوبكم ، فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار وما أشبهه : اللهمّ اخزه . وفضول الكلام لاتنحصر . قال عليه الصلاة والسلام : « طُوبى لِمَنْ أمْسَكَ الفَضْلَ مِنْ لِسانِهِ ، وأنْفَقَ الفَضْلَ مِنْ مالِهِ » . قال بلال بن الحرث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ

رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت ، فيكتب الله تعالى له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ به ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة » . قال : وكان علقمة يقول : كم من كلام وحديث قد منعنيه حديث بلال بن الحرث . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا » .

الآفة الثالثة : الخوض فى الباطل والمعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفسق ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( وكنا نخوض مع الخائضين ) فقد ذكرنا حديث بلال بن الحارث فى الآفة الثانية .

الآفة الرابعة : المراء والمجادلة . والجدال فى ذلك محظورات سبق وجودها الخبر فى التواصل إليها ، وذلك منهى عنه ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعدا فتخلفه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ، ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة » .

الآفة الخامسة : الخصومة . وهى أيضا مذمومة ، وهى أن تخاصم إنسانا ليستوفى حقا أو مالا . قالت عائشة رضى الله عنها : قال عليه الصلاة والسلام : « أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم » . وقال أبو هريرة : قال صلى الله عليه وسلم : « من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع » .

الآفة السادسة : التشدق فى الكلام بتكلف السجع والتصنع فيه . قال

عليه الصلاة والسلام : « أنَا وَأتْقِياءُ أُمَّتِي بُرَءَاءُ مِنَ التَّكَلُّفِ » وقالت فاطمة رضي الله عنها ، قال عليه الصلاة والسلام : « شِرارُ أمَّتِي الَّذِين غُذُوا بالنَّعِيم يأكُلُون أنْواعَ الطَّعامِ ، ويَلْبَسُون ألْوانَ الثِّيابِ ، ويَتَشَدَّقُون فى الكَلامِ » .

الآفة السابعة : السبّ والفُحش وبذاءة اللسان . وهو مذموم ، قال عليه الصلاة والسلام : « إيَّاكُمْ والفُحْشَ ، فإنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ » ، وهى كأن يسبّ قتلى بدر من المشركين . وقال عليه الصلاة والسلام : « البَذَاء » أى الكلام الفحش « والبَيانُ شُعْبَتَانِ مِن النِّفاقِ » .

الآفة الثامنة : اللعن إما لحيوان أو لجماد أو لإنسان . قال عليه الصلاة والسلام « المُؤْمِنُ لَيْس بِلَعَّانٍ » . وقال حذيفة رضى الله عنه : ما تلاعن قوم إلا حقّ عليهم القول . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه ، وهو يلعن بعض رقيقه ، فالتفت إليه وقال : ياأبا بكر ، صدّيق ولعان ، كلا وربّ الكعبة ، وأعاد مرّتين أو ثلاثا ، فأعتق أبوبكر يومئذ بعض رقيقه ، وجاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : لاأعود » . واعلم أن من ثبت بالشرع أنه ملعون كأبى جهل وفرعون فلا بأس بلعنه ، وإن تركه أيضا لابأس به ، أما يهودى بعينه ففيه خطر ، لأنه يمكن أن يكون ممن قدر الله تعالى له أن يرزق الإسلام ، فيه خطر إلا أن يقيد ، ويقول : إن مات على ماهو عليه ، وعلى الجملة : فترك اللعن على إبليس لابأس به فضلا عن غيره ، فالأولى ترك اللعن ، وفي إمساك اللسان عنه .

الآفة التاسعة : الغناء والشعر ، أما الغناء فقد سبق فى باب السماع ذكره . وأما الشعر فكلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، ألا إن التحرّى له مذموم .

صلى الله عليه وسلم : « لأَنْ يمْتَلِئَ بَطْن أحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ مِنْ أنْ يمْتَلِئَ شِعْرًا » والمحذور منه : المداومة وقطع الزمان ، وإلا ورد ما يدلّ على جوازه .

الآفة العاشرة : المزاح ، وأصله منهيّ عنه مذموم ، إلا قدرًا يسيرا . قال ه الصلاة والسلام « لا تُمَارِ أخاك ولا تُمَازِحْه » . واعلم أن المنهيّ عنه المزاح الإفراط ، إذ هو يورث كثرة الضحك ، وكثرة الضحك تميت ب . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّى لأمْزح ولا أقُول إلا حَقًّا » . ى أنه عليه الصلاة والسلام قال لِصهَيْبٍ : « تَأْكل التَّمْرَ وأنْتَ رَمِدٌ » لَ : آكل بالشّقّ الآخَرِ ، فتَبَسَّمَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآفة الحادية عشرة : السخرية والاستهزاء وهو محرّم ، قال الله تعالى يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ ) ومعناه : الاستحقار والاستهانة والتنبيه على ب ، وربما كان بالمحاكاة فى الأفعال والأقوال . وقال صلى الله عليه : « إنّ المُسْتَهْزِئِين بالنَّاسِ يُفْتَح لأحَدِهِمْ بابٌ مِنَ الجَنَّةِ ، ال هَلُمَّ هَلُمَّ ، فيَجِيء بكَرْبِهِ وغَمِّه ، فإذا جاءَ أغْلِقَ نَه ، ثمَّ يُفْتَح لَه بابٌ آخَر ، فيُقَال هَلُمَّ فيَجِيء بكَرْبِهِ ممِّهِ ، فإذا أتاه أغْلِقَ دونَه ، فمَا يزَال كذلكَ حتى إنّ الرَّجلَ تَح لَهُ البابُ ، فيُقَالُ هَلُمَّ هَلُمَّ ، فمَا يَأْتِيه » . وقال معاذ بن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَيَّرَ أخاهُ بِذَنْبٍ قَدْ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حتى يَعْمَلَهُ » .

الآفة الثانية عشرة : إفشاء السرّ . وهو منهيّ عنه ، لما فيه من الإيذاء اون بحقّ الأصدقاء . وقال صلى الله عليه وسلم : « الحَدِيثُ بَيْنَكُمْ



Marfat.com

الآفة الثالثة عشرة : الوعد الكاذب . وذلك منهيّ عنه ، وذلك من أمارات النفاق . قال الله تعالى ( يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعُقُودِ ) . وقال عليه الصلاة والسلام « العِدَةُ عَطِيَّةٌ » .

الآفة الرابعة عشرة : الكذب فى القول واليمين . وهو من قبائح الذنوب روى أن أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه كان يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا ، ثم بكى فقال : « إيَّاكُمْ والكَذِبَ فانَّه مَنْبَعَ الفجورِ وَهمَا فِي النَّارِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الكَذِبَ بابٌ مِنْ أَبْوَابِ النِّفاقِ » وقال بعض السلف : إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب . وقال : إن فى المعاريض مايكف الرجل عن الكذب .

الآفة الخامسة عشرة : الغيبة . فنذكر أولا ما ورد من الشرع فى ذمها قال الله عزّ وجلّ ( وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أن يَأْكُلَ لَحْمَ أخيهِ مَيْتا ) . . . الآية . وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَحاسَدوا وَلا تَباغَضوا وَلا تَناجَشوا ولا تَدَابَروا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوَانا » وقال صلى الله عليه وسلم : « إيَّاكُمْ والغِيبَةَ ، فانَّ الغِيبَةَ أشَدُّ من الزِّنا ، لأنَّ الرَّجُلَ إذَا زَنى وَتابَ فَيَتُوب الله عَلَيْهِ ، وَإنَّ صاحِبَ الغِيبَةِ لايُغْفَرَ لَهُ حتى يَغْفِرَ لَهُ صاحِبُهُ » قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِى على قوم يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ بأظافِرِهِمْ . فَقُلْتُ يا جِبْريلُ مَنْ هؤلاء ؟ فَقالَ : هؤلاءِ الَّذِينَ يَغْتابُونَ النَّاسَ وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِم » وأوحى الله تعالى إلى موسى صلى الله عليه وسلم . فقال : « مَنْ ماتَ تائبا

غيبةِ فَهُوَ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ ، وَمَنْ ماتَ مُصِرًّا عَلَيْها هُوَ أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ » . وحدّ الغيبة أن تذكر إنسانا بما يكرهه بلغه ، سواء ذكرت نقصانا فى بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أودنياه فى ثوبه وداره ودابته .

واعلم أن التعريض والتفهيم فيها كالتصريح ، لافرق بين الحركة المفهمة قول الصريح ، والمستمع فيه شريك القائل ، والإصغاء والتعجب مما يذكره خراج الغيبة ، وهو إعانة وشركة . وقال أبوالدرداء : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيهِ بالغِيبَةِ ، كانَ حَقًّا على تعالى أنْ يَرُدَّ عَنْ عِرْضِهِ يَوْمَ القِيامَةِ » .

## بيان مايرخص فى الغيبة

وذلك أن يكون له غرض صحيح فى الشرع ، وذلك ستة أشياء :

الأوّل : التظلم ، كمن تظلم من قاض ظلمه ، أو أخذ الرشوة منه أوغيره جائز مندوب إليه . الثانى : الاستعانة على تغيير المنكر وردّ العاصى إلى لاح . الثالث : الاستفتاء بأن يقول : ظلم أبى أو أخى فى كذا ، فكيف بيل إلى الخلاص ؛ والتعريض فى مثل هذا أسلم . الرابع : تحذير المسلمين من الشرّ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذْكُرِ الفاجرَ بِمَا فيهِ مِنْ مَساوِيهِ يَحْذَرْهُ النَّاسُ » . الخامس : أن يعرف باسم كالأعرج والأعمش فذلك لاحرج فيه . السادس : أن يجاهر بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ ألْقَى جِلْبابَ الحَياءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلا غِيبَةَ لَهُ » .

Marfat.com

## بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسَّف على مافعله ليخرج من حقّ الله تعالى ثم يستحلل من المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته ، وليكن ذلك باظهار حزن وتندم . وقال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ، وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كَفَّارَةُ مَنِ اغْتَبْتَ أنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ» . وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير ، والأولى الاستحلال باظهار التندّم .

الآفة السادسة عشرة : النميمة . قال الله تعالى (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) قال عبد الله بن المبارك : ولد الزنا لايكتم الحديث . وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دلّ على أنه ولد الزنا استنباطا ، من قوله تعالى (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) والزنيم : هو الدعيّ . وقال تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) الهمزة : هو النمام . وقال : حمالة الحطب ، قيل كانت نمامة حمالة للحديث ، وقال الله تعالى : (فَخانَتاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئًا) . وفى الحديث : «لايَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ» والقتات : النمام ، وفيه أحاديث كثيرة . وحدّ النميمة : كشف مايكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز والإشارة ، فحقيقة النميمة إذاً إفشاء السرّ وهتك الستر .

الآفة السابعة عشرة : كلام ذى اللسانين ، وذلك من يتردّد بين المتعاديين ، ويكلم كلّ واحد بما يوافقه ، وذلك عين النفاق ، قال عمار بن ياسر : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «مَنْ كانَ لَهُ وَجْهانِ فِي الدُّنْيا كانَ لَهُ لِسانانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيامَةِ» . وروى أبو هريرة ، أنه علي

Marfat.com

الصلاة والسلام قال : « تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبادِ الله يَوْمَ القِيامَةِ ذا الوَجْهَينِ الَّذِي يَأْتِي هؤُلاءِ بِحَدِيثِ هؤُلاءِ ، وَهؤُلاءِ بِحَدِيثِ هؤُلاءِ » وفى لفظ : « الَّذِي يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ » .

الآفة الثامنة عشرة : المدح . فهو منهىّ عنه فى بعض المواضع ، وأما الذم فهو الغيبة والوقيعة ، وقد سبق حكمها ، والمدح يدخله ست آفات : أربع فى المادح ، واثنان فى الممدوح . أما المادح فهو أن يفرط فينتهى إلى الكذب . الثانية : أن يدخله الرياء ، فانه بالمدح مظهر للحبّ . الثالثة : أنه يقول مالايتحقق ولم يطلع عليه . الرابعة : أن يفرح الممدوح به ، وهو ظالم فاسق ، وذلك غير جائز ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ تَعالى يَغْضَبُ إذَا مُدِحَ الفاسِقُ » . وأما الممدوح فيضرّه من وجهين : أحدهما : يحدث فيه كبرا وإعجابا . والثانية : إذا أثنى عليه بالخير رضى هو من نفسه بذلك ، فنسى نقصان نفسه ، فيقلّ تشمره للخير ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « قَطَعْتَ عُنُقَ صاحِبِكَ وَيْحَكَ لَوْ سَمِعَها ما أفْلَحَ » .

الآفة التاسعة عشرة : فى الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام ، لاسيما فيما يتعلق بالله وبصفاته ، مثاله : قال حذيفة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايَقُلْ أحَدُكُمْ ما شاءَ اللهُ وَشِئْتُ ، وَلكِنْ لِيَقُلْ ما شاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتُ » ، وذلك لأن العطف المطلق يوهم التشريك . وقال عليه الصلاة والسلام : « لاتَقُولُوا لِلْمُنافِقِ سَيِّدَنا ، فإنَّهُ إنْ يَكُنْ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قالَ أنا بَرِيءٌ مِنَ الإسْلامِ فإنْ كانَ صادِقا فَهُوَ كَما قالَ ، وَإنْ كانَ كاذِبا فَلَيْسَ يَرْجِعُ إلى الإسْلامِ سالِما » .

الآفة العشرون : سؤال العوامّ عن صفات الله تعالى وعن كلامه ، وأنها

قديمة أو حادثة ، وهو منهم فضول ، بل حقهم الاشتغال بالعمل دون العلم لأن العوامّ إذا خاضوا فيه ، ربما تكلموا بما هو كفر ، ولا يشعرون بذلك وسؤالهم عن ذلك كسؤال الساسة عن أسرار الملوك . فى الحديث : « نَهَى رَسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلَّم عَنِ القِيلِ والقالِ وكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ المَالِ » وعلى الجملة اشتغال الناس ، إن الحروف قديمة أو حادثة كمن كتب إليه الملك بكتاب رسم له فيه أمورًا ، فلم يشتغل بشىء منه وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب قديم أو حادث ، فيستحقّ العقوبة منه لامحالة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

## الباب الخامس والعشرون

### فى آفات الغضب والحقد والحسد

اعلم أن الغضب نار مستكنة فى القلب استكنان الجمر تحت الرماد يستخرجها الكبر من الدفين ، ولعله من النار التى خُلق منها الشيطان .

### بيان ذم الغضب

روى أبو هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله مُرنى بعمل وأقلل قال : « لاتَغْضبْ ، ثم أعاد عليه فقال : لاتَغْضبْ » . وعن ابن مسعود قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ما تَعُدُّون الصُّرَعَة فيكُمْ ؟ قُلْنا الذى لايصرعه الرجال ، قال : لَيْسَ ذلك ، ولكنِ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضبِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما غَضِبَ أَحَدٌ إلاّ أَشْفَى عَلَى جَهَنَّم » .

Marfat.com

## بيان حقيقة الغضب

اعلم أن الآدمىّ لما كان معرّضا لأن يقصد بالإهلاك ، وكان بقاؤه مقصودا أعطى الغضب ، وهو قوّة حمية تثور من باطنه ، فخلق الله الغضب من النار وغرزها فى باطن الإنسان ، فإذا قصد اشتعلت نار الغضب ، وثار ثورانا يغلى بها دم القلب ، وينتشر فى العروق ، وترتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار أو الماء الذى يغلى ، وكذلك ينصب إلى البشرة فيحمرّ ، فإذا كان الغضب على من دونه ، واستشعر القُدرة عليه احمرّ ، وإن كان على من فوقه، واستشعر الخوف واليأس ، وتولّد منه انقباض الدم صار حزنا ، واصفرّ لونه ، وإن كان على نظيره تردّد الدم بين انقباض وانبساط ، فيصفرّ تارة ويحمرّ أخرى فيضطرب . وعلى الجملة فحلّ الغضب القلب ، ومعناه : غليان دم القلب لطلب الانتقام . .

وللناس فيه ثلاث درجات : أوّلها : التفريط ، وهو فقد هذه القوّة أو ضعفها ، وذلك عدم الحمية وهو مذموم ، وهو المراد بقول الشافعى : من استُغضب ولم يغضب ، فهو حمار . والمطلوب منه الاعتدال ، وهو الذى وصف الله تعالى به الصحابة رضى الله عنهم ( أشدّاءُ على الكُفّارِ رُحماءُ بينَهم ) . ثالثها : هو الإفراط ، وهو أن يخرج من الحدّ فيغلب صاحبه بحيث لايدخل تحت سياسة العقل ، وإشارة الشرع ، فيصير المرء معه كالمضطرّ ، وهذا مذموم ، ويُرى ظاهره يتغير ويقبح ، وصورة باطنه أقبح . ورُوى أن عائشة رضى الله عنها غضبت مرّة ، فقال صلى الله عليه وسلم « جاء شيْطانُكِ ، فقالت : وما لك شيطان ؟ قال : بلَى ، ولكنْ دعوْتُ الله فأعانَنى علَيْهِ فأسْلَم ، فلا يأْمرُ إلاّ بالخيْرِ » . وقال

علىّ رضى الله عنه : كان صلى الله عليه وسلم لايغضب للدنيا ، فإذا أغضـ
الحقّ لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له .

واعلم أن الغضب وإن لم يمكن إزالته بالكلية ، فيمكن أن يقلل ويجاهـ
خصوصا إذا لم يكن فى ضروريات المعيشة ، وذلك بأن يعرف نفسه وخستها
ويعلم أنه لاينبغى لها الاستعلاء مع تلك الخسة والدناءة ، ونحن نبين ذلك .

## بيان علاج الغضب عند هيجانه وذلك بأمور

منها : أن يعلم ثواب كظم الغيظ كما سبق ، ثم يخوّف نفسه بعقاب الله
ويعلم أنه تعالى أقدر عليه منه على غيره ، وأن يحذر نفسه عاقبة الانتقام ، فـ
العدوّ أيضا يتشمّر لإيذائه ، ويصير ذلك عداوة طويلة ، وأن يتفكّر فى قـ
صورة غيره عند الغضب ، وتعبيس نفسه عليه ، ويعلم أنه يشبه السبع الضار
إن استعمله ، وإن استعمل الحلم فلا يشبّه إلا بالأنبياء والأولياء ؛ وإذا تأ
علم أن غضبه لجريان الأمر على وفق مشيئة الله تعالى ، لاعلى وفق مراده
ولذلك ورد فى الخبر أنه سبب غضب الله تعالى ، فإذا علمت هذه الأمور
فعليك أن تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أمر رسول الله صـ
الله عليه وسلم أن يقال عند الغضب . وكان عليه الصلاة والسلام إذا غضـ
عائشة أخذ بأنفها وقال : « يا عُوَيْشُ قُولى : اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِىّ مُحـ
اغْفِرْ لى ذَنْبِى ، وأذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِى ، وأجِرْنى مِنْ مُضِلَّاتِ الفِـ
ماظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ » ، فليقل ذلك وليجلس إن كان قائما ، وليضطـ
إن كان جالسا ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الغَضَبَ جَمْرٌ يَتَوَقَّد
فى القَلْبِ ألَمْ تَرَوْا إلى انْتِفاخِ أوْداجِهِ ، وحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ، فإذا وَجَد
أحَدُكُمْ مِنْ ذلك شَيْئا ، فإنْ كان قائما فَلْيَجْلِسْ ، وإنْ كان

جالسا فليَنَمْ ، فإنْ لمْ يزُلْ ذلك فليتوضأْ بالماءِ البارِدِ ،أوْ ليغتسِلْ فإنَّ النَّار لايُطفِئُها إلاَّ الماءُ » .

## بيان فضيلة الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من الكظم ، لأن الكظم هو التحلم ، وتكلف الحلم ، الحلم الطبيعي دلالة كمال العقل وانكسار قوّة الغضب تحت سياسة العقل ، لعلّ ابتداء ه التحلم ، ثم يصير ديدنا وعادة . قال النبيّ عليه الصلاة والسلام : إنَّمَا العِلْمُ بالتَّعَلُّمِ ، والحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ ، ومَنْ يتحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ ، ومَنْ يتوقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « اطلُبوا العِلْم ، واطلُبُوا معَ العِلْمِ السَّكِينَةَ والحِلْمَ ، لِينُوا لِمَنْ تَعلَّمونَ مِنْهُ ، ولِمَنْ يتعلَّمُونَ منكُمْ ، ولا تكونُوا منْ جَبابِرَةِ العُلَماءِ فيَغْلِبَ جهلُكُمْ عِلمَكُمْ » . وقال فى دعائه : « اللَّهُمَّ أغْنِنِى بالعلْمِ وزَيِّنِّى بالحِلْمِ ، وأكْرِمْنِى بالتَّقْوَى ، وجَمِّلْنِى بالعافِيَةِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ابتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللهِ » ، قالوا : وما هى يا رسول الله ؟ قال : « تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ ، وتُعْطِى مَنْ حرَمَكَ ، وتحْلُمُ عَمَّنْ جَهِلَ عليْكَ » . وقال الله تعالى ( وَإِذَا خاطبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما ) . قال العلماء : إن جهل عليهم لايجهلون ، وإذا سبّك إنسان أو اغتابك أو عيرك فعليك بالحلم ، ففيه النجاة فى الدارين . أما فى الحال ، فلأنه يزاد فى احترامه ، وهو يزيد فى الآخرة جزيل الثواب ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِمَا فيكَ فَلا تُعَيِّرْهُ بِمَا فيهِ » .

Marfat.com

## بيان فضيلة العفو

وهو أن يستحقّ حقا فيسقطه ، كالعفو عن القصاص أو المال والغرامة . قال الله تعالى ( خُذِ العَفْوَ ) . . . الآية ، وقال ( وأنْ تَعْفُوا أقْرَبُ للتَّقْوَى ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنْ كُنْتُ حالِفا عَلَيْهِنَّ : ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مالٍ فَتَصَدَّقُوا . وَلا عَفَا أحَدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِها وَجْهَ اللهِ إلاّ زَادَهُ اللهُ عِزّاً يَوْمَ القِيامَةِ ، وَلا فَتَحَ رَجُلٌ بابَ مَسْئَلَةٍ إلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بابَ فَقْرٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « التَّوَاضُعُ لايَزِيدُ العَبْدَ إلاّ رِفْعَةً . فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعكُم اللهُ ، والعَفْوُ لايَزِيدُ العَبْدَ إلاّ عِزّاً ، فاعْفُوا يُعِزّكُمُ اللهُ ، والصَّدَقَةُ لاتَزِيدُ المَالَ إلاّ كَثْرَةً فَتَصَدَّقُوا يَرْحَمْكُم الله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَعا على مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ » .

## بيان فضيلة الرفق

اعلم أن الرّفق محمود ، وهو ثمرة حسن الخلق ، ويضادّه العنف والحدة . قال صلى الله عليه وسلم لعائشة : « إنَّه مَنْ أُعْطِيَ حَظَّه مِنَ الرِّفْقِ أعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّه مِنَ الرِّفْقِ حُرِمَ حَظَّه مِنْ خَيْرِ الدنيا والآخِرَةِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أحَبَّ اللهُ أهْلَ بَيْتٍ أدْخَلَ عَلَيْهِم الرِّفْقَ » .

## بيان ذم الحسد

وهو من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب . قال عليه الصلاة والسلام : « الحَسَد يأكُلُ الحَسَناتِ كمَا تأكُلُ النّارُ الحَطَبَ »

Marfat.com

وحقيقته أنه يكره نعمة الله على أخيه ، فيحب زوالها عنه ، فان كان لايكره ذلك لأخيه ، ولا يريد زواله ، ولكن يريد لنفسه مثل ذلك ، فيسمى هذا غبطة . قال صلى الله عليه وسلم : « المُؤْمِنُ يَغْبِطُ ، والمُنافِقُ يَحْسُدُ » . وقال الله تعالى ( وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ) ، فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد منهم . وقد قال الله تعالى ( وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ ) والمراد به النهي عن تمني انتقال تلك النعمة إليه بعينها ، أما أن يتمنى أن ينعم الله تعالى عليه بمثله ، فذلك غير مذموم ، وإن كان فى دين فهو محمود .

واعلم أن للحسد أسبابا كثيرة ، وهي العداوة والتعزّز والبغض والكبر والعجب والخوف من فوات المقاصد المحبوبة ، وحبّ الرياسة ، وخبث نفس بخلها ، وكلها مذموم . وعلاجه أنك تعلم أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فلأنك تتأذّى بذلك ، وهو ضجيعك لايفارقك ليلا نهارا . وأما فى الدين فهو تسخط لنعمة الله تعالى ، وهو ثواب له ، وذنب مكتوب عليك ، فإذا علمت ذلك ولم تكن صديقا لعدوّك ، فلا بدّ أن تتكلف الإقلاع عن الحسد . وقد روى الحسن مرفوعا وموقوفا أنه قال : « ثَلاثَةٌ فى المُؤْمِنِ لَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ وَمَخْرَجُهُ مِنَ الحَسَدِ أن لايَبْغِي » ، والحمد لله وحده .

## الباب السادس والعشرون
### فى ذم الدنيا

اعلم أن الدنيا عدوّة الله تعالى وعدوّة لأوليائه وعدوّة لأعدائه ، فعداوتها لله تعالى ، لأنها قطعت الطريق على أوليائه ، ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها

Marfat.com

وأما عداوتها لأولياء الله تعالى ، فلأنها تزينت لهم بزينتها وغرّتهم بزهرتها ونضارتها ، حتى تجرّعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها . وأما عداوتها لأعداء الله ، فلاستدراجها لهم بمكرها وبكيدها ، واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها ، وعوّلوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها .

## بيان ذم الدنيا

اعلم أن الأنبياء بعثوا لدعوة الناس من الدنيا إلى الآخرة ، وفيه أنزلت الكتب ، فأكثر الآيات دالة عليه . وقد رُوى أنه صلى الله عليه وسلم لما مرّ على شاة ميتة ، قال : « أتَرَوْنَ هذهِ الشّاةَ هَيِّنَةً على صاحِبِها ؟ قالوا : نعم قالَ : والّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إنّ الدُّنْيا أهْوَنُ على الله عزّ وَجلّ مِنْ هذهِ على صاحِبِها ، وَلَوْ كانَت الدُّنْيا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى كافِرًا مِنْها شَرْبَةً مِنْ ماءٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وجَنّةُ الكافِرِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الدُّنْيا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ ما فِيها إلاّ ما كانَ لِلهِ مِنْها » . وقال أبو موسى الأشعرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أحَبّ دُنْياه أضَرّ بآخِرَتِه ، وَمَنْ أحَبّ آخِرَتَهُ أضَرّ بدُنْياهُ ، فَآثِرُوا ما يَبْقَى على ما يَفْنَى » . وقال صلى الله عليه وسلم : « حُبّ الدُّنْيا رأسُ كُلّ خَطيئَةٍ » . وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فدعا بشراب ، فأتى بماء وعسل ، فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه ، فسكتوا وما سكت ، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لم يقدروا على مسئلته ، قال : ثم مسح عينيه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ما أبكاك ؟ قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً

لم أر معه أحدا ، فقلت : يا رسول الله ، ما الذى تدفع عن نفسك ؟ فقال : هذه الدنيا تمثّلت لى ، فقلتُ لها : إليكِ عنّى ، ثمّ رجعتْ فقالت : إنّكَ إنْ خلصتَ وأفلتَّ منّى لمْ يفلتْ منّى من بعدك » وقال صلى الله عليه وسلم : « يا عجباً كلّ العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ الدُّنيا حلوةٌ خضرةٌ ، وإنّ اللهَ تعالى مستخلفكم فيها ، فناظرٌ كيفَ تعملونَ ، إنّ بنى إسرائيلَ لمّا بُسطتْ لهمُ الدُّنيا ، ومُهّدتْ ، تاهوا فى الحليةِ والنّساءِ والطّيبِ والثّيابِ » . وقال عيسى عليه السلام : لاتتخذوا الدنيا ربا ، فتتخذكم عبيدا ، اكنزوا كنزكم عند من لايضيعه ، وإن صاحب الدنيا يخاف عليها الآفة ، وصاحب كنز الله لايخاف عليه الآفة . وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه : « المؤمنُ بين مخافتين : بين أجلٍ قدْ مضى لايدْرى ما اللهُ صانعٌ فيه ، وبين أجلٍ قدْ بقيَ لايدْرى ما اللهُ قاضٍ فيهِ ، فليتزوّد العبْدُ مِنْ نفْسهِ لنفسهِ ، ومِنْ دُنياهُ لآخرتِهِ ، ومِنْ حياتهِ لموْتهِ ، ومِنْ شبابه لهرمهِ ، فإنّ الدُّنيا خُلقتْ لكُمْ ، وأنتُمْ خُلقتُمْ للآخرةِ ، والّذى نفسي بيدهِ ما بعْد الموْتِ مِنْ مُسْتعتبٍ ، ولا بعْد الدُّنيا دارٌ إلاّ الجنّةُ أوِ النّارُ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ حقّاً على اللهِ أنْ لايرْفع شيْئا مِن الدُّنيا إلاّ وضعهُ » . وقال عيسى عليه السلام : من ذا الذى يبنى على موج البحر دارا ، وتلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا . وقال أيضا : يا معشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا ، وقال ابن عباس : إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق ، وجزء للكافر .

Marfat.com

فالمؤمن يتزوّد ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . وقيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسه    تنحّ عن خطبتها تسلم
إن التى تخطب غدارة    قريبة العرس من المأتم

وقيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت    له عن عدوّ فى ثياب صديق

وقيل :

يا راقد الليل مسرورا بأوّله    إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة    كرّ الليالىَ إقبالا وإدبارا

وقال بعض الحكماء : الأيام سهام ، والناس أغراض ، والدهر يرميك كلّ يوم بسهامه ، ويتخرّمك بلياليه وأيامه ، حتى يستغرق جميع أجزائك ، فكيف تكون بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسُرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدث فيك من النقص لاستوحشت من كلّ يوم يأتى عليك ، واستثقلت ممرّ الساعات بك ، ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار ، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها ، وإنها لأمرّ من العلقم إذا عجنها الحكيم وقد أغنت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها . وقال آخر : الدنيا من حيث الاغترار بخيالاتها ، ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها تشبه خيالات المنام ، وأضغاث الأحلام . وقال عليه الصلاة والسلام : « الدُّنيا حلمٌ وأهلُها عليها مجازونَ ومعاقَبونَ وَهالكونَ » . وكتب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى سلمان الفارسى بمثالها ، فقال : مثل الدنيا ، مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها ، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها ، وكن أسرّ ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها فإن صاحبها كلما اطمأنّ منها إلى سرور أشخصه عنه بمكروه والسلام . وق

صلى الله عليه وسلم : « إنَّمَا مَثَلُ صاحِبِ الدُّنْيا كَمَثَلِ المَاشِي فِي المَاءِ هَلْ يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَمْشِي فى المَاءِ أنْ لاتَبْتَلَّ قَدَماهُ ؟ » وقال : ما الدُّنْيا فِي الآخِرَةِ إلا كَمَثَلِ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ ما يَرْجِعُ إلَيْهِ » .

## بيان حقيقة الدنيا وماهيتها

اعلم أن الدنيا والآخرة عبارتان عن حالتين لك ، والقريب الدانى دنياك ، وهو كلّ ما قبل الموت ، والمتراخى المتأخر يسمى آخرة ، وهو كلّ مابعد الموت . فأما الذى يصحبك من الدنيا بعد الموت من العلم والعمل ، فذلك معدود من الآخرة ، وإن كان من حيث الصورة فى هذا العالم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « حُبِّبَ إلَيَّ مِنْ دُنياكُمْ : الطِيبُ، والنِّساءُ، وجعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ » عدّ الصلاة من الدنيا وملاذّها ، لدخول حركاتها الحسّ والمشاهدة الظاهرة ، والقسم الذى يقابل هذا القسم كلّ ما فيه لذّة عاجلة لاثمرة لها بعد الموت كالمعاصى والمباحات الزائدة على الحاجات .

القسم الثالث : متوسط بينهما ، وهو كلّ حظّ فى العاجل يعين على أعمال الآخرة ، كقدر الحاجة من المطعم والمشرب والملبس والمنكح ، وذلك ليس من الدنيا كالقسم الأوّل ، ويجمع هذه الأقسام قول بعضهم : دنياك ما شغلك عن الله تعالى ، وقد جمع الله مجامع الهوى فى خمسة أمور : فى قوله ( إنَّمَا الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الأمْوَالِ وَالأوْلادِ ) ، والأعيان التى تحصل هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى ( زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّساءِ وَالبَنِينَ والقَناطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأنْعامِ والحَرْثِ ، ذلكَ مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا ) .

واعلم أن مثال العبد فى نسيان نفسه ومآبه ، مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق ، ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ، ويحمل إليها أنواع الحشيش ، ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحجّ ، ومرور القافلة وبقائه فى البادية وحده فريسة السباع ، والعاقل لا يهمه أمر الجمل إلا بقدر الحاجة ، فكذلك البصير بالآخرة لا يهمه أمر نفسه ودنياه ، إلا بقدر ما يتقوّى به على سلوك طريق الآخرة ، وطائفة غلبت عليهم الشهوة والغفلة ، فيكتسبون حتى يأكلوا ويلبسوا ، ويأكلون ويلبسون ليكتسبوا ، وطائفة عرفوا ما خلقوا له ، فاستعدّوا له ، وعلوا عما سواه من الحاجات والضرورات ، فلم يقدموا عليها إلا للحاجة والضرورة .

# الباب السابع والعشرون

## فى ذم حب المال وذم البخل

أما ذمّ حبّ المال فيعرف من قوله تعالى : ( يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ ) . وقال الله تعالى ( إنَّمَا أمْوَالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ) . ومن قوله صلى الله عليه وسلم : « حُبُّ المَالِ والشَّرَفِ يُنْبِتانِ النِّفاقَ كمَا يُنْبِتُ الماءُ البَقْلَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ذِئْبانِ ضَارِيانِ أُرْسِلا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بأكْثَرَ إفْسَاداً من حُبِّ المَالِ والجاه فِي دِينِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ » . وقال صلى الله عليه وسلم « هَلَكَ الأكْثَرُونَ إلاَّ مَنْ قالَ بِه مِنْ عِبادِ اللهِ هكَذا وهكَذا ، وقَلِيلٌ ما هُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « سَيَأْتِي بَعْدِي قَوْمٌ

كلون أطايب الدنيا وألوانها ، وينكحون أجمل النساء ،
لبسون ألين الثياب وألوانها ، ويركبون فره الخيل وألوانها ،
م بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع ، عاكفين
الدنيا ، يغدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون
هم ، وربا دون ربهم ، إلى أمرها ينتهون ، ولهواهم
يعون ، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك
ان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لايسلم عليهم
يعود مرضاهم ، ولا يتبع جنائزهم ، ولا يوقر كبيرهم ،
ن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام » . وقال عليه الصلاة
لام : « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وهل لك من مالك إلا
صدقت فأبقيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت » .
ال رجل : يارسول الله مالى لاأحب الموت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :
ك مال ؟ فقال : نعم ، فقال : قدم مالك أمامك فإن قلب المؤمن
ماله إن قدمه أحب أن يلحقه ، وإن خلفه أحب أن
خلف معه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أخلاء ابن آدم ثلاثة
حد يتبعه إلى قبض روحه . والثانى إلى قبره . والثالث إلى
حشره . فالذى يتبعه إلى قبض روحه ماله . والذى يتبعه إلى
حشره عمله » .

## بيان أن المال محمود من وجه ومذموم من وجه

وذلك أن الله تعالى سماه خيرا فى بعض المواضع وقال ( إن ترك خيرا
الوصية ) . . . الآية . وقال عليه الصلاة والسلام : « نعم المال الصالح

للرَّجلِ الصَّالِحِ » . وكلّ ماجاء فى ثواب الصدقة والحجّ فهو ثناء على المال .

واعلم أن مقصد الأكياس والكرام سعادة الأبد ، والمال وسيلة إليها ، تارة للتزوّد منه ليقوى على التقوى والعبادة ، وتارة بإنفاقه فى طريق الآخرة . ومن أخذه للترفّه أو توسَّل به إلى المعاصى والشهوات . فهو مذموم فى حقه .

واعلم أن مثاله . مثال حية فيها سمّ وترياق . ففوائدها ترياقها ، وغوائلها سمها . فمن علمها وقدر على الاحتراز من سمها والانتفاع بترياقها ، فهو محمود فى حقه .

## فصل : فى ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
## والإياس مما فى أيدى الناس

اعلم أن الفقر محمود ، ولكنه ينبغى أن يكون الفقير منقطع الطمع مما فى أيدى الناس ، ولا يتأتى ذلك إلا بالقناعة بقدر الضرورة من المطعم والمشرب والملبس ، فيقتصر على أقله فى القدر . وأخسه نوعا ، ويردّ أمله إلى يوم . أو إلى شهر لئلا يكثر فى نفسه الصبر على الفاقة . فيؤدّى ذلك إلى الطمع والطلب والتذلل للأغنياء . قال صلى الله عليه وسلم: « إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِى رُوعِى : إنَّ نَفْسا لَنْ تَمُوتَ حَتى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَها . فاتَّقُوا اللهَ وأجْمِلُوا فِى الطَّلَبِ » . وقال أبوهريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : « يا أبَا هُرَيْرَةَ إذَا اشْتَدَّ بِكَ الجُوعُ فعَلَيْكَ بِرَغِيفٍ وكُوزٍ مِنْ ماءٍ . وعلى الدُّنيا الدَّمارُ » .

## بيان علاج الحرص والطمع
## والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركّب من ثلاثة أركان : الصبر ، والعلم ، والعمل

الأوّل : هو العمل ، وهو الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الإنفاق ، فمن أراد عزّ القناعة فليقلل الخرج والنفقة ، ففى الخبر « التَّدْبِيرُ نِصْفُ المَعِيشَةِ » . الثانى : قصر الأمل حتّى لايضطرب بسبب الحاجة فى ثانى الحال . الثالث : أن يعلم ما فى القناعة من العزّ والاستراحة عن السؤال ، وذلّ الطمع ، فبذلك يتخلص .

## فصل فى فضيلة السخاء

اعلم أن المال إن كان مفقودا ، فينبغى أن يكون حال العبد القناعة ، وإن كان موجودا ، فالإيثار والسخاء والتباعد عن البخل . قال عليه الصلاة والسلام : « السَّخاءُ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الجَنَّةِ أغْصَانُها مُتَدَلِّيَةٌ إلى الأرْضِ ، فَمَنْ أخَذَ مِنْها غُصْنا قادَهُ ذلكَ الغُصْنُ إلى الجَنَّةِ ، والشُّحُّ شَجَرَةٌ فى النَّارِ ، فَمَنْ كانَ شَحِيحا أخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أغْصَانِها ، فَلَمْ يَتْرُكْهُ ذلكَ الغُصْنُ حتى يُدْخِلَهُ النَّارَ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « قالَ جِبرَائِيلُ عليهِ السَّلامُ : قالَ اللهُ : إنَّ هذَا دِينٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي ، وَلَنْ يُصْلِحَهُ إلاَّ السَّخاءُ وَحُسْنُ الخُلُقِ فأكْرِمُوهُ بِهِما ما اسْتَطَعْتُمْ » . وفى رواية : « فأكْرِمُوهُ بِهِما ما صَحِبْتُمُوهُ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما جبَلَ اللهُ وَلِيًّا إلاَّ على السَّخاءِ ، وَحُسْنِ الخُلُقِ » . وعن جابر قال : قيل يا رسول الله ، أىّ الإيمان أفضل ؟ قال : « الصَّبْرُ والسَّماحَةُ » . وعن عائشة رضى الله عنها أن ابن الزبير بعث إليها مالا فى غرارتين ثمانين ألفا ومائة ألف ، فدعت بطبق ، فجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمست قالت : ياجارية هلمى فطورى ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم درة : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت : لو كنت ذكّرتينى لفعلت .

## فصل فى ذم البخل

قال تعالى ( وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ) ، وقالَ تعالى ( وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « إيَّاكُمْ والشُّحَّ فإنَّهُ أهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ على أنْ سَفَكُوا دِماءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحارِمَهُمْ » . وقال عيسى عليه السلام : لايدخل الجنة بخيل ولا خبّ ولا خائن ولا سيئ الملكة .

## بيان الإيثار وفضيلته

اعلم أن رفع درجات السخاء : الإيثار ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه ، والسخاء : هوالجود بما فضل عنك ، وقد أثنى الرب سبحانه وتعالى على الصحابة ، فقال ( ويُؤْثِرُونَ على أنفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) وقال عليه الصلاة والسلام : « أَيُّمَا رَجُلٍ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَه وآثَرَ على نَفْسِهِ غُفِرَ لَهُ » .

وحكى « أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف ، فلم يجد عند أهله شيئا ، فدخل عليه رجل من الأنصار وحمله إلى أهله ، فوضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج ، وجعل يمدّ يده فى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام ؛ فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ إلى ضَيْفِكُمْ ، فنزلت هذه الآية ( ويُؤْثِرُونَ على أنفُسِهِمْ وَلَوْ كانَتْ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) » .

Marfat.com

## بيان علاج البخل

اعلم أن البخل سببه حبّ المال ، ولحبّ المال سببان : أحدهما حبّ الشهوات ولا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل ، فإنه لو قدّر بقاء نفسه يوما أو شهرا ، فلربما سمحت نفسه باخراج المال ، ولعلّ ولده يقوم مقام طول الأمل ، فيمسك ما جاء لأجلهم ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ » ، وإذا أضيف إلى ذلك خوف الفقر ، وقلّة الثقة بمجيء الرزق ، قوى البخل لامحالة . والسبب الثانى : أن يحبّ عين المال فيعلم أنه قط لايحتاج إليه ، وهو شيخ ولا ولد له ، ولكنه يحبّ المال لعينه ، وهذا مرض فى القلب مزمن والعياذ بالله ، وهو كمن عشق شخصا ثم أحبّ رسوله ونسيه ، إذ المقصود من الدنانير والدراهم الوصول إلى الأغراض وهذا قد نسى المقصود ، وعشق الوسيلة والواسطة ، فمن رأى بينه وبين الحجر فرقا إلا من حيث كونه وسيلة إلى الحاجات فقد جهل .

واعلم أن علاج البخل تقليل الشهوة ، وكثرة ذكر الموت ، والتأمّل فى موت الأقران ، وزيارة القبور ، وتأمل ما فيها من الديدان ، والتفكر فى تلك الأحوال ، ويعالج التفات القلب إلى الولد ، بأن خالقه خلق معه الرزق ، فكم من ولد ورث ولم يكن ذلك رزقه ، وكم من ولد لم يرث ورزقه الله تعالى أموالا ، وإن ولده إن كان صالحا ، فان الله تعالى يتولى الصالحين . وإن كان فاسقا فلاكثر الله فى المسلمين أمثاله ، فانه يستعين بماله على المعاصى ، ومن النافع التأمل فى ذمّ الناس للبخلاء ونفرة الطباع عنهم ، ومدحهم للأسخياء ، ورغبتهم فيه . وقال تعالى ( الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويأمُرُكُمْ بالفَحْشاء ) فلعله ينفعه ذلك .

Marfat.com

## بيان ذم الغنى ومدح الفقر

بلغنا أن عيسى عليه السلام قال : يا علماء السوء ، الناس بأمركم يصومون ويصلون ويتصدّقون ، ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لاتعلمون . فيا سوء ما تحكمون ، تتوبون بالقول ، وتعملون بالهوى ، وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم ، وقلوبكم دنسة ، بحق أقول لكم : لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيّب ، وتبقى فيه النخالة ، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم . ويبقى الغلّ فى قلوبكم ، يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ، ولا تنقطع منها رغبته ، بحقّ أقول لكم : إن قلوبكم تبكى من أعمالكم ، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم ، بحقّ أقول : أفسدتم آخرتكم ، فصلاح الدنيا عندكم أحبّ إليكم من صلاح الآخرة ، فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ، ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين ، وتقيمون فى محلّ المتحيرين ، كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم ، مهلا مهلا ، ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه موحش مظلم ، كذلك لايغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه موحشة معطلة ؛ يا عبيد الدنيا ، لا كعبيد الأتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصولكم ، فتلقيكم على وجوهكم ، ثم تكبّكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ، ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديّان عراة فرادى ، فيوقفكم على سوآتكم ، ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ، فلقد بان لك أن الفقر أولى وأفضل ، ومن ذهب إلى أن الغنى أفضل فقد ازدرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء والسلف الصالحين ، فنعوذ بالله من ذلك . وإنما احتجّ بعض من سوّلت له نفسه ، وغلبت عليه شقوته بما لعبد الرحمن ابن عوف ، فنحن نورد حكاية يتبين بها فساد غرضه ، ونقول : قال أناس

Marfat.com

نحن نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ، وما تخافون
على عبدالرحمن ، كسب طيبا ، وأنفق طيبا ، وترك طيبا ؛ فبلغ ذلك أبا ذرّ ،
فخرج مغضبا يريد كعبا ، فمرّ بلحى عظم بعير ، فأخذه بيده ثم انطلق يطلب
كعبا ، فقيل لكعب : إن أبا ذرّ يطلبك ، فخرج هاربا حتى دخل على عثمان
رضى الله عنه يستغيث به ، وأخبره الخبر ، وأقبل أبو ذرّ يقصّ الأثر فى طلب
كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان
هاربا من أبى ذرّ ، فقال له أبو ذرّ : هيه يا ابن اليهودية ، تزعم أن لابأس بما
ترك عبدالرحمن بن عوف ، « لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو
أحد وأنا معه ، فقال : يا أبا ذرّ ، قلت : لبيك يا رسول الله ، فقال :
الأكثَرُونَ هُم الأقلّونَ يَوْمَ القيامَةِ ، إلاّ مَنْ قالَ هكَذَا وَهكَذا
عَنْ يمينِهِ وعَنْ شِمالِهِ وقُدّامِهِ وخَلْفِهِ ، وقَليلٌ ما هُمْ ، ثم قال :
يا أبا ذرّ ، قلت : نعم يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، قال : ما يَسُرُّنى أنّ
لى مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبا أُنْفِقُهُ فى سَبيلِ اللهِ ، أمُوتُ يَوْمَ أمُوتُ ،
وأُبْقِى مِنْهُ قِيرَاطَيْنِ ، قلت : أو قنطارين يا رسول الله ، قال : بَلْ
قِيرَاطَيْنِ ، ثم قال : ياأبا ذَرّ أنْتَ تُرِيدُ الأكْثَرَ ، وأنا أُرِيدُ الأقلّ »
فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا ، وأنت تقول : يا ابن اليهودية ،
لابأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ، كذبت وكذب من قال ، فلم يردّ عليه
أحد حرفا حتى خرج . وبلغنا أن عبد الرحمن قدمت عليه عير من اليمن فضجت
المدينة ضجة واحدة ، فقالت عائشة رضى الله عنها : ما هذا ؟ فقيل : عير
قدمت لعبد الرحمن بن عوف ، قالت : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها ، فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « إنى رأيْتُ الجنّةَ فرَأيْتُ فُقَرَاءَ المُهاجِرِينَ والمُسْلِمين

يَدْخُلون سَعْيا ، فلَمْ أرَ أحَدًا مِنَ الأغْنِياءِ يَدْخُلُها مَعَهُمْ غ
عَبْدِ الرَّحمَنِ بْنِ عَوْفٍ رأيْتُه يَدْخُلُها مَعَهُمْ حَبْوًا» فقال عبد الرحمن
إن العير وما عليها فى سبيل الله تعالى ، وإن أرقاءها أحرار لعلى أدخلها معه
سعيا . وروى عن عمران بن الحصين أنه قال « كانت لى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم منزلة وجاه ، فقال : يا عِمْرَانُ إنَّ لَكَ عِنْدَنا مَنْزِلَةً وَجاها
فَهَلْ لَكَ فى عِيادَةِ فاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ
فقلت : نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، فقام وقمت معه حتى وقفت بباب
فاطمة ، فقرع الباب وقال : السَّلامُ عَلَيْكُمْ أأدْخُلُ ؟ قالت : بأ
أنت وأمى يا رسول الله ، ادخُل ، قال : أنا ومَنْ مَعِى ؟ قالت : و
معك يا رسول الله ؛ قال عمران بن حصين ، فقالت : والذى بعثك بالحق
نبيا ما علىّ إلا عباءة ، قال : اصْنَعِى بِها هَكَذا وَهَكَذا ، وأشار بيده
قالت : هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى ؟ فألقى إليها ملاءة كانت ع
خَلِقَةً ، فقال : شُدّى بِها على رأسِكِ ، ثم أذنت له فدخل ، فقال
السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتاهُ ، كَيْفَ أصْبَحْتِ ؟ فقالت : أصبحت و
وجِعة ، وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكُله ،
أضرّنى الجوع ، فبكى النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : لا تجزعِى يا بِنْ
فوالله ما ذُقْتُ طَعاما مُنْذُ ثَلاثٍ ، وإنّى لأَكْرَمُ على الله مِنْكِ ، و
سألْتُ رَبّى لأَطْعَمَنى ، وَلَكِنْ آثَرْتُ الآخِرَةَ على الدُّنْيا ، ثم ض
بيده على منكبها فقال لها : أبْشِرِى فَوالله إنَّكِ لَسَيِّدَةُ نِساءِ أه
الجَنَّةِ ، فقالت : وأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ؟ فقال صلى الله
عليه وسلم : آسِيَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِها ، وَمَرْيَمُ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِها ،
وَخَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِها ، وأنْتِ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِكِ . إنَّكِ

فى بيُوتٍ منْ قَصبٍ لاأذَى فيها وَلاصَخَب ، ثم قال : اقْنَعِى بابْنِ عَمِّكِ ، فوَاللهِ لَقَدْ زوَّجْتُكِ سَيِّداً فى الدنْيا سَيِّداً فى الآخرَةِ » .

فافهم تغنم ، والله أعلم بالصواب .

## الباب الثامن والعشرون

### فى ذم الجاه والرياء

اعلم أن الجاه محبوب القلوب ، فلا يسمح بتركه إلا الصدّيقون ، ولذلك قيل : آخر ما يخرج من رءوس الصدّيقين حبّ الرياسة . ونبين الغرض من ذلك بفصول .

### فصـــل

اعلم أن أصل الجاه : هو انتشار الصيت ، وهو مذموم إلا لمن شهره الله تعالى لنشر دينه . قال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسْبُ امْرِئٍ منَ الشَّرِّ إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تعَالى أنْ يُشيرَ النَّاسُ إليْهِ بالأصَابِعَ فِى دِينِهِ ودُنْيَاهُ » . وقال علىّ رضى الله عنه : تبذّل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لكى تذكر وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، وتسرّ الأبرار ، وتغيظ الفجّار . وقال إبراهيم بن أدهم : ما صدق الله من أحبّ الشهرة . ورأى طلحة قوما يمشون معه ، فقال : ذبابُ طمعٍ وفَراش نار . وقال سليمان ابن حنظلة : بينما نحن حول أبىّ بن كعب نمشى خلفه ، إذ رآه عمر فعلاه بالدرّة ، فقال : أنظر يا أمير المؤمنين ما تصنع ، فقال : إن هذا ذلّة للتابع ، وفتنة للمتبوع . وعن الحسن ، قال : خرج ابن مسعود يوما من منزله ، فاتبعه الناس فالتفت إليهم ، فقال : علام تتبعونى ، فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه

Marfat.com

بالى ما اتبعنى أحد منكم . وقال الحسن : إن خفق النعال خلف الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى .

## فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ ذى طِمْرَيْنِ لايُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أقْسَمَ على اللهِ لأبَرَّهُ ، مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مالِكٍ » . وقال ابن مسعود : قال عليه الصلاة والسلام : « رُبَّ ذِى طِمْرَيْنِ لايُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أقْسَمَ على اللهِ لأبَرَّهُ ، لَوْ قالَ : اللَّهُمَّ إنِّى أسألكَ الجَنَّةَ لأعْطاهُ الجَنَّةَ ، ولَمْ يُعْطِهِ مِنَ الدُّنْيا شيئًا » . وقال أبوهريرة رضى الله عنه : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أهْلُ الجَنَّةِ كلُّ أشْعَثَ أغْبَرَ ذِى طِمْرَيْنِ لايُؤْبَهُ لَهُ ، الَّذِينَ إذَا اسْتَأْذَنُوا على الأُمَرَاءِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهمْ ، وَإذَا خَطَبُوا النِّساءَ لَمْ يُنْكَحُوا ، وإذَا قالوا لَمْ يُنْصَتْ لَهُمْ ، حوَائِجُ أحَدِهِمْ تَتَلَجْلَجُ فِى صَدْرِهِ ، لَوْ قُسِمَ نُورُهُ يَوْمَ القِيامَةِ بينَ النَّاسِ لَوَسِعَهُمْ » . وروُى أن عمر دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ اليَسِيرَ مِنَ الرِّياءِ شِرْكٌ ، وَإنَّ اللهَ تَعالى يُحِبُّ الأتْقِياءَ الأخْفِياءَ الَّذِينَ إنْ غابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهمْ مَصَابِيحُ الهُدَى ، يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ » . وقال ابن مسعود : كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الهدى ، أحلاس البيوت ، سُرج الليل جدد القلوب ، خُلقان الثياب ، تُعرفون فى أهل السماء ، وتخفون فى أهل الأرض .

## فصل : فى ذم حب الجاه

قال الله تعالى ( تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها للَّذِينَ لايُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الأرْضِ ولا فَساداً ) . واعلم أن حقيقة الجاه : هو ملك القلوب ، كما أن معنى المال ملك الأعيان ، وكما أن مالك المال يتوصل بماله إلى المقاصد فمالك القلوب يتوصل بها إلى المقاصد ، فالجاه أحد المقاصد ، وكما أن المال يكتسب بالحرف والصناعات ، فالقلوب تكتسب بأنواع المعاملات ، ولا تصير القلوب مسخرات إلا بالاعتقادات ، فكل من يعتقد الإنسان فيه وصفا من أوصاف الكمال ، فقد انقاد له قلبه ، بل ملك القلوب استعباد للناس ، واسترقاق لهمْ ، وإذا كان المال محبوبا فالجاه أولى . واعلم أن الجاه قوت الروح الطالبة للاستعلاء والربوبية ، إذ الروح من عالم أمر الله ، وهو يطلب الربوبية والعلوّ والاستعباد للناس ، ويحبّ الكمال ويطلبه ، ولذلك لاترى أحدا ينفكّ عن هذه الإرادة .

## فصــل

اعلم أن النفس إنما ترتاح للمدح وتهتزّ له ، لأن فيه شعورا بالكمال والنفس محبة للكمال ، وعلى العكس تكره الذمّ ، لأن فيه شعورا بالنقصان ، وهى تكره النقصان .

## بيان علاج حب الجاه

اعلم أن من ابتلى بحبّ الجاه صار همه مقصورا على حبّ الجاه وطلب الزيادة فيه ، واصطياد قلوب الخلق ، وذلك يضطرّه إلى الرياء والنفاق ، ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أعنى حبّ المال والجاه

بذئبين ضاريين فى زريبة غنم ، وقال : « إِنَّهُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ » ، وعلاجه مركّب من العلم والعمل . أما العلم فهو أن يعلم أن مقصوده ملك القلوب . وقد بيّنا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت ، فليس ذلك من الباقيات الصالحات ، بل لو سجد لك كلّ من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب مقدار خمسين سنة ، لايبقى الساجد ولا المسجود له ، وتكون حالك كحال من مات من قبلك من ذوى الجاه وقد ماتوا ، فذلك كمال وهمى لاحقيقة له ، لأنه يزول بالموت ، وهذا كما كتب الحسن البصرى حيث كتب إلى عمر بن عبدالعزيز ، أما بعد : فكأنك بآخر من كُتب عليه الموت و مات ؛ فكتب فى جوابه : أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل . فهؤلاء نظروا إلى العواقب ، وعلموا أن ما هو آت قريب . وأما العمل فلهم فيه طرق ، منهم ممن شرب شرابا حلالا يُشبه الخمرة فهجره الناس وظنوا أنه شارب خمر ، ومنهم من عرف بالزهد فدخل الحمام ثم خرج ولبس ثياب غيره ووقف فى الطريق حتى عرفوه وأخذوه ، وخلعوا عنه الثياب وضربوه ، وقالوا : إنه طرار فهجروه ، وأقرب الطرق فيه الغربة والهجرة إلى موضع الخمول ، فإنه لواعتزل فى بلده فلا يخلو عن نوع من الرياء بمعرفة الناس باعتزاله وانزوائه .

## بيان العلاج فى الخلاص من حب المدح وكراهية الذم

وقد بيّنا أن سببه الكمال الوهمى ، فإذا عرفت أنه لاأصل له ولا فائدة له إلا فى العاجل ، فأما فى الآخرة فلا فائدة ، وإن كان المدح بأمر دينى فذلك هوس ، إذ تمام ذلك بحُسن الخاتمة ، وبعد ما جاوزت هذا الخطر .

Marfat.com

بيان القسم الثانى من هذا الباب وهو الرياء

اعلم أن الرياء حرام وصاحبه ممقوت عند الله تعالى ، ويدلّ عليه قوله تعالى ( فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ) ، وقال الله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) . وقيل : يا رسول الله فيم النجاة؟فقال : «أنْ لايَعْمَلَ العَبْدُ بطاعَةِ اللهِ تَعالى يُريدُ بِها النَّاس » وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ أخوَفَ ما يُخافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأصغَرُ ، قالوا : وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : الرِّياء يقولُ اللهُ فى يَوْمَ القيامَةِ : إذَا جازَى العَبيدَ بأعْمالِهِمْ اذْهَبُوا إلى الَّذِينَ كُنتُمْ تُراءُونَ فى الدُّنيا ، فانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمُ الجزاءَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَعيذُوا باللهِ مِنْ جُبِّ الحزَنِ ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : وَادٍ فى جَهَنَّمَ أُعِدَّ للقُرَّاءِ المُرائينَ » . وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل ، أنه قال لمُعاذ بن جبل : حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فبكى مُعاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ، ثم سكت ، ثمّ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى يامُعاذُ ، قلت له : لبَّيْك يارسول الله ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ، قال : إنِّى مُحدِّثُكَ حَديثا إنْ أنتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ ، وإنْ أنتَ ضَيَّعْتَهُ ولَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللهِ تَعالى يَوْمَ القيامَةِ : يامُعاذُ إنَّ اللهَ تَعالى خَلَقَ سَبْعَةَ أمْلاكٍ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ والأرْضَ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمواتِ فَجَعَلَ لِكُلِّ سَماءٍ مِنَ السَّبْعَةِ مَلَكا بَوَّابا عَلَيْها ، قَدْ جَلَّلَها عِظَما ، فَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ

العَبْدِ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إلى حِينِ يُمْسِي لَهُ نورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ ، حتى إذا طَلَعَتِ المَلائِكَةُ بِهِ إلى سماءِ الدنيا زكَّتْهُ فَكَثَّرَتْهُ فَيَقُولُ المَلَكُ المُوَكَّلُ للحَفَظَةِ : اضْرِبُوا بِهذَا العَمَلِ وجهَ صاحِبِهِ ، أنا صاحِبُ الغِيبَةِ أمرَني ربِّي أنْ لا أدعَ عمَلَ مَنِ اغتابَ النَّاسَ يُجاوِزُني إلى غَيْرِي ، قالَ : ثُمَّ تأْتِي الحَفَظَةُ بعَمَلٍ صالِحٍ مِنْ أعمالِ العَبْدِ ، فتَمُرُّ بِهِ فتُزكِّيهِ وتُكَثِّرُهُ حتى تَبْلُغَ بِهِ إلى السَّماءِ الثانِيَةِ ، فيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بالسَّماءِ الثَّانِيَةِ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذَا العَمَلِ وَجْهَ صاحِبِهِ ، أنا مَلَكُ الفَخْرِ ، إنَّهُ أرادَ بعَمَلِهِ هذَا عَرَضَ الدنيا ، أمرَني ربِّي أن لا أدعَ عَمَلَهُ يُجاوِزُني إلى غَيْرِي ، إنَّهُ كانَ يَفْتَخِرُ على النَّاسِ فِي مَجالِسِهِمْ ، قالَ : وتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بعَمَلِ العَبْدِ يَبْتَهِجُ نوراً مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيامٍ وَصَلاةٍ قَدْ أعْجَبَ الحَفَظَةَ ، فيُجاوِزُونَ بِهِ إلى السَّماءِ الثَّالِثَةِ ، فيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِها قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذَا العَمَلِ وَجْهَ صاحِبِهِ وأنا مَلَكُ الكِبْرِ أمرَني ربِّي أنْ لا أدعَ عَمَلَهُ يُجاوِزُني ، إنَّهُ كانَ يَتَكَبَّرُ على النَّاسِ فِي مَجالِسِهِمْ ، قالَ : وتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بعَمَلِ العَبْدِ يَزْهَرُ كما يَزْهَرُ الكَوْكَبُ الدرِّيُّ ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلاةٍ وَحَجٍّ وعُمْرَةٍ حتى يُجاوِزُوا بِهِ إلى السَّماءِ الرَّابِعَةِ ، فيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِها قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهذَا العَمَلِ وَجْهَ صاحِبِهِ وَاضْرِبُوا بِهِ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، أنا صاحِبُ العُجْبِ أمرَني ربِّي أن لا أدعَ عَمَلَهُ يُجاوِزُني إلى غَيْرِي ، إنَّهُ كانَ إذا عَمِلَ عَمَلاً أدْخَلَ العُجْبَ فِي عَمَلِهِ ، قالَ : وتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بعَمَلِ العَبْدِ حتى يُجاوِزُوا بِهِ إلى السَّماءِ الخامِسَةِ كأنَّهُ العَرُوسُ المَزْفُوفَةُ إلى أهْلِها .

فيقولُ لهمُ الملَكُ الموكَّلُ بها : قِفُوا واضْرِبُوا بهذا العمل وجهَ صاحبِه ، واحملوه على عاتقه ، أنا ملَكُ الحسد ، إنه كانَ يحسُدُ النَّاسَ مَنْ يتعلَّمُ ويعملُ بمثْلِ عملِه ، وكُلُّ مَنْ كانَ يأخُذُ فضلاً من العبادةِ يحسُدُهم ويقعُ فيهم أمرَني ربِّي أنْ لا أدعَ عملَه يجاوزُني إلى غيري ، قال : وتصعدُ الحفَظَةُ بعمل العبْدِ من صلاةٍ وزكاةٍ وحجٍّ وعُمْرةٍ وصيامٍ ، فيُجاوزُونَ به إلى السماءِ السادسةِ فيقولُ لهمُ الملَكُ الموكَّلُ بها : قِفُوا واضْرِبُوا بهذا العمَلِ وجهَ صاحبِه ، إنَّه كانَ لايرحَمُ إنسانا قطُّ مِنْ عبادِ الله أصابَهُ بلاءٌ أوْ ضُرٌّ ، بلْ كانَ يشْمتُ به ، أنا ملَكُ الرحمة ، أمرَني ربِّي أنْ لاأدعَ عملَه يجاوزُني إلى غيري ، قالَ : وتصعدُ الحفَظَةُ بعمَلِ العبْدِ إلى السماءِ السابعةِ مِنْ صوْمٍ وصلاة ونفقة واجتهادٍ وورعٍ لها دَوِيٌّ كدَوِيِّ الرَّعْدِ ، وضَوْءٌ كضوْءِ الشمس ، معَها ثلاثة آلاف ملَكٍ ، فيُجاوزُونَ به إلى السماءِ السابعةِ ، فيقولُ لهمُ الملَكُ الموكَّلُ بها : قِفُوا واضْرِبُوا[١] بهذا العمَلِ وجهَ صاحبِه ، واضْرِبُوا به جوارِحَه ، اقْفُلُوا بهِ على قلبِه إنِّي أمرَني ربِّي أحجُبُ عنْه كُلَّ عمَلٍ لمْ يُرِدْ به وجهَ ربِّي ، إنَّه أرادَ بعمَلِه غيْرَ الله تعالى ، إنَّه أرادَ رِفعةً عندَ الفُقهاءِ وذكرًا عندَ العلَماءِ ، وصيتا فى المدائنِ ، أمرَني ربِّي أنْ لاأدعَ عملَه يجاوزُني إلى غيْرِي ، وكُلُّ عمَلٍ لمْ يكُنْ خالصًا لله تعالى فهوَ رياءٌ ، ولا يقبَلُ اللهُ عمَلَ المرائى ، قالَ : وتصعدُ الحفَظَةُ بعمَلِ العبْدِ مِنْ صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وعُمْرةٍ وخُلُقٍ حسَنٍ وصمْتٍ وذِكْرٍ لله تعالى ، وتُشيِّعُه ملائكةُ

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حتى يَقْطَعَ الحُجُبَ كُلَّها إلى الله تعالى ، فيَقِفُونَ بينَ يَدَيْهِ ، ويَشْهَدُونَ لَهُ بالعَمَلِ الصَّالِحِ المُخْلَصِ لله ، قال : فيَقُولُ اللهُ تعالى لَهُمْ : أنتُمُ الحَفَظَةُ على عَمَلِ عَبْدِي ، وأنا الرَّقِيبُ على نَفْسِهِ إنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَذَا العَمَلِ وأرادَ بِهِ غَيْرِي ، فعَلَيْهِ لَعْنَتِي ، فتَقُولُ المَلائِكَةُ كُلُّها عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وعَلَيْهِ لَعْنَتُنا ، وتَلْعَنُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ،قال معاذ: قلت يارسول الله ، أنت رسول الله وأنا معاذ ، كيف النجاة ؟ قال : اقْتَدِ بِنَبِيِّكَ وَحافِظْ على لِسانِكَ الوَقِيعَةَ فِي إخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ القُرآنِ وَغَيْرِهِم وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ ، وَلا تَحْمِلْها عَلَيْهِمْ ، وَلا تُزَكِّ نَفْسَكَ بِذَمِّهِمْ وَلا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلا تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنيا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ ، وَلاتَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ ، وَلا تُناجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ ، وَلا تَتَعَظَّمْ على النَّاسِ فَيَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرُ الدُّنيا ، وَلا تُمَزِّقِ النَّاسَ فَتُمَزِّقَكَ كِلابُ النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ فِي النَّارِ ، قالَ اللهُ تعالى ( والنَّاشِطاتِ نَشْطاً ) قالَ : أتَدْرِي ما هُنَّ يا مُعاذُ ؟ قلت : ما هي بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال : كِلابُ النَّارِ تَنْشَطُ اللَّحْمَ والعَظْمَ قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فمن يُطيق هذه الخصال ، ومن ينجو منها ؟ قال : يا مُعاذُ إنَّهُ لَيَسِيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِ ، إنما يَكْفِيكَ مِنْ ذلكَ أنْ تُحِبَّ للنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وتَكْرَهَ لهم ما تَكْرَهُ لَهَا » قال : فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من مُعاذ للحذر مما في الحديث . وقال عكرمة : إن الله تعالى يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية أبلغ ، ولا رياء فيها .

Marfat.com

## بيان حقيقة الرياء

والرياء مشتق من الرؤية ، والسمعة مشتقة من السماع والرياء أصله طلب رؤية الناس للمنزلة عندهم ، وطلب المنزلة عند الناس تارة تكون عند الناس بعمل غير العبادة ، وتارة تكون بالعبادة فالرياء فى غير العبادة المراءاة بالثياب الخشنة وتشميرها ، وصفار اللون ، وإغارة العين ، وتشعيث الشعر ، وخفض الصوت ، والمشي بالتكلف على سكينة وهدوّ ، والتطيلس ، كلّ هذه السمات للرياء بالعبادة ، وكلّ ذلك حرام إذا كان القصد منها المراءاة ، وكذلك مراءاة العلماء بالألفاظ المسجعة فى المواعظ لأجل غزارة العلم ، إلا أن يقصد بذلك أن يكون أقرب إلى قبول الدين منه ، ويكون قد صحت نيته فى أصل الوعظ ، فإن ذلك ربما يجوز ، والمراءاة بأصل العبادة هو أن يطول الركوع والسجود بين يدى الناس ، ليظنوا به الزهد والورع ، وربما تكلف ذلك فى الخلوة لئلا يحتاج إلى التكلف بين يدى الناس ، ويظنّ أن يخلص من الرياء بأن يطول الركوع والسجود فى البيت ، وإذا كان عزمه ذلك فقد زاد فى ريائه ، لا أنه يخلص منه ، والقول الحقّ فيه أن يقال : الرياء : هو طلب الجاه ، فلا يخلو إما أن يكون بالعبادات أو بغيرها ، فإن كان بغير العبادات فهو كطلب الحلال من المال فلا يحرم إلا أن يكون بتلبيس ، فذلك فى المال والجاه محرّم على السواء ، ولا ينبغى أن يظنّ أن طلب الجاه محرّم بالكلية ، فإن القدر الذى يحتاج إليه من الجاه لضرورة المعيشة كالقليل من المال يجوز طلبه للحاجة ، وهو المراد بقول يوسف عليه السلام ( اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ) ، فإذن فى الجاه سمّ وترياق كما سبق فى المال ، وكما أن كثير المال يطغى ويلهى عن ذكر الله تعالى ، فكذا كثير الجاه ، فإن



Marfat.com

حصل سعة الجاه من غير حرص منك ، ولم يشغلك عن الله تعالى ، وكان استعمالك له كاستعمالك للمال الكثير بالسخاء والإيثار ، وإيصال النفع إلى الخلق ، فحكمه حكم المال الكثير كما سبق ، إذ لايمكن أن يكون جاه أوسع من جاه الأنبياء عليهم السلام ، ومن جاه الأئمة والخلفاء الراشدين . ولكن ينبغى أن لايلهيه عن الله تعالى ولا يحزن بزواله ، فعلى هذا الخروج إلى الناس بالثياب الحسنة رياء ، ولكن ليس بحرام ، إذ ليس فيه رياء بالعبادة ، ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج إلى أصحابه ، كان ينظر فى حبّ الماء ، ويسوّى عمامته وشعره ، قالت : قلت : أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال : نَعَمْ إنَّ اللهَ تَعالى يُحِبُّ العَبْدَ أنْ يَتَزَيَّنَ لإخْوَانِهِ إذَا خَرَجَ إلَيْهِمْ » نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة ، لأنه كان مأمورًا بدعوة الخلق ولو سقط من أعينهم لفسد ذلك.

واعلم أن للرياء درجات ، فإن كان كلّ مقصوده من الفعل الرياء فهو مبطل للعبادة قطعا ، ويقرب من هذا أن يكون الرياء غالبا على نية العبادة وإن كان قصد العبادة والرياء سواء ، بأن يستقلّ كل واحد بنفسه ، فهذا إن نجا رأسا برأس ، لاله ولا عليه ، فقد ربح ، وإن كان الأصل قصد العبادة والرياء مرجح ، ولو لم يكن الرياء لأقدم على العبادة ، ولو كان محض الرياء من غير قصد العبادة لما استقلّ الرياء ، فلعله لايحبط أصل العمل ، ولكن ينقص من الثواب أو يعاقب على مقدار مراءاته ، ومحمل قوله تعالى : « أغْنَى الأغْنِياءِ عَنِ الشِّرْكِ » : المساواة بين القصدين ليخرج عن هذا القسم الأخير . واعلم أنه إن كان الرياء بأصل الإيمان فهو النفاق ، وهو محله فى الدرك الأسفل من النار ، وإن كان بأصول الفرائض لابأصل الإيمان فهو أخفّ ، وإن كان بالنوافل وبأوصاف العبادات فقد سبق ذكره .

## بيان الرياء الخفى

الذى هو أخفى من دبيب النمل ، وذلك ما لايستقل بحمله على العبادة ، ولا يؤثر فى تخفيف العبادة عليه بسبب رؤية الخلق ، ولكن يحب أن يعرف أو يطلع على عبادته ويسر بذلك ، فهذا هو الرياء الخفى . وطريق دفع الرياء وعلاجه أن يعلم منشأه حب المال والجاه ، وحب المدح ، وقد سبق ذكره ، والذى يجدد بعده أنه ينبغى أن يتأمل أن الله تعالى مطّلع على سرّه ، وسيقول له : كنت أهون الناظرين إليك ، فإذا تأمل فيما يرجع إليه حاصله وأنه يزول ذلك بالموت ، علم أن الإقلاع منه أولى .

## بيان الرخصة فى كتمان الذنوب

اعلم أن الأصل فى الإخلاص : استواء السريرة والعلانية ، قال عمر : عليكم بعمل العلانية ، قالوا : وما عمل العلانية يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما إذا اطلع عليه أحدكم لم يستحى منه . وقد قال عليه الصلاة والسلام « مَنِ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ القَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ تَعَالَى » . وينبغى أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا كما يكره من نفسه .

## بيان أنه لايجوز ترك العبادات خوفا من الرياء

فنقول : إذا لم يكن الباعث أصل الرياء ، ولكنه يخاف أن يعترض له فى أثنائه رياء ، فينبغى أن لايترك العبادة ، فإن غرض الشيطان يحصل بترك العبادة بل يقدم على العبادة، وليدفع الرياء بدوائه، ولهذا قال بعضهم : الرياء أن يترك العبادة لرؤية الخلق . وأما الإقدام عليها لأجل الخلق فهو نفاق محض .

Marfat.com

### فصـــل

اعلم أن من العبادات ما يتعلق بالخلق كالخلافة والإمامة والسلطنة والتدريس والوعظ . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لَيَوْمٌ مِنْ إمامٍ عادلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ سِتِّينَ عاما » واعلم أن المتقين كانوا يهربون منها ، لأن فيها أخطارا عظيمة ، إذ يتحرّك فيها صفات الباطن بحبّ المال والجاه وسائر الآفات ؛ ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «مامِنْ وَالى عَشَرَةٍ إلاَّ جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إلى عُنُقِهِ . أطْلَقَهُ عَدْلُهُ ، أوْ أوْبَقَهُ جَوْرُهُ » . فالعاقل إذن حقيق به أن يهرب عن محلّ الخطر ، فلينظر إلى نفسه ، فإن كان الغالب عليه طلب الثواب فليفعل . وعلامة ذلك أنه إذا ظهر من ينوب عنه ويكفيه ذلك يغتنمه ، ولا يغتاظ منه . فافهم تغنم ، والله أعلم بالصواب .

## الباب التاسع والعشرون

### فى ذم الكبر والعجب ، وفيه فصول

اعلم أن الكبر مذموم ، قال الله تعالى ( سأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ) . وقال تعالى ( كذلكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ) . وقال تعالى ( واسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) . وقال عليه الصلاة والسلام : « لايَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ فى قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنَ الكِبْرِ » . وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « قالَ اللهُ تَعالى : الكِبْرِياءُ رِدائى ، والعَظَمَةُ إزارِى ، فَمَنْ نازَعَنِى وَاحِداً مِنْهُما ألْقَيْتُهُ فى جَهَنَّمَ » . ومعنى الكبر : ص

فى النفس تنشأ من رؤية النفس وما يظهر من التكبر فى الظاهر ، فهو كالأثر لتلك الصفة ، قال صلى الله عليه وسلم: « أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الكِبْرِياءِ » فالكبر إن كان على الله بأن لا يذعن لأمره ، فذلك هو الكفر التام ، وإن كان على الرسل بأن لا يذعن لبشر مثله ، فهو أيضا كفر تام . والثالث أن يتكبر على الخلق ، ويدعوهم إلى خدمة نفسه ، والتواضع له . وذلك أيضا منازعة لله تعالى فى كبريائه ، فإنه لاينبغى لغيره أن يكون مطاعا البتة . والكبر إن كان بالمال والجاه ، فذلك قد سبق علاجه ؛ وإن كان برؤية الصلاح ، فذلك يناقض نفس الصلاح ؛ وإن كان بفعل الخيرات والعلم والعمل ، فذلك حقيق بأن يكون لله ، فإذا تكبر به على الناس فقد أخذ الأجر عليه ، كما ورد فى الأخبار ، فيكاد يحبط أجر ذلك ، فهذا هو الطريق فى معالجته ، وبالمقابلة لما يجده فيها من الخواطر يستريح ، فإذا مالت نفسه إلى الترفع على الناس يعمل التواضع ويداوم عليه ، فلعل الله يخلصه عن هذه الرذيلة ، ومهما حدثته نفسه بالخلاص عن الكبر ، فعليه أن يمتحن نفسه بأربعة أمور : أولها أن يجرب نفسه فى المناظرة مع خصم حتى يظهر أنه هل يغضب لظهور الحق على يد غيره وهل يشتهى الاستعلاء أم لا . الثانى أن يقدم الأقران على نفسه فى المحافل . الثالث : أن يحمل حاجته إلى بيته من طعام وغيره ، فهو من السنة ، ويتعاطى الأعمال فى بيته مع غلامه ويأكل معه ، فذلك كله من السنة . ومن جملة ذلك إجابة دعوة الفقراء والخروج معهم إلى الأسواق وحمل حاجاتهم معهم . الرابع : لبس ثياب بذلة فى الملأ . قال عليه الصلاة والسلام : « البَذَاذَةُ مِنَ الإيمانِ » وقال : « مَنِ اعْتَقَلَ البَعِيرَ وَلَبِسَ الصُّوفَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الكِبْرِ » وقال : « مَنْ حَمَلَ حاجَتَهُ إلى بَيْتِهِ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الكِبْرِ » فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن خير الأمور أوساطها ، فالتواضع المحمود أن يتواضع للأقران من غير ذلة .

### فصل : فى العجب

اعلم أن العجب مذموم ، قال تعالى ( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ) ، وقال ( وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا ) ، وقال تعالى ( وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ : شُحّ مُطاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وإعْجابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ » . وحقيقة العجب تكبر يحصل فى الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل ، فإن كان خائفا على زواله فهو غير معجب ، وإن كان يفرح بكونه نعمة من الله فهو ليس أيضا بعجب . بل هو مسرور بفضل الله تعالى وإن كان ناظرا إليه من حيث هو صفة ، غير مُلتفت إلى إمكان الزّوال ، ولا إلى المنعم به ، بل إلى صفة نفسه ، فهذا هو العجب ، وهو من المهلكات . وعلاجه : أن يتأمّل فى العاقبة ، وأن يتأمّل فى بلعام كيف ختم له بالكفر ، وكذلك إبليس ؛ فمن تأمّل فى إمكان سوء الخاتمة ، وأنه ممكن لايعجب بشىء من صفاته ، والله أعلم .

## الباب الثلاثون

### فى ذم الغرور

اعلم أن الغرور أظهر أسباب الهلاك ، وأصناف المغترّين كثيرة ، ونحـ[ـن] نورد منها أربعة أصناف : الأوّل : من العلماء ، الثانى : من العبّاد ، الثالث من المتصوّفة ، الرابع : من أرباب الدنيا وأصحاب الأموال . ونبدأ بما ور[د] فى ذمّ الغرور ، قال الله تعالى ( فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنْيا وَلا يَغُرَّنَّكـ[ـم]

Marfat.com

بالله الغَرُورُ ) ، وقال تعالى ( وَغَرَّتْكُمُ الأمانِيُّ حتى جاءَ أمْرُ اللهِ ) الآية وقال عليه الصلاة والسلام : « حَبَّذَا نَوْمُ الأكْيَاسِ وفِطْرُهُمْ كَيْفَ يَغْبِنُونَ سَهَرَ الحَمْقَى واجْتِهادَهُمْ وَلَمِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ صَاحِبِ تَقْوَى ويَقِينٍ ، أفْضَلُ مِنْ مِلْءِ الأرْضِ مِنَ المُغْتَرِّينَ » . والغرور أن يعتقد الشيء على خلاف ما هو به ، فهو نوع من الجهل ، وسكون النفس إلى ما يوافق الهوى من الخيال والشبهة ، فمن المغترّين من غرّه ظنه الفاسد بأن الحياة الدنيا نقد ويقين ، والآخرة نسيئة وشكّ ، والنقد واليقين لايترك بالنسيئة والشكّ ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنْيا بالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ) . . . الآية وهؤلاء الكفار ، فإيمانهم تارة يحصل بعلة ، وتارة ببرهان ودليل ، وتارة بتقليد . لا شكّ أن المريض يشرب الدواء بقول الطبيب رجاء للصحة . فلو قال : أشرب الدواء إلا أن أتيقن كونه نافعا ، فذلك دليل هلاكه ، كيف والعقل يقتضي سوء الظنّ والاحتراز بمجرّد الاحتمال ، فهذا المدبر إن كان قول الأنبياء ومعجزاتهم لاتورثه يقينا ، فلا أقلّ من أن يورث ظنا غالبا أو احتمالا ، والعاقل بمجرّد الاحتمال يحترز ، وكذلك قال عليّ رضي الله عنه لبعض الملحدين بعد أن أورد الحجج على الملحد إن كان الأمر على ما تزعمه . فقد تخلّصت أنا وتخلّصت أنت . وإن كان على ما أزعمه فتخلصت وهلكت .

ومن الناس من غرّهم قولهم : إن الله كريم رحيم . ومن الناس من يُدلي بتقوى الآباء وورعهم ، وذلك كله محال . أما قوله : إن الله كريم رحيم فقد صدق ، ولكن جميع آي القرآن دالة على أن كرمه ورحمته بأن يوفّق في الدنيا للخيرات ، وقال تعالى ( وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاّ ما سَعَى ) ، وقال تعالى ( فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ ) ، ثم هلا اعتمد على

كرمه فى الرزق ، وقد قال تعالى ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) وقال تعالى ( وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب ) فأمر بالتوكل على الله فى الرزق والتعويل على كرمه فلا يفعل ، وأمر بالعمل للآخرة فيتوكل ، وهذا غاية الانعكاس . وأما من يدلى بورع الآباء وتقوى النسب ، فلينظر إلى قوله تعالى لنوح ( إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ إنَّه عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ ) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام لما استأذن من الله تعالى أن يزور قبر أمه ، ويستغفر لها فأذن له فى الزيارة ، ولم يؤذن له فى الاستغفار ، فبكى لذلك . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ والأحْمَقُ مَنْ أتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاها وَتَمَنَّى على اللهِ الأمانِيَّ » .

واعلم أن العاقل البصير المشتغل طول الليل والنهار بالطاعات مع اجتناب المعاصى أبداً يكون خائفا من سوء الخاتمة ، ويسأل الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويخاف صواعق القدر ؛ فإن قالت فأين موضع الرجاء ؟ قلنا : إن الرجاء والخوف شرطان ، لكلّ واحد منهما موضع ، فموضع الرجاء اثنان : أحدهما أن يرجى نفسه الغفران بالتوبة حين استبعد ذلك بسبب كثرة الذنوب ، ودلالة الشيطان بحبل غروره وتقنيطه والآخر موضعه أن يرجى نفسه نعيم الفردوس ومعالى الدرجات ، كما ورد فى الأخبار لئلا يقتصر على الفرائض ، ونحن الآن نبين أصناف المغترّين :

الصنف الأوّل : العلماء . وقد سبق ذكر غرورهم فى كتاب العلم ، و العلماء بالله ، من زاد علمه من خشيته ، قال عليه الصلاة والسلام : « أعْلَمُكُمْ باللهِ وأخْشاكُمْ للهِ » ، فمن لا يعلم عيوب باطنه ، أو يعلم ولا يجتهد فى إزالتها ، فهو مغرور لا ينفعه علمه البتة .

الصنف الثانى : فى أرباب العبادة والمشغول بكلّ صنف منها أعنى أنو

العبادة لايخلو عن نوع من الغرور ، إلا الأكياس الذين وفّقهم الله تعالى ، وقليل ما هم ، فمنهم من أهمل الفرائض وضيّعها بأحكام السنن والشروط ، لكن تشغله الوسوسة فى الوضوء وتنظيف الثياب حتى يفوت وقت الفرض ، أو يضيق ، ومنهم من لاتستقيم له النية ، فتغلبه الوسوسة فيها حتى تفوته الجماعة ومنهم من تحمله الوساوس على أنه يعود فى قراءة الفاتحة ، ويقول : إنى أخرج الحروف من مخارجها ، ولا يهمه غيره . ومثال هؤلاء كرسول بُعث برسالة إلى ملك ، فأخذ يتأنّق فى إيراد الحروف ، ولا يزال يردّدها ويعيدها وهو غافل عن احترامه المجلس ، فهو جدير بأن يردّ إلى دار المرضى عند المجانين ، أو تقام عليه السياسة ؛ وهكذا من اشتغل بالحجّ والصوم وأقبل على شىء من هذه العبادات ولم يقدّم شروطها من التوبة وردّ المظالم ، ولم يتعلم علم آفات الأعمال ، وما يحتاج إليه من تنقية الظاهر والباطن ، فلا بدّ وأن يكون مغرورًا بعلمه .

الصنف الثالث : الصوفية والمتصوّفة . وهم فرق : فمنهم من رضى بمجرّد زيهم وآدابهم الظاهرة ، وظنوا أن الأمر إلى هذا الحدّ . ومنهم من زاد فلبس المرقعات الرفيعة التى تزيد فى القيمة على الإبريسم ، ومثالهم كعجوز سمعت أن رجال الحرب أثبتت أساميهم فى ديوان السلطان ، فلبست الدروع وحملت الأسلحة ونهضت إلى بين يدى السلطان ، فأمر بتعريتها عن السلاح وتجربتها فى القتال والمبارزة ؛ فلما رفع المغفر عن رأسها وخلع الدروع عن بدنها انكشفت عن عجوز ، فقيل لها : هذا استهانة بالملك ، فتؤخذ وتطرح بين يدى الفيل ، ويقام عليها السياسة ، وفرقة تلقنت ألفاظ القوم فى علوم المعرفة ، فادّعت المعرفة ، وذلك والعياذ بالله هو الهلاك . ومنهم من وقع فى الانخلاع زاعما أنه لاحاجة إلى أعمالنا ، ولا يدرون أن الحاجة لهم إلى أعمال

Marfat.com

أنفسهم لالغيرهم . ومنهم من انبسط فى جميع أنواع النعم ، لايفرّق ولا يميز ولا يدرى أن التكثير من الحلال يخالف شأنه ، فكيف من الحرام . ومنهم من فتح له الطريق ، فلما أحسّ بنسيم المعرفة وقف عنده ، وظنّ أنه قد وصل . وعجائب هذا الطريق لاتنقضى ، فمن وقف عند كلّ واحد من هذه العجائب طال مقامه . وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء ، ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار فى الطريق ولا إلى ما يتيسّر لهم من العطايا الجزيلة ، ولم يعرجوا على الفرح بها ، بل جادّين فى المسير حتّى قاربوا ، فوصلوا إلى حدّ القربة إلى الله عزّ وجلّ ، فظنوا أنهم وصلوا إلى الله عزّ وجلّ ، فغلطوا ، فإن لله عزّ وجلّ سبعين حجابا من نور فلا يصل السالك إلى واحد من تلك الحجب إلا ظنّ أنه قد وصل ولعلّ إليه الإشارة ، بقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام بما أخبر الله تعالى عنه قال ( فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّى ) ، وليس المعنىّ به هذه الأجسام المضيئة ، فإنه كان يراها فى الصغر وكان يعلمها ، ويعلم أنها ليست آلهة ، وهى كثيرة وليست بواحدة ، وكيف يغترّ مثل الخليل بما لايغترّ به أحد العوامّ والجهّال ؛ ولكن المراد به نور من أنوار الله تعالى ، وهى أول الحجب ، وهى على طريق السالك ، ولايتصوّر الوصول إليه إلا بعبور هذه الحجب ، وهى حجب من نور بعضها أصغر ، وبعضها أكبر بقدر القرب والبُعد ، وأصغر الأنوار السماوية هى الكواكب ، فاستعير لفظه لأوّل تلك الأنوار لأنها أصغر تلك الأنوار وأعظمها الشمس وبينهما القمر ، فلم يزل إبراهيم لما رأى ملكوت السماء ، حيث قال تعالى ( وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ ) الآية ، يتصل إلى نور بعد نور وحجاب بعد حجاب ، وكلما ظهر ماظهر من الأنوار الإلهية ، وقد شاهد من عظمتها ونورها ظن أنه وصل ، فيقول : هذا ربى ، فينكشف له ما

النبوة والتوفيق الإلهي أن وراءه نوراً فكلما ينكشف له ما بعد ذلك ظهر الأول درجة الانحطاط عن ذروة الكمال ، ويطلع على أن له نهاية ، فيقول : أحب الآفلين ، ولا يزال كذلك إلى أن يتجاوز عن كل ما يتناهى ؛ فلما انتهى إلى جناب لانهاية له ، وانقطع طمعه عما دون ذلك ، قال ( إنى وجهتُ وجهيَ للذي فطرَ السمواتِ والأرضَ ) ، والسالك لايصل إلى هذه الأنوار والحجب ، ما لم يخرج عن حجاب نفسه ، وهو أيضاً أمر رباني ، بل هو نور من أنوار الله تعالى ، أعنى سر القلب والروح الذى فيه تجلى حقيقة الحق ، حتى إنه ليتسع بجملة العالم ويحيط به ، وتتجلى فيه صورة الكل ، حتى قيل : إنه اللوح المحفوظ ، فإذا انتهى إليه السالك ، فيشرق نوره إشراقا عظيما ، إذ يظهر فيه الوجود كله ، على ما هو عليه ، وهو فى أول الأمر محجوب بمشكاة ، هى كالساتر له ، كما دلّ عليه القرآن ، فإذا انجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله تعالى ، ربما التفت صاحب القلب إلى القلب ، ويرى من جماله الفائق ما يُدهشه ، فربما سبق فى تلك الدهشة والشكّ لسانه ، فيقول : أنا الحقّ ، فإن أخذ التوفيق بيده ومدّته الألطاف الإلهية سار منه ، ولم يقف عنده ، فهو يعرف بعد منازل الأنوار الإلهية ، وإلا هلك ، فهذا محلّ الغرور ، إذ ربما يلبس عليه المتجلى ، والمتجلى به كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة ، فيظنّ أنه لونها ، وكما يلتبس لون ما فى الزجاج بالزجاج ، كما قيل :

رقّ الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظرت النصارى إلى المسيح ، فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه ، فغلطوا فيه كمن يتراءى له كوكب فى مرآة أو ماء ، فيظنّ أن الكوكب فى المرآة

Marfat.com

أو فى الماء ، فيمدّ إليه اليد ليأخذه وهو مغرور . وأنواع الغرور فى هذ
الباب لاتحصى فى مجلدات ؛ ولعلّ هذا القدر أيضا الأولى تركه ، إذ السالك
لايحتاج إلى السماع من غيره ، والذى لم يذقه لاينتفع به وبسماعه ، بل ر
يستضرّ به ، إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لايفهم ، ولكن لايخ
السامع من فائدة مّا ، هو أن يسمع فلعله يمدّه التوفيق ، فيعلم أن الأمر فو
ما يظنه ويقدّره فى ذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ، ويصدّ
أيضا بما يسمع من الحكايات والمكاشفات التى أخبر عنها الأولياء لله تعالى
ومن غلبت عليه شقوته ، وأحاطت به خطيئته ، كذّب بهذا كما كذّب
سمع من قبل ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) .

الصنف الرابع : أرباب الأموال . فنهم من يبنى المساجد والرباط
والقناطر ، ويأمر بكتب اسمه عليها ، وهو مريد بذلك الصيت والذكر الج
فى الناس ، ويطمع بعد ذلك فى المغفرة ، وهو خطأ وغرور من وجهين
أحدهما أنه من الأموال المكتسبة بالظلم والغصب والنهب وردّها إلى ملا
والإمساك عن أمثالها أولى بهم من ذلك . والوجه الثانى أنهم يريدون به ال
والسمعة حتى لو كلفوا أن ينفقوا دينارًا على موضع لايكتبون عليه أسا
لاتسمح به نفوسهم ، والله تعالى مطلع عليه سواء كتب اسمه أو لم يكتب
فيعلم بذلك أن قصده الرياء والسمعة لاغير . وفرقة أخرى أموالهم من الح
بنوا بها المساجد ، فزخرفوها ، وهو مغرور من وجهين : أحدهما أنه لعل
فقيرا جائعا فى جواره ، وهو أولى بذلك ، والآخر أنه يشغل المصلين من
الصلاة بتلك النقوش والزخارف ، فغروره من حيث إنه رأى المنكر مع
ويدلّ عليه ما قاله الحسن رضى الله عنه ، قال : لما أراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يبنى مسجد المدينة ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : ابن

Marfat.com

وع طولا فى السماء ، لاتزخرفه ولا تنقشه . وعلى الجملة ، فكلّ من أنفق لا على مسكين أو فقير أو موضع فيه خير ، فليطالب نفسه ، هل تسمح لإخفاء ، فان لم تسمح فلعلّ فيه رياء وإرادة سمعة . فإن قلت : فما الحيلة بعد ذا التعظيم ، فإنك ذكرت أن جميع هذه الفرق لاتخلو عن أنواع الغرور ، لجواب أنه لو صحّ منك الهوى أرشدت للحيل ، وإنه ليسير على من يسّره عليه ، فمن يقدر على استخراج الذهب والفضة من المعادن ، واستصعاد وت من أعماق البحور ، واستنزال الطير من الهواء لايعجز عما هو أهون ، فإذا عرف غوائل الأعمال ، وعلم أن ما سبق ذكره من الرياء والجاه صيت فى الناس لايبقى ، بل الموت يطوى كل ذلك ، وعلم نفسه وذلها ، ف ربه وعزته وجلاله والدنيا ، وأنها دار الغرور ، والآخرة وأنها دار وان ، فماله لايعمل بعمل لله ، ويحترز من آفاته . فإن قلت : فما الذى ف عليه بعد ذلك ، فأقول : يخاف عليه أن يتسلط عليه الشيطان ، فيقول : رجل سلمت من هذه الآفات ، فيجب عليك أن تدعو الخلق إلى ه وتنصحهم ، وهذا دأب الشيطان ، فإن من استعصى عليه فى الدنيا جاءه قبَل الدين ؛ وقد ذكرنا شرائط الوعظ والنصح ، فإن وجد نفسه أهلا بعد عمال تلك الشرائط فعل ذلك موفقا إن شاء الله تعالى .

تمّ ربع المهلكات

Marfat.com

# الباب الحادى والثلاثون

## فى التوبة وفيه فصول وهو الأول من ربع المنجيات

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور : علم ، وحال ، وفعل . فأما العلم : فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محجوب . فإذا وجدت هذه المعرفة ثار منها حال فى القلب ، وهى التألم بخوف فوات المحبوب ، وهو الندم ، وباستيلائه يثور إرادة التوبة ، وتلافى مامضى ، فالتوبة : ترك الذنب فى الحال ، والعزم على أن لايعود ، وتلافى ما مضى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » إذ الندم يكون بعد العلم كما ذكرنا .

### بيان وجوب التوبة

دل عليها العقل على ما بينها وفضلها . اعلم أن الآيات والأخبار دلت على وجوب التوبة ، كما قال الله تعالى (وَتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعا أيُّهَ المُؤْمِنونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) ، وقال تعالى ( يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحا ) الآية ، وقال ( إنَّ اللهَ يُحِبُ التَّوَّابِينَ ) ، وقال النبى عليه الصلاة والسلام : « التَّائِبُ حَبِيبُ اللهِ ، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاذَنْبَ لَهُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « للهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ فِي أرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَوَضَعَ رأسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ ، فَطَلَبَهَا حَتى إذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ

الحَرُّ والعَطَشُ ما شاءَ اللهُ ، قالَ أرْجِعُ مَكانِى الَّذِى كُنْتُ فِيهِ فأنامُ حتى أمُوتَ ، فَوَضَعَ رأسَهُ على ساعِدِهِ لِيَمُوتَ ، فاسْتَيْقَظَ فإذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْها طَعامُهُ وَشَرَابُهُ . فاللهُ أشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِنْ هذَا بِرَاحِلَتِهِ » .

وقد أجمعت الأئمة على وجوب التوبة . فإن قلت : فكيف تجب التوبة وهى ثمرة الندم الحاصل فى القلب وذلك لايدخل تحت الاختيار ؟ قلنا : إنه يدخل سببه تحت الاختيار ، وهو طلب علمه ، ولذلك قلنا : وجب العلم لأنه داخل فى التوبة الواجبة ، لا أن العبد يحدثه ، بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة من القادر ، فالله تعالى خلقكم وما تعملون ، فهذا هو الحق عند ذوى البصائر ، وما عداه فهو ضلال . فإن قلت : أليس للعبد اختيار فى الفعل والترك ؟ قلنا : نعم ، وهذا لايناقض قولنا : إن الكل من عند الله ، بل الاختيار أيضا من خلق الله تعالى ، والعبد مضطر فى اختياره ، فإن الله تعالى خلق اليد الصحيحة ، وخلق الطعام اللذيذ ، وخلق الشهوة للطعام فى المعدة ، وخلق العلم فى القلب بأن هذا الطعام مسكن للشهوة ، وخلق الخواطر المتعارضة فى أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة ، وهل دون أن يتناوله مانع يتعذر معه تناوله أولا ، ثم خلق العلم بأنه لامانع ، فعند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول ، فهذه الأمور مترتبة فى سنة الله تعالى ، فلا يخلق مثلا حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى القدرة ، وما لم يخلق فيها حياة ، وما يخلق إرادة ، ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا فى النفس ، ولا ينبعث هذا الميل ما لم يخلق علما بأنه موافق للنفس فى الحال أو المآل ، ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب أخر ترجع إلى قدرة وإرادة وعلم . فالعلم والميل الطبيعى أبدا يستتبع الإرادة الجازمة ،

Marfat.com

والإرادة والقدرة أبدا تستردف الحركة ، وهكذا الترتيب فى كلّ فعل ، والكل مخلوق لله تعالى ، ولكن البعض شرط للبعض ، وذلك سنة الله التى خلت فى عباده وفى قضائه الذى هوكلمح البصر ترتيبا كليا لايتغير ، وعنه العبارة بقوله تعالى ( إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ) ، ومن جملة القدر : خلق حركة فى يد الكاتب بعد خلق القُدرة والقصد والعلم والإرادة ، فإذا ظهرت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد سخر تحت قدر التقدير سبق أهل علم الملك والشهادة والمحجوبون عن عالم الغيب والملكوت قالوا : أيها الرجل ، قد تحرّكت وكتبت ورميت ونودى من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت ( وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ). و( قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ) ، وعند هذا تحيرت عقول القاعدين فى بحبوحة عالم الشهادة . فمن قائل إنه جبر محض ، ومن قائل : إنه اختراع صرف ، ومن متوسط قائل : إنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء ، فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظاهر لهم أن كلّ واحد منهم صادق من وجه ، ولكن القصور شامل لجميعهم فلم يُدرك واحد منهم كنه هذه الأمور ، وإنما يُدرك ذلك بإشراق النور من كوّة نافذة إلى عالم الغيب ، وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة ، لايطلع على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول ، ومن حرّك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ، ووجه ارتباط مناط تسلسلها بمسبب الأسباب انكشف له سرّ القدر ، وعلم علما يقينا أن لاخالق إلا الله ، ولا مبدع سواه . فإن قلت قد قضيت بأن كلّ هؤلاء فى الجبر والاختراع والكسب صادق من وجه قاصر من وجه ، فأقول : نعم ، ولذلك أعرفك بمثال فأقول : جماعة من العميان سمعوا أنه حُمل إلى بلدهم حيوان عجيب يسمى الفيل ، وما كانوا سمعوا به ولا رأوه ، فقالوا : لابدّ لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذى نقدر عليه .

Marfat.com

جاءوا إليه ولمسوه ، فوقعت يد بعضهم على رجله ، ووقعت يد بعضهم على نابه ، ووقعت يد بعضهم على أذنه ، فقالوا : قد عرفنا ؛ فلما انصرفوا سألهم بقية العميان ، فاختلفت أجوبتهم فقال الذى لمس الرجل : ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة ، إلا أنه ألين منه ؛ وقال الذى لمس الناب : ليس كما تقول ، بل هو صلب لالين فيه ، وأملس لاخشونة فيه ، وليس فيه غلظ الأسطوانة أصلا ، بل هو مثل عمود ؛ وقال الذى لمس الأذن : إنما هو مثل كساء ؛ ولكن قد صدق كلّ واحد منهم إذ أخبر عما وصل إليه من الفيل ، ولم يخرج واحد عنه ، ولكن أخطئوا إذ ظنوا أنهم أدركوا الكلّ . فاعتبر بهذا ، فإنه مثال أكثر ما اختلف فيه الناس. ونرجع إلى الغرض فنقول : قد بينا وجوب التوبة بثلاثة أجزائها ، والآن نقول هو واجب على الفور ، لأن الخلع عن المعاصى واجب على الدوام ، وكذلك طاعة الله واجبة على الدوام ، وقال الله تعالى ( وَتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعا ) وبه تعلم أيضا أنه واجب على جميع الناس على العموم وذلك لأنه لايخلو أحد عن ذنب يصيبه إما بالجوارح أو بالخواطر أو بالذهول والغفلة عن الله تعالى والتوبة عنه شأن الأنبياء والصديقين وشأن من لم يخل من حياته بمجرّد الوجود بلا فائدة. وأما الأولياء الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وكتب فى قلوبهم الإيمان فقد علموا أن كلّ نَفَس من أنفاسهم جوهرة نفيسة لاقيمة لها حتى أن الدنيا وما فيها لو قوبلت بنفَس لم تبلغ قيمته فحافظوا على أوقاتهم ، وغيرهم تاهوا فى غفلاتهم ، حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ فيقول : رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب ، فأصدّق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ؛ ومعناه : أن يقول العبد عند كشف الغطاء : ياملك الموت ، أخرنى يوما أعتذر فيه إلى ربى ، فأتوب وأتزوّد صالحا لنفسى ، فيقول : فنيت الأيام فلا يوم ، فيقول : أخرنى ساعة . فيقول : فنيت



Marfat.com

الساعات فلا ساعة ، فيغلق عليه باب التوبة ، فيغرغر بروحه ، وتردّد أنفاسه في شراسيفه ، ويتجرّع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر ، فيضطرب والعياذ بالله أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال ، فإذا زهقت نفسه ، فإن كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حُسن الخاتمة . وإن سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشكّ والاضطراب ، وذلك سوء الخاتمة ، ولمثل هذا قال الله تعالى (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ) الآية ، ولمثل هذا قال تعالى ( إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ) ومعناه : أن يتبع السيئة بالحسنة تمحوها ، كما ورد في الخبر .

## بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لامحالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول ، لم تشكّ أن كلّ توبة صحّت فلا بد أنها مقبولة : فالناظرون بنور البصيرة إلى أنوار القرآن ، علموا أن كلّ قلب سليم عند الله تعالى مقبول مستعدّ لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خُلق سليما في الأصل ، وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها ، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة ، وأنه لاطاقة لظلمة المعاصي مع نور الحسنات ، كما لاطاقة لظلام الليل مع نور النهار ، وكما لاتبقى كدورة الوسخ مع بياض الصابون ، لاتبقى الذنوب مع نور التوبة والاستغفار إلا أن يكون والعياذ بالله قد أفسدت الذنوب جرم القلب لكثرتها ودوامها

قال الله تعالى فى حق الكفار ( كَلَّا بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ ) ، وكما قال الله تعالى ( بَلْ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ ) ، وذلك فى حق الكفار والمنافقين ، أما المسلمون فلا ، قال عليه الصلاة والسلام : لَوْ عَمِلْتُمْ الخَطَايا حتى تَبْلُغَ السَّمَاءَ ثُمَّ نَدِمْتُمْ لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ » .

بيان ماعنه التوبة

وهى الذنوب كلها ، وقد علمت ذلك فيما سبق ذكره فى الصفات المذمومة ما يتولد منها من الأعمال ، فالتوبة عن الكبائر والصغائر جميعا ؛ وقد قيل : صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار . فإذا عرفت ذلك ، فاعلم ما يتعلق به حق الغير لاتصح التوبة عنه إلا بتحكيمه ، وتفويض الأمر إليه القصاص والمظالم ، وأنواع الغرامات وحد القذف ؛ هذا لمن أراد التوبة امتنع عنها ، فطريق حل عقدة الإصرار عن قلبه أن نخوفه بما ورد من ات والأخبار فى أحوال المذنبين ، ونذكره بحال من مات على الفسق سويف قبل التوبة وعقوبته ، ونبين له أن العقوبة قد تعجل فى الدنيا ، حتى إن كان عمى عن عقوبة الآخرة فلعله أن يخاف الخذلان فى الدنيا والله أعلم .

# الباب الثانى والثلاثون

## فى الصبر والشكر

اعلم أن الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر على ماشهدت به خبار والآثار . أما الصبر فقد قال الله تعالى فى الثناء عليه ( وَجَعَلْنَاهُمْ ئمَّةً يَهْدُونَ بأمرنا لَمَّا صَبَرُوا ) ، وقال تعالى ( وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

Marfat.com

الحُسْنَى على بَنِى إسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ) ، وقال تعالى ( وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ) . وسئل عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فقال : « الصَّبْرُ والسَّمَاحَةُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ » .

## بيان حقيقة الصبر

اعلم أنه مركب من العلم والحال والعمل . فالعلم فيه كالشجر ، والحال كالأغصان ، والعمل كالثمار ، فتعلم أن المصلحة الدينية فى الصبر ، فيورث ذلك قوّة وداعية متقاضية لفعل الصبر ، وذلك إما على عبادة ، أو عن إمضاء شهوة ، وهو فى جميع الأحوال مدفوع إلى نوع من الصبر حتى لايتجاوز فى المباحات عن حدّ الاعتدال إلى حدّ الإسراف . وأما الصبر على العبادة فبأن يعلم أنه يصبر أياما قلائل ، ويسعد فى مقابلته أبد الآبدين ، ويحتاج فيه إلى الصبر عن إفشائه وإفساده بالرياء ، وأعظم الصبر ما يلزمه فى الإمساك عن الشهوات والاسترسال على موجبها كما سبق ذكره ، ومما يلزمه الصبر عليه هو أن يجنى عليه إنسان بقول أو فعل . قال بعض الصحابة رضى الله عنه ما كنا نعدّ إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى ، وقال تعالى (وَلَنَصْبِرَنَّ على ما آذَيْتُمُونا وَعلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ ) وهذا الصبر تارة على نفس الفعل واحتماله ، وتارة على المكافأة ، وفيهما تمام الإيمان . القسم الآخر : ما يهجم من غير اختيار كالمصائب من الأمراض وذهاب العين ، وفساد الأعضاء ، وموت الأعزاء . قال ابن عباس رضى الله عنه : الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء الفرائض لله تعالى ، وله ثلاث مئة درجة . وصبر عن محارم الله تعالى ، وله ستّ مئة درجة . وص

فى المصيبة عند الصدمة الأولى ، وله تسع مئة درجة . وقد قيل : إن الصبر الجميل هو أن لايعرف من صاحب المصيبة ، ولا يمكن الوصول إلى هذا إلا برياضة طويلة فى مدة مديدة ، والله أعلم .

أما الشكر ، ففضيلته أن الله تعالى قرنه بالذكر مع أنه قال ( وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ) ، وقال تعالى ( فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوا لِى وَلا تَكْفُرُونِ ) ، وقال تعالى ( وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ) ، وقال تعالى ( وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ).ومن الأخبار قوله عليه الصلاة والسلام : « الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ » . والشكر : أن يعرف أنه لا منعم إلا الله ، ثم إذا عرفت تفاصيل نعمة الله عليك فى أعضائك وجسدك وروحك وجميع ما تحتاج إليه من أمور معيشتك ، ظهر فى قلبك فرح بالله وبنعمته ، وتفضله عليك ، ثم تحرص فى العمل بموجبه ، وذلك بالقلب واللسان وسائر الجوارح . أما بالقلب فبأن يضمر الخير لجميع الخلق ويحضره دائما فى ذكر الله تعالى فلا ينساه . وأما باللسان فتظهر به الشكر بالتحميدات الدالة عليه . وأما بالجوارح فباستعمال نعم الله تعالى فى طاعته ، والتوقى من الاستعانة بنعمته على معصيته ، فشكر العين : أن تستر كلّ عيب تراه من مسلم ، ولا تنظر بها إلى المعاصى . وشكر الأذنين : أن تستر ماتسمع من العيوب ، ولا تسمع بهما إلا ما أباح لك . وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل: « كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قال : بخير ، فأعاد السؤال ، فأعاد الجواب ، حتى قال فى الثالثة : بخير أحمد الله تعالى وأشكره ، قال عليه الصلاة والسلام : هذَا الَّذِى أَرَدْتُ مِنْكَ » . وكل واحد إذا سئل عن شيء فهو بين أنه يشكر فيكون به مطيعا ، أو يشكو فيكون به عاصيا ؛ فإن قال قائل : ما معنى الشكر ، والشكر نعمة ثانية من الله تعالى ، فنقول : هذا السؤال قد خطر

Marfat.com

ببال داود وموسى عليهما السلام ، فقال موسى عليه السلام : كيف أشكرك
وأنا لاأستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك ، فأوحى الله تعالى إليه
إذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفى خبر آخر : إذا عرفت أن النعم مني رضيت
بذلك منك شكرا . فإن قلت : لم أفهم هذا الجواب ، فإن العلم أيضا نعمة
منه ثالثة ، فاعلم أن هذا فرع باب من التوحيد ، وهو أنه الشاكر والمشكور .
والمحبّ والمحبوب ، ولا شيء فى الوجود سوى الله ، وأن كلّ شيء هالك
إلا وجهه ، وهذا صدق أزلا وأبدا ، إذ ليس فى الوجود شيء سوى الله . له
قيام بذاته ، فهو القائم بذاته ، وكل ما سواه فقائم به ، فهو القيوم الحيّ ، فإذ
ليس فى الوجود غير القيوم الحيّ ، فهو الشاكر والمشكور ، والمحبّ والمحبوب
ومن ههنا نظر حبيب بن أبى حبيب حيث قرأ قوله تعالى ( إنَّا وَجَدْناه
صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أوَّابٌ ) فقال : واعجباه أعطى وأثنى ، أشار إلى
أنه إذا أثنى على عطائه فعلى نفسه أثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه . ومن هنا
نظر الشيخ أبو سعيد الميهنى حيث قرئ بين يديه ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ )
فقال لعمرى يحبهم ، ودعه يحبهم ، فبحق يحبهم ، لأنه إنما يحب نفسه ، أشار
به إلى أنه المحب وأنه المحبوب ، وهذه رتبة عالية لاتصل إلى فهمك إلا بمثال
على قدر عقلك . وذلك أنه لايخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه ، فقد
أحب نفسه ؛ والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه ؛ والوالد إذا أحب
ولده من حيث إنه ولده ، فقد أحبّ نفسه ؛ وكلّ ما فى الوجود سوى الله
تعالى فهو تصنيف الله وصنعته ، فإن حبه فما أحبّ إلا نفسه ، وهذا نظر بعين
التوحيد ، وإليه الإشارة بقول الصوفية حيث يقولون : فنى عن نفسه ، وعن
غير الله ، فلم ير إلا الله ، والناس لايفهمون هذا ، فينكرون عليهم ويقولون
كيف فنى وطول ظله كما كان ، وهو فى اليوم والليلة يأكل أرطالا من

Marfat.com

طعام ، ويضحكون عليهم من جهلهم ، وشرط العارفين أن يكونوا ضحكة الجاهلين ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ) . . . إلى قوله ( فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ) . . . الآية . رجعنا إلى ما كنا فيه فنقول : الشكر هو استعمال النعمة فى الطريق الذى خلق له ، ومثاله أن ملكا بعث إلى بعض غلمانه فرسا بجميع ما يحتاج إليه ليركب إليه ، فإن ركبه إليه واستعمله فى الطريق الذى بعث له ، كان مستعملا للنعمة فيما هى له ، وإن ركبه وتباعد عن الملك ، فهو سفه وكفران للنعمة ، والله أعلم .

## الباب الثالث والثلاثون

### فى الرجاء والخوف

اعلم أن الرجاء من مقامات السالكين وأحوال الطالبين ، وإنما يسمى الوصف حالا ما دام يعرض ويزول ويسمى مقاما إذا ثبت ، فنقول : اعلم أن المنتظر فيما بعد إذا كان مما يتألم به القلب سمى خوفا ، وإذا كان مما يفرح به القلب سمى رجاء ، فإذًا الرجاء : ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب ، ولكن لابدّ وأن يكون له سبب ، فإن كان قد حصل أكثر أسبابه فيصدق اسم الرجاء عليه ، وإن كان انتظارا مع انخرام أسبابه ، فاسم الغرور عليه أصدق وإن تعادل طرفا حصول الأسباب وانتفائها كان اسم التمنى عليه أصدق . وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والإيمان كالبذر فيه ، والطاعات جارية مجرى سقى الماء وقلب الأرض وإمدادها بما يقويها ، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التى لا ينمو فيها البذر ، ويوم القيامة يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلا ما زرع ، ولا ينمو

زرع إلا من بذر الإيمان ؛ وقلّما ينمو الإيمان مع خُبث القلب وسوء أخلا
كما لاينمو بذر فى الأرض السبخة ، فمن استجمعت له الأسباب من الأر
الطيبة والماء والمدد وتطهير الأرض كما سبق ، وألقى فيها بذرًا جيدا .
انتظر الحصاد راجيا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المُفسدة
فهذا له وجه ، ويسمى رجاء ، وإن بث البذر فى الأرض الصلبة السبخة ال
لاماء لها . وانتظر الحصاد ، فهذا يسمى غرورا ، وإن بثّ البذر فى أرض
طيبة . ولكن لاماء لها ، وانتظر الحصاد اعتمادا على ماء المطر ، فهذا يسـ
تمنيا فقد تبين لك أن من زرع الإيمان فى قلبه وسقاه بماء الطاعات وطهّر القل
عن الخبائث كما تطهر الأرض عن الشوك والحشيش ، فله أن يرجو ، وماد
ذلك فتمنٍ أو غرور ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « الكيِّس
مَنْ دانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ ، والأحْمَقُ مَنْ أتْبَعَ نَفْ
هَوَاها وتَمَنَّى على اللهِ الأمانِيَّ ».وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن مثل ذ
فقال ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ
هذَا الأدْنَى ، ويَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا ) بَيَّن أن هذا الرجاء لاأصل
إذا لم يتقدم عليه ما ينبغى أن يتقدّم ، ويدلّ عليه أيضا ما رُوى عن زيد ا
أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « جئت لأسألك عن علامة الله ف
يريد ، وعلامته فيمن لايريد ، فقال : كَيْفَ أصْبَحْتَ ؟ قال : أصب
ألحظ الخير وأهله ، وإذا قدرت على شىء منه سارعت إليه وأيقنت بثوا
وإن فاتنى شىء منه حزنت عليه وحننت إليه ، فقال : هذه عَلامَةُ الله
فِيمَنْ يُرِيدُ ، وَلَوْ أرادَكَ للأُخْرَى هَيَّأكَ لَهَا ، ثُمَّ لايُبالى فى أى
أوْدِيَتِها هَلَكْتَ » ، فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به خير
ويحصل منه الرجاء .

Marfat.com

## بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم إليه ، والحب يغلب بالرجاء ، فإن رجاء الخير يقرب ويحبب ، والخوف موجب للهرب ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : «لا يَموتَنَّ أحدُكُم إلاَّ وَهوَ يُحسِنُ الظَّنَّ باللهِ». ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال : «كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ أجِدُنى أخافُ ذُنوبِى وأرجُو رَحمةَ رَبى ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما اجتَمعا فى قلبِ عبدٍ فِى هذا الموطِنِ إلاَّ أعطاهُ اللهُ تعالى ما رَجا وآمنَهُ مِمَّا يخافُ» .

## فصـــل

اعلم أن من غلب عليه اليأس حتى أورثه القنوط ، أو غلب عليه الخوف حتى أضر بنفسه وأهله ، فهذان يحتاجان إلى المعالجة بالمداواة . وأما من غلب عليه الأمانى ، فأسباب الرجاء سم قاتل فى حقه ، فهو كالعسل ، فيه شفاء لمن غلبت عليه البرودة ، فإن تناوله المحرور هلاك ، فمن غلب عليه التمنى وأسرف فى المعاصى جدير بأن يعالج بما يورث الخوف ، ومن غلب عليه الخوف عولج بالرجاء ، فهما شطران يسقى بكل واحد منهما من له حالة مخصوصة . قال على رضى الله عنه : إنما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمّنهم من مكر الله ؛ ولما كان العلماء ورثة الأنبياء كانوا أطباء القلوب واستعملوا ما كان لائقا بحال كلّ مريض . ومن الدواء النافع فى جلب الرجاء أن يتأمل الإنسان فيما أنعم الله تعالى به عليه من صحة البدن وسلامة الأعضاء ، ثم بعثة الأنبياء لهدايته ، ثم خلق الأطعمة والأشربة والأدوية لإصلاحه ، ومما

يقوّى أسباب الرجاء ، ما قاله سبحانه وتعالى ( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذنُوبَ جَمِيعا ) ، وقال تعالى ( وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ . وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الأَرْضِ ) وقال تعالى ( لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلكَ الَّذِى يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ ) بَيَّنَ أنه يخوّف المؤمنين بالنار ، إلا أنها للكافرين لأنها خُلقت لهم . وقد روى أبوموسى الأشعرى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أُمَّتِى أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لاعَذَابَ عَلَيْهَا فِى الآخِرَةِ » . والآيات والأخبار الواردة فى هذا الباب أكثر من أن تحصى . وقد ورد فى حديث طويل عن أنس أن الأعرابى لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، من يلى حساب الخلق يوم القيامة ؟ قال : « اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » ، فقال : هو بنفسه ، قال : نعم ، فتبسّم الأعرابى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِمَّ ضَحِكْتَ يا أَعْرَابِىُّ ؟ فقال : إن الكريم إذا قدر عفا ، وإذا حاسب سامح ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ الأَعْرَابِىُّ ، أَلا وَلا كَرِيمَ أَكْرَمُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَهُوَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ ثم قال صلى الله عليه وسلم : فَقُهَ الأَعْرَابِىُّ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « قالَ اللهُ تَعالى : سَبَقَتْ رَحْمَتِى غَضَبِى » .

## الشطر الثانى فى الخوف وقد بينا معنى الخوف

اعلم أن الخوف والرجاء زمامان يُقاد بهما من لم يظهر لقلبه جمال الحقّ ، فمن شاهد بقلبه ذلك الجمال ، ترقى عن الخوف والرجاء ، وإليه الإشارة بقول الواسطى : الخوف حجاب بين الله وبين العبد ، وقال أيضا : إذا ظهر الحقّ على السرائر لايبقى فيها فضيلة لالرجاء ولا لخوف . وعلى الجملة إذا وصل

Marfat.com

المحبّ إلى جمال المحبوب ، فالتفاته إلى خوف الفراق مضيع للوصال . ولكنا نتكلم فى أوائل المبدأ ، فعند هذا نقول دواء جلب الخوف أن ينظر ويتأمّل فى الآيات الواردة فى شدّة العذاب والحساب ، والأخبار الواردة فى ذلك . ويتأمل أيضا حال نفسه بالنسبة إلى جلال الله وعظمته ، وقوله تعالى « هَؤُلاءِ فى الجَنَّةِ وَلا أُبالى ، وَهؤُلاءِ فِى النَّارِ وَلا أُبالى » ويعلم أنه بجنايته وتركه أوامر الله ، وارتكابه المناهى ، مستحقّ للعقاب الأليم ، والله تعالى لو أهلك العالمين فهو لايبالى ، وهذا المسكين قد ارتكب الجرائم والآثام ، فهو أولى بأن يخاف ، فإنه إن أهلك لم يبال به كيف وسيد المرسلين يقول : « أنا أعلَمُكُمْ باللهِ وأخْشاكُمْ لِلهِ » . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود خفنى كما تخاف السبع الضارى . وحقيقة السبع أنه مهلكك ولا يبالى . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خافَ مِنَ اللهِ خافَهُ كُلُّ شَىْءٍ ، ومَنْ خافَ غيرَ اللهِ خافَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ » . وقالت عائشة رضى الله عنها قالت : « يارسول الله ، الذين يؤتون ما أتَوْا وقلوبهم وجِلَة ، أهو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال : لا ، بَلْ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصلّى ، وَيخافُ أنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ » وقال النبىّ عليه الصلاة والسلام : « ما مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ ، وَإنْ كانَتْ مِثْلَ رأسِ الذبابِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعالى ، ثُمَّ يُصِيبُ شَيْئا وَقْتَ خُرُوجِهِ إلاّ حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ » .

## بيان أحوال الأنبياء فى الخوف

روت عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغَيَّر الهواء وهبَّت ريح عاصفة يتغَيَّر وجهه ويقوم ويتردّد فى الحجرة ،

ويدخل ويخرج » كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى . وقرأ عليه الصلاة والسلام آية فى سورة الحاقة فصَعِق . وقال تعالى ( وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ) . ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل فى الأبطَح فصَعِق وقال صلى الله عليه وسلم : « ما جاءَنِى جِبْرِيلُ قَطُّ إلاَّ وَهوَ يَرْعَدُ خَوْفا من الجَبَّارِ جَلَّ جَلالُهُ » . وقيل : لما ظهر على إبليس ما ظهر ، طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان ، فأوحى الله تعالى إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يا ربّ ما نأمن مكرك ، فقال الله تعالى : هكذا كونا لاتأمنا مكرى . وقال أبو الدرداء : كان يُسمع أزيز قلب خليل الرحمن عليه السلام إذا قام فى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد رضى الله عنه : بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه ، وحتى غطى رأسه ، فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم ؟ أم ظمآن فتسقى ؟ أم عار فتكسى ؟ فتنفس الصُّعَداء ، فاحترق العود من حر جوفه ، فأنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة ، فقال : يا ربّ اجعل خطيئتى فى كفى ، فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة ، فكان لايبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما إلا رآها فأبكته . قال : وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء ، فإذا تناوله أبصر خطيئته فلا يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه . ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات ، حياء من الله تعالى وكان يقول فى مناجاته : إلهى إذا ذكرت خطيئتى ضاقت علىّ الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدّت إلىّ روحى سبحانك . إلهى أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتى فكلهم عليك يدلنى ، فبؤسا للقانطين من رحمتك . وقال الفضيل رحمة الله عليه : بلغنى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صاعقا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال ، فاجتمعت إليه السباع ، فقال

Marfat.com

رجعوا فلا أريدكم ، إنما أريد كلّ بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء من لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء . وكان يعاتب فى كثرة البكاء يقول : دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء ، قبل تحرّق العظام واشتعال الحشا ، وقبل أن يؤمر فىّ ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وقال عمر بن عبدالعزيز : لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته ، قال : إلهى بحّ صوتى فى صفاء أصوات الصدّيقين . وروُى أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ، ولم ينفعه ذلك ، ضاق ذرعه واشتدّ غمه فقال : يا ربّ أما ترحم بكائى ؟ فأوحى الله تعالى إليه : ياداود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ؟ قال : إلهى وسيدى كيف أنسى ذنبى وكنت إذا تلوت الزبور كفّ الماء الجارى عن جريه ، وسكن هبوب الريح ، وأظلنى الطير على رأسى ، وأنست الوحوش إلى محرابى ؛ إلهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك ؟ فأوحى الله تعالى : ياداود ذاك أنس الطاعة ، وهذه وحشة المعصية ، يا داود آدم خلق من خلقى خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى ، وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى ، وتوّجته بتاج وقارى . وشكا إلىّ الوحدة ، فزوّجته حوّاء أمتى وأسكنته جنتى ؛ فلما عصانى طردته عن جوارى عُريانا ذليلا . يا داود اسمع منى ، والحقّ أقول : أطعتنا فأطعناك ، وسألتنا فأعطيناك . وعصيتنا فأمهلناك ، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك . وقال يحيى بن أبى كثير : بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لايأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب ، ولا يقرب النساء ، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له منبر إلى البرية ، فيأمر سليمان أن ينادى بصوت يستغرق البلاد وما حولها من الغياض والآكام والبرارى ، وتأتى السباع من الغياض ، وتأتى الهوامّ من الجبال ، وتأتى الطير من الأوكار ، وتأتى العذارى من

خدورهن ، وتجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتى داود عليه السلام حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنوإسرائيل ، وكل صنف على حدته محيطون به ، وسليمان عليه السلام قائم على رأسه ، فيأخذ فى الثناء على ربه ، فيضجون بالبكاء والصريخ ، ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار ، فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع ، ثم يأخذ فى أهوال يوم القيامة ، وفى النياح على نفسه ، فيموت من كل نوع طائفة ، فإذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى ،قال : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق ، وماتت طوائف من بنى إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ فى الدعاء ، فبينما هوكذلك ، إذ ناداه بعض عباد بنى إسرائيل : ياداود عجلت بطلب الجزاء على ربك ، قال : فخر داود مغشيا عليه ؛ فلما نظر سليمان عليه السلام إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ، ثم أمرمناديا ينادى ألا من كان له مع داود قريب أوحميم فليأت بسريره فليحمله عليه ، فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار ؛ وكانت المرأة تأتى بالسرير وتحمل قريبها وتقول : يامن قتله ذكر النار ، يامن قتله خوف الله تعالى ، ثم أفاق داود عليه السلام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه وقال يا إله داود أغضبان أنت على داود ، ولا يزال يناجى حتى يأتى سليمان عليه السلام ويقعد على الباب ويستأذن ، ثم يدخل ومعه قرص شعير ويقول يا أبتاه تقو بهذا على ماتريد ، فيأكل من ذلك القرص ماشاء الله تعالى ، ثم يخرج إلى بنى إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشى : خرج داود ذات يوم للناس يعظهم ويخوفهم ، فخرج فى أربعين ألفا ، فمات ثلاثون ألفا وما رجع إلا فى عشرة آلاف ، وكان له جاريتان اتخذهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب ، قعدتا على صدره ورجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه . وقال أبو بكر رضى الله عنه لطير : ليتنى كنت مثلك ياطير ولم أخلق بشرا

وقال أبو ذرّ : وددت أنى شجرة تعضد . وقال عثمان رضى الله عنه : وددت أنى إذا متّ لم أبعث . وقالت عائشة رضى الله عنها : وددت لو كنت نسيا منسيا . وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع . وقال عمر رضى الله عنه : من خاف الله لم يشف غيظه . ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون . وقال علىّ رضى الله تعالى عنه ذات يوم وقد سلّم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده : لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم أر اليوم شيئا يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله سجّدا وقياما ، يتلون كتاب الله ، يزاوجون بين جباههم وأقدامهم ، وإذا أصبحوا وذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم الريح ، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبلّ ثيابهم ، والله كأنى بأقوام باتوا غافلين ، ثم قام فما رؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم . وكان عمر رضى الله تعالى عنه إذا سمع الآية من القرآن يسقط من الخوف مغشيا عليه ، فكان يعاد أياما ، وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال : يا ليتنى كنت هذه التبنة ، ياليتنى لم أك شيئا مذكورا ، ياليتنى لم تلدنى أمى ، يا ليتنى كنت نسيا منسيا . وكان علىّ بن الحسين رضى الله عنه إذا توضأ اصفرّ لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم . ورُوى أن الفضيل رضى الله عنه رؤى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثّكلى المحترقة ، حتى إذا كادت الشمس تغرُب قبض على لحيته ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال : واسوأتاه منك وإن غفرت لى ، ثم انقلب مع الناس . وسئل ابن عباس رضى الله عنه عن الخائفين؟ فقال : قلوبهم من الخوف قرحة وأعينهم باكية ، يقولون كيف نفرح والموت وراءنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدى ربنا موقفنا . وكان حماد بن عبد ربه

Marfat.com

إذا جلس جلس مستوفزا على قدميه ، فيقال له : او اطمأننت ، فيقول : تلك جلسة الآمنين وأنا غير آمن إذا عصيت الله عزّ وجلّ. وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله تعالى هذه الغفلة رحمة فى قلوب عباده كيلا يموتوا من خشية الله تعالى . ورُوى أن فتى من الأنصار داخلته خشية من النار ، فدخل النبىّ صلى الله عليه وسلم فاعتنقه فخرّ ميتا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فإنّ الفَرَقَ فَتَّتَ كَبِدَهُ » . والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب .

## الباب الرابع والثلاثون
### فى الفقر والزهد

قال الله تعالى ( يا أيُّها النَّاسُ أنْتُمُ الفُقَرَاءُ إلى اللهِ ) اعلم أن الفقير من احتاج إلى ما ليس يملك ، والناس كلهم فقراء إلى الله تعالى لأنهم محتاجون إليه فى دوام وجودهم ، وابتداء وجودهم منه ، وليس لهم ذلك ، بل ذلك لله تعالى ، فهو الغنىّ المطلق . ونحن الآن نذكر فقير المال ، وهو أن لايكون له مال يحتاج إليه لمعيشته . وللفقير أحوال : فمنها أن يكون كارها لوجود المال هاربا منه وهو الزاهد . والثانى : أن يكون بحيث لايهرب منه ولا يرغب فيه ولكن إذا وجد لايكرهه وهو الراضى : والثالث : أن يكون وجود المال أحب إليه من فقده إذا جاءه عفوا صفوا ، لكن لاينهض للطلب . الرابع : أن يكون مريدا للمال راغبا فيه ، ولكنه ترك الطلب للعجز . الخامس : أن يكون مافقده من المال يضطرّ إليه كالجائع الفاقد للخبز ، والعارى الفاقد للثوب لنفسه أو لعياله ، فصاحب هذه الحالة إن خلا عن الرغبة وهو من النوادر فهو الزاهد

الحقيق ، وأعلى من هذه الأحوال كلها أن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء قل المال الذى بيده أو كثر ، لايبالى ولا يمنع طالبا ، ولا تخطر حاجة نفسه بباله ، كما نقل عن عائشة رضى الله عنها أنها أتاها مئة ألف درهم من عطاء ففرقتها ،ولم يخطر ببالها حاجتها الى شيء للإفطار حتى قالت لها خادمتها : لو اشتريت لنا بدرهم لحما كنا نفطر عليه ؟ قالت : لو ذكرتينى لفعلت ،

فصل : فى فضيلة الفقر

وقد روى ابن عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ فقالوا : موسر من المال يؤدى حق الله فى نفسه وماله ، فقال صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الرَّجُلُ هذَا وَلَيْسَ به ، قالوا : فمَن يا رسول الله خيرُ الناس ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : فَقِيرٌ يُعْطِى جُهْدَهُ » . وفى الخبر المشهور : « تَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِى الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِخَمْسِ مِئَةِ عامٍ » . ورُوى أن عيسى عليه السلام مر برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ، ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءة ، فقال : يا رب عبدك هذا فى الدنيا ضائع ، فأوحى الله تعالى إليه : يا عيسى أما علمت أنى إذا نظرت إلى عبدى بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ لى حَبِيبَيْنِ اثْنَيْنِ ، فَمَنْ أحبَّهُما فَقَدْ أحبَّنِى ، وَمَنْ أبْغَضَهُما فَقَدْ أبْغَضَنِى : الفَقْرُ وَالجهادُ » . ورُوى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ تعالى يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ : أتُحِب أنْ أجْعَلَ لَكَ هذِهِ الجبالَ ذَهَبا وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُما كُنْتَ ؟ فأطْرَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ساعةً ثم قال : ياجِبْرِيلُ



Marfat.com

إنَّ الدنيا دَارُ مَن لادَارَ لَهُ ، وَمالُ مَنْ لامَالَ لَهُ ، وَيَجْمَعُهُما مَن لاعَقْلَ لَهُ ، فقال جبريل : يا مُحَمَّد ثَبَّتَكَ اللهُ بالقَوْلِ الثَّابِتِ » وروى أن عيسى عليه السلام مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فأيقظه فقال : يا نائم قم فاذكر الله ، فقال : ما تريد منى إنى قد تركت الدنيا لأهلها فقال له : فنم إذًا حبيبى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطَّلَعْتُ فى الجنَّةِ فَرَأيْتُ أكثَرَ أهلِها الفُقَرَاءَ ، واطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأيْتُ أكثَرَ أهلِها الأغنِياءَ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « يا مَعْشَرَ الفُقَراءِ أُعْطُوا اللهَ الرِّضَا مِنَ قُلُوبكُمْ تَظْفَرُوا بالثَّوَابِ لِفَقْرِكُمْ وَإلا فَلا » . وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام : اطلبنى عند المنكسر قلوبهم ، قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون ، فإذًا للفقراء فضيلة قد نطقت بها الأخبار والآثار ، ولا بأس بالاكتساب من المال . وقال صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافا » . وبعد الكفاف ما زاد عليه فهو منقصة ، وإمساكه يوجب نقصان الدرجة كما نطقت الأخبار .

## فصل

اعلم أن الأخبار دلت على تحريم السؤال ، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ سَألَ عَنْ ظَهْرِ غِنى فإنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ » . وقد ورد أيضا ما يدل على الرخصة فى السؤال ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « للسَّائِلِ حَقٌّ وَإنْ جاءَ على فَرَسٍ » ، ولولا أنه جائز لما كان له حق البتة ، فاذًا السؤال إنما يرخص فيه بقدر الضرورة والحاجة ، وما زاد على ذلك فلا سبيل إلى الرخصة فيه .

## بيان أحوال السائلين

كان بشر يقول : الفقراء ثلاثة : فقير لايسأل وإن أعطى أخذ ، فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس . وفقير يسأل عند حاجته ، فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين . فتبين بهذا حال الفقراء الخمس التى شرحناها فى صدر هذا الباب ، وأن السؤال وإن كان عن ضرورة أو حاجة ، فلا بدّ وأن ينقص من الدرجة . وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق بن إبراهيم حين قدم عليه من خراسان : كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال : تركتهم إن أعطوا شكروا ، وإن منعوا صبروا ، وظنّ أنه لما وصفهم من ترك السؤال قد أثنى عليهم عند إبراهيم فقال له إبراهيم : هكذا تركت كلاب بلخ ، قال له شقيق : كيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق ؟ فقال الفقراء عندنا : إن منعوا شكروا ، وإن أعطوا أثروا ، فقبل رأسه ، وقال : صدقت يا أستاذ . واعلم أنه قد يعرض من الأحوال لبعض الأشخاص مايكون السؤال فى حقه فضيلة زائدة على تركه ، وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا الحسن النورى يمدّ يده ويسأل الناس فى بعض المواطن ، قال : فعظم عندى ، فذكرته للجنيد فقال : فلايعظم هذا عليك ، فإن النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم ، وإنما سألهم ليثيبهم فى الآخرة فيؤجروا من حيث لايضرّه ، وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « يَدُ المُعْطِى هِىَ العُلْيا » . فقال بعضهم : يد المعطى هى يد الآخذ للمال ، لأنه يعطى الثواب والقدر له لالما يأخذه ، ثم قال الجنيد رضى الله عنه : هات الميزان ، فوزن مئة درهم ، ثم قبض قبضة فألقاها على المئة الموزونة ، ثم قال : احملها إليه ، فقلت فى نفسى : إنما يوزن الشىء ليعرف مقداره ، فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم ، واستحييت أن أسأله ، فذهبت بالصرة

Marfat.com

إلى النورى . فقال : هات الميزان ، فوزن مئة . وقال : ردّها عليه وقل له : أنا لاأقبل منك أنت شيئا . وأخذ مازاد على المئة ، قال : فزاد تعجبى . قال : فسألته ، فقال الجنيد : رجل حكيم أحبّ أن يأخذ الحبل بطرفيه ، وزن المئة لنفسه طلبا لثواب الآخرة ، وطرح عليها قبضة بلاوزن لله عزّ وجلّ ، فأخذت ما كان لله عزّ وجلّ ، ورددت ما جعله له ، قال : فرددتها إلى الجنيد ، فبكى ثم قال : أخذ ماله ورد مالنا ، فالله المستعان ، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم ، وكيف أخلصوا لله تعالى أعمالهم ، حتى شاهد كلّ واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان .

الشطر الثانى : الزهد ، وحقيقة الزهد أن يرغب عن شيء ، ويعدل إلى غيره ، فمن ترك فضول الدنيا ورغب عنها ورغب فى الآخرة فهو زاهد فى الدنيا . وأعلى درجات الزهد أن ترغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى عن الآخرة . والزهد لابد له من علم أن الآخرة خير من الدنيا ، وعمل صادر عن حال هو تمام الرغبة فى الآخرة ، والعمل تسليم الثمن بحفظ القلب والجوارح عما يناقض هذا البيع . ويدل على فضيلة الزهد جميع الآيات والأخبار الواردة . قال تعالى ( إِنَّا جَعَلْنَا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ) . وقال تعالى ( مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فى حَرْثِهِ ، وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَما لَهُ فى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ) . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الدُّنْيا شَتَّتَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيا إِلاَّ ما كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الآخِرَةُ جَمَعَ اللهُ لَهُ هَمَّهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ غِناهُ فِى قَلْبِهِ ، وأَتَتْهُ الدُّنْيا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » . وقال صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

« إذَا رأيْتُمُ العبْدَ قَدْ أُوتِىَ صَمْتا وَزُهْدًا فِى الدُّنيا ، فاقربُوا مِنهُ فإنَّهُ يُلقى الحِكْمَةَ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنْ أرَدْتَ أنْ يُحِبَّكَ اللهُ ، فازْهَدْ فِى الدنيا يُحِبُّكَ اللهُ » . ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا مؤمن حقا ، قال : «وَما حَقيقَةُ إيمانِكَ ؟ فقال : عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها ، وكأنى بالجنَّة والنار وكأنى بعرش ربى بارزًا ، فقال صلى الله عليه وسلم : عَرَفْتَ فالزَمْ عَبْدٌ نوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ بالإيمانِ » . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ) ، وفى قوله تعالى ( فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ ) ، وقيل : ما هذا الشَّرح ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّ النُّورَ إذَا دَخَلَ القَلْبَ انْشَرَحَ لَهُ الصَّدْرُ فانْفَتَحَ ، قيلَ : يا رَسُولَ اللهِ ، وَهَلْ لذلكَ عَلامَةٌ ؟ قال : نَعَمْ التَّجافِى عَنْ دَارِ الغُرُورِ ، والإنابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ ، والاستِعْدادُ للمَوْت قَبْلَ نُزُولِهِ » . وقال جابر رضى الله عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مَنْ جاءَ بلا إلهَ إلاَّ اللهُ لا يَخْلِطُ معَها غَيْرَها دَخَلَ الجَنَّةَ ، فقال علىّ رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما لا يَخْلِطُ بها غَيْرَها فسِّره لنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : حُبُّ الدنيا طَلَبا لَهَا واتِّباعا لَهَا ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ قَوْلَ الأنْبياءِ ، ويَعْمَلُونَ أعْمالَ الجَبابِرَةِ ، فَمَنْ جاءَ بلا إلهَ إلاَّ اللهُ لَيْسَ فيها شَىْءٌ مِنْ هَذَا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ » .

وفى الخبر : « السَّخاءُ مِنَ اليَقِينِ ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ مُوقِنٌ . والبُخْلُ مِنَ الشَّكِّ ، وَلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ شَكَّ » .

## بيان درجات الزهد وله ثلاث درجات

الأولى : أن يتكلف الزهد فى الدنيا ، ويجاهد نفسه فى تركها مع اشتهائها . فهذا متزهد ، ولعله يديم فيصل إلى الزهد . الثانية : أن يزهد فى الدنيا طوعا لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ماطمع فيه ، كالذى يترك درهما لأجل درهمين . وهذا لايشقّ عليه . ولكنه لايخلو عن ملاحظة ماتركه وملاحظة حالة نفسه . وهى الزهد ، وهذا أيضا فيه نُقصان . الثالثة ، وهى العليا : هى أن يزهد طوعا ويزهد فى زُهده ، إذ لايرى أنه ترك شيئا لمعرفته بأن الدنيا لاشىء . فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة ، فلا يرى ذلك معاوضة ، والدنيا بالنسبة إلى الآخرة لانسبة بينهما ، قال أبويزيد رضى الله عنه لأبى موسى عبدالرحمن : فى أىّ شىء تتكلم ؟ قال : فى الزهد ، قال : فى أىّ شىء ؟ قال : فى الدنيا . فنفض يده ، فقال : ظننت أنه يتكلم فى شىء ، الدنيا لاشىء يزهد فيه ، ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة ، وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات ، مثل من منعه عن باب الملك كلب ، فألقى إليه لقمة من الخبز فشغله بنفسه ودخل الباب ، ونال القُرب عند الملك حتى أنفذ أمره فى جميع مملكته ، أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه فى مقابلة ماناله ، والشيطان كلب على باب الملك ، وهو الله تعالى ، يمنع الناس من الدخول ، مع أن الباب مفتوح ، والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذّتها فى الحال ، وتفنى على قُرب بالابتلاع ، ثم تبقى ثقيلة فى المعدة ثم تنتهى إلى النتن ، وتحتاج إلى إخراج الثفل ؛ فمن تركها لينال عند الملك قُربا كيف يلتفت إليها ، ونسبة الدنيا ، أعنى ما يسلم لكلّ واحد منها بالنسبة إلى الآخرة أقلّ من لقمة بالإضافة إلى مُلك الدنيا ، إذ لانسبة لمتناه إلى مالانهاية

لله ، والدنيا متناهية على القُرب ولو تمادت ألف ألف سنة صافية عن الكدورات ، فمصيرها إلى الزّوال ، فاذا عرفت هذا فاعلم أن أعلى الدرجات أن تزهد فيما سوى الله تعالى طلبا لوجهه ، وذلك بمعرفته بلذّته وعلوّ رتبته ، فلا تأخذ من المطعم والملبس والمنكح والمسكن ، وكلّ ما أنت محتاج إليه إلا قدر الضرورة الذى به قوام بدنك ، وما تقدر به على المُدافعة ، هذا هو الزهد الحقيقى ، والله أعلم .

## الباب الخامس والثلاثون

### فى التوحيد والتوكل

أما التوكل ففضيلته تُعرف بالآيات والأخبار . قال الله تعالى ( وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) ، وقال تعالى ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) ، وقال تعالى ( إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ ) . وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن مسعود : « رأيْتُ الأُمَمَ فى المَوْسِمِ فرأيْتُ أُمَّتِي قَدْ مَلَئُوا السَّهْلَ والجَبَلَ ، فأعْجَبَنِي كَثْرَتُهُمْ وَهَيْئَتُهُمْ فَقِيلَ لى : أرَضِيتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : وَمَعَ هَؤُلاءِ سَبْعُونَ ألْفا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسابٍ ، قِيلَ : مَنْ هُمْ ؟ قال : الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فقام عكاشة فقال : يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ، فقام آخرُ فقال : ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ تَعالى حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِماصًا وتَرُوحُ بِطانا »

ولما قرأ الخوّاص رضى الله تعالى عنه قوله تعالى ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَىِّ الَّذِى لاَيَمُوتُ ) إلى آخر الآية ، قال : لاينبغى للعبد بعد هذه أن يلتجئ إلى أحد غير الله تعالى .

## فصل : فى بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل ، ودرجاته

فاعلم أن معنى التوحيد الذى هو أصل التوكل ما يترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، والإيمان بالقُدرة التى يترجمها قولك : له الملك والإيمان بالجود والحكمة التى يدلّ عليها قولك : وله الحمد ، فمن غلب معه هذه الجملة على قلبه صار متوكلا .

وأصل ذلك التوحيد ، وله أربع مراتب : فهو ينقسم إلى لبّ ، وإلى لب اللبّ ، وإلى قشر ، وإلى قشرِ القشر كالجوز . الأول : الإيمان بالقول المحض قشر القشر ، وهو إيمان المنافقين والعياذ بالله . الثانى : التصديق بمعنى الكلمة وهو إيمان عموم المسلمين . الثالث : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف ، و مقام المقرّبين ، وذلك بأن يرى أسبابا كثيرة ، ولكن مع كثرتها صدرت الواحد القهّار . الرابع : أن لايرى إلا واحدا ، وهومشاهدة الصدّيقين وتس الصوفية الفناء فى التوحيد ، فلا يرى نفسه لكون باطنه مستغرقا بالواحد الحق وهو المراد بقول أبى يزيد: أنسانى ذكر نفسى . فالأوّل : هو الإيمان باللس وحده ، ولا ينفع إلا فى دفع السيف وعصمة المال والدم ، لقوله ع الصلاة والسلام : « فإذا قالُوها عَصَمُوا مِنّى دِماءَهُمْ وأمْوَالَهُمْ » . والثانى : موحد ، بمعنى أن يعتقد بقلبه معنى الكلمة خاليا عن شكّ فيه ولكن لاانشراح فى باطنه ، فهذه الحالة تحفظ صاحبها من العذاب فى الآخرة

إن توفى عليها ، ولم يضعفها بالمواظبة على المعاصى ، ولهذا العقد تتطرّق حيلة المُبتدع بالنقص ، وحيلة المتكلم بدفع النقص . الثالث : موحد ، بمعنى أنه انشرح له الصدر فلم يشاهد إلا واحدا وإن كثرت الأسباب ، فعلم أن مصدرها من الواحد الحق . والرابع : موحد ، بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده وقلبه إلا الواحد الحق ، وفنى عن الوسائط وعن نفسه ، وهذه الحالة هى العليا وهى كالدهن اللب من الجوز مثلا ، ولا كلام فى هذه الحالة الرابعة ، بل الكلام فى الثالث ، وهو الذى يرى الواحد الحق ، ويرى الكل واحداً لصدوره من الواحد الحق ، وعند هذا يقول : من لم يشرق على قلبه نور الله المراد بقوله تعالى ( أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ) كيف يرى الكلّ واحدا وهو يرى تعدّد الأسباب من السموات والأرض ، ويرى الأعداد الكثيرة . واعلم أن كشف هذه الأسرار لايمكن ، إذ قال بعض العارفين : إفشاء سرّ الربوبية كفر ، ولكن نورد ما يسكن به استبعادك ، وهو أن الشيء يكون كثيرا باعتبار وقليلا باعتبار ، كالانسان من حيث أجزاؤه كثير ، ومن حيث أنه شخص واحد يراه واحداً لاعدد فيه . فكذلك كلّ ما فى الوجود من الخالق والمخلوق ، له اعتبارات كثيرة ، وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ، ومثال الإنسان وإن كان لايطابق ، لكنه ينبه على أن الشيء قد يكون باعتبار مّا كثيرا ، وباعتبار ما واحدا ، وإلى هذا أشار الحسين بن منصور ، حيث رأى الخوّاص يبعد فى الأسفار ، فقال فيما ذا أنت؟ قال : أبعد فى الأسفار لأصحح حالى فى التوكل ، قال الحسين : قد أفنيت عمرك فى عمران باطنك ، فأين أنت من الفناء فى التوحيد ، فالخواص فى مقام الثالث ، فطالبه بالعبور إلى الرابع . فإن قلت : فاشرح لنا الحالة الثالثة إن كنت لا تشرح الرابعة ، فأقول : ذلك بأن تعلم أنه لا خالق إلا الله تعالى ، وأنه لاتتحرك

Marfat.com

ذرّة فى السموات والأرض إلا بإذن الله تعالى ، وأنه لافقر ، ولا غنى ولا موت ولا حياة إلا باذن الله تعالى ، وأنه مخترع الكلّ ، فمن شاهد هذا وعلم أنه لاإله إلا هو استغنى عما سواه ، ولا ينظر إلى شيء ، إذ الكلّ مسخّر تحت قُدرته ، وهذا كما أن الملك إذا وقع منه العفو ، فلم ينظر إلى القلم والكاغد والشكر لهما ، بل نظر إلى الكاتب وهو الملك فشكره ، ومن ينظر سوى الله تعالى من الأسباب ، فهو كمن ينظر إلى القلم ويشكره والكاغد والمداد والموحد الذى ذكرناه هو الذى أدهشه جمال الملك عن أن يشاهد القلم ، أو أن يخطر بباله وجود القلم والمداد ، بل لايراه ولا يذكره . فإن قلت : هذا فى الجمادات المسخّرات قد فهمته ، ولكن كيف أفهم ذلك فى الإنسان المختار للخير والعفو والإعطاء والمنع ، وكيف لى بحوالة فعله على الأصل . فأقول : عند هذا زلّ فيه أقدام الأكثرين إلا عباد الله المخلصين الذين لاسُلطان عليهم للشياطين ، فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخّرًا مضطرًا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم فى يد الكاتب مسخّرا ، وإن غلط الضعفاء فى ذلك كغلط نملة على كاغد يكتب عليه قصر بصرها عن إدراك الكاتب ، فأبصرت القلم وأحالت الكتابة عليه ، وهذا كبصر الضعفاء والذين أمدّهم الله تعالى بتوفيقه ، وشرح صدورهم بنوره شاهدوا ما فوق ذلك ، إذ قد أنطق الله فى حقهم كلّ ذرّة فى السموات والأرض بقُدرته التى أنطق بها كلّ شىء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله ، وشهادتها على أنفسها بالعجز بلسان طلق تكلمهم بلا صوت ولاحرف لايسمعه الذين هم عن السمع معزولون ، فلكل ذرّة فى العالم مع أرباب القلوب مناجاة ، وذلك من سرّ كلام الله تعالى الذى لانهاية له ، كما قال تعالى ( قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى ) الآية ، فهذا أبداً يناجى أرباب القلوب بأسرار الملكوت ، ولكن إفشاء سر

...ؤم ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار ، وهل رأيت قطّ أمينا على سرّ الملك ...ادى على ملأ من الأشهاد بسرّه ، ولو جاز إفشاء كلّ سرّ ، لما قال عليه ...الصلاة والسلام : « لَوْ عَلِمْتُمْ ماأعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَليلاً ولَبَكَيْتُمْ ...كَثيرًا » بل كان يذكر لهم ذلك حتى لايضحكون بل يبكون ، ولما نهى ...عن إفشاء سرّ القدر ، ولما قال : « إذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأمْسِكُوا ، ...إذَا ذُكِرَ القَضَاءُ فأمْسِكُوا » ، ولما خصّ حُذيفة رضى الله عنه ببعض ...أسراره ، ونحن نودع بعض ماكنا فيه مثالا فلعلك تفهمه ، فنقول : قال ...بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ، ...قال وَجهك أسود وما السبب فيه ؟ فقال الكاغد : ما أنصفتنى فى هذه ...المقالة ، فانى ما سوّدت وجهى بنفسى ، ولكن سل الحبر ، فانه كان مجموعا ...فى المحبرة ، فسافر من وطنه ونزل بساحة وجهى ظلما وعُدوانا ، فقال : ...صدقت ، فسأل الحبر عن ذلك ، فقال الحبر : ما أنصفتنى ، فإنى كنت ...ساكنا فى قعر المحبرة ، عازما على أن لاأبرح ، فاعتدى علىّ القلم واختطفنى ...من وطنى ، وفرّق جمعى ، وبدّدنى على ساحة بيضاء كما ترانى ه فالسؤال ...عليه لاعلىّ ، قال : صدقت ؛ ثم سأل القلم عن السبب فى ظلمه وعدوانه ...وإخراجه الحبر من أوطانه ؟ قال : اسأل اليد والأصابع ، فانى كنت قصبا نابتا ...على شطّ الأنهار متنزّها بين خضرة الأشجار ، فجاءتنى اليد بسكين ، فنحت ...عنى القشر ، واقتلعتنى من أصلى ، وفرّقت بين أنابيبى ، ثم برتنى وشقّت ...رأسى وغمرتنى فى سواد الحبر ، وهى التى تستخدمنى وتمشينى على قمة رأسى ...فلقد نثرت الملح على جرحى بسؤالك وعتابك ، فتنحّ عنى وسل من قهرنى ، ...فقال : صدقت ؛ ثم سأل اليد عن ظلمها للقلم ، فقالت : ما أنا إلا لحم ودم ...وعصب وعظم ، وهل رأيت جسدًا يتحرّك بنفسه ، وإنما أنا مركب مسخر

ركبني فارس يقال له القدرة والقوّة ، فهي التي تردني وتجول بي في نواح الأرض ، أما ترى المدر والحجر والشجر لايتعدّى شيء منها عن مكانه وما يتحرّك بنفسه إذا لم يركبه مثل هذا الفارس القويّ القاهر ، أما ترى أيد الموتى مساوية لهؤلاء في الصورة ، ثم هي لاتتحرّك ، ولا معاملة بينها وبين الق وأنا أيضا ، من حيث أنا لامعاملة بيني وبين القلم ، فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزعجني من ركبني ، فقال : صدقت ، ثم سأل القدرة عن شأ في استعمالها اليد واستخدامها ، فقالت : دع عنك لومي ومعاتبتي ، فكم م لائم ملوم ، وكم من ملوم لاذنب له ، فكيف خفي عليك أمري ، وكيف ظننت أني ظلمت اليد وقد كنت راكبة لها قبل التحريك ، وما كنت أحر ولا أستسخرها ، بل كنت هادئا ساكنا ظنّ الظانون بي أني ميّت أو معدوم لأني كنت ما أحرّك ولا أتحرّك ، حتى جاءني موكل فأزعجني وأرهقني إ ما تراه مني ، فكانت لي قوّة على مساعدته ، ولم يكن لي قوّة على مخالفته وهذا الموكل يسمى إرادة ولا أعرفه إلا باسمه وبهجومه وخياله ، إذ أزعج من غمرة النوم ، وأرهقني إلى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأي فقال : صدقت ، ثم سأل الإرادة ما الذي جرأك على القُدرة الساكنة المطم حتى صرفتيها إلى التحريك تصريفا لم تجد عنه مخلصا ؟ فقالت الإرادة : لاتع عليّ فلعلّ لنا عذرًا وأنت تلوم ، فإني ما انهضت بنفسي ، ولكني أُنهض وما انبعثت ولكني بُعثت بحكم قاهر وأمر جازم ، ولقد كنت ساكنة ق مجيئه ، ولكن ورد عليّ من حضرة القلب رسول العلم على لسان الع بالإشخاص للقدرة ، فأشخصتها باضطرار ، فأنا مسكينة مسخرة تحت العلم والعقل ، ولا أدرى لأيّ سبب سخرت له وألزمت طاعته ، لكني أد أني في دعة وسكون ما لم يرد عليّ هذا الوارد وهذا الحاكم العادل أوالظا

قد وقفت عليه وقفا ، وألزمت طاعته إلزاما ، بل لا يبقى لى معه مهما جزم بحكمه طاقة فى المخالفة لعمرى ما دام هو فى التردّد مع نفسه ، والتحير فى حكمه فأنا ساكنة ، لكن مع استشعار وانتظار لحكمه ، فإذا انجزم حكمه انزعجت بالطبع وقهر تحت طاعته ، وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه ، فاسأل العلم عن شأنى ، فإنى كما قال القائل :

مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحـــلون همُ

قال صدقت ؛ فأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا إياهم على استنهاض الإرادة وتسخيرها لاستنهاض القُدرة ، فقال العقل : أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ، ولكنى شعلت ؛ وقال القلب : أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ، ولكن بسطت ؛ وقال العلم : أما أنا فنقش نُقشت فى بياض اللوح الذى هو القلب لما أشرق سراج العقل ، وما تخططت بنفسى ، فكم كان هذا اللوح خاليا عنى ، فاسأل القلم عنى ، فان الخط لايكون إلا بالقلم ، فعند هذا تتعتع السائل ولم ينفعه جوابه ، وقال : طال تعبى فى هذا الطريق ، وكثرت منازلى ، ولا يزال يحيلنى من طعمت فيه على غيره ، ولكن كنت أطيب نفسى بكثرة التردّد لما كنت أسمع كلاما مقبولا فى الفؤاد ، وعذرًا ظاهرا فى دفع السؤال ، فأما قولك : إنى خطّ ونقش ، وإنما خطنى قلم ، فلست أفهمه ، فانى لا أعلم قلما إلا من القصب ، ولا لوحا إلا من الحديد أو الخشب ، ولا خطا إلا بالحبر ، ولا سراجا إلا من النار ، وإنى لأسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ، ولا أشاهد منه شيئا ، أسمع جعجعة ولا أرى طحنا فقال له العلم : إن صدقت فيما قلت ، فبضاعتك مزجاة ، وزادك قليل ، ومركبك ضعيف ، والمهالك فى الطريق الذى توجّهت إليه كثيرة ، فالصواب لك أن تتصرّف وتدع ما أنت فيه ؛ فما هذا بعشك ، فادرج عنه ، فكلّ

مُيَسَّر لما خُلق له ، وإن كنت راغبا فى استنهام الطريق إلى المقصد ، فال
سمعك وأنت شهيد . واعلم أن العوالم فى طريقك هذا ثلاثة : عالم المل
والشهادة أوّلها ، ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم . وق
جاوزت تلك المنازل على سهولة . والثانى : عالم الملكوت وهو وراءه ، فا
جاوزته وانتهيت إلى منازله وفيه المهامه الفسيحة ، والجبال الشاهقة ، والبح
المغرقة ، ولا أدرى كيف تسلم فيها . والثالث : عالم الجبروت ، وهو بين عا
المُلك وعالم المَلكوت ، ولقد قطعت منها ثلاثة منازل ، إذ فى أوائلها منز
القُدرة والإرادة والعلم ، وهو واسطة بين عالم المُلك والملكوت ، لأن ع
المُلك أسهل منه طريقا ، وعالم المَلكوت أوعر منه منهجا ، وإنما عالم الجبرو
بين عالم الملك وعالم الملكوت يُشبه السفينة التى بين الأرض والماء ، فلا ه
فى حدّ اضطراب الماء ، ولا هى فى حدّ سكون الأرض وثباتها ؛ فكل م
يمشى على الأرض فى عالم الملك والشهادة ، فان جاوزت قوّته إلى أن يقوى ع
ركوب السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت ، فان انتهى إلى أن يمشى ع
الماء من غير سفينة ، مشى فى عالم المَلكوت من غير تتعتع تعب ، فان كن
لاتقدر على المشى على الماء فانصرف ، فقد جاوزت الأرض وخلفت السف
ولم يبق إلا الماء الصافى ، وأوّل عالم الملكوت مشاهدة القلم الذى يكتب به ال
وحصول اليقين الذى يمشى به على الماء ، أما سمعت قول رسول الله ص
الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام : « لَوِ ازْدَادَ يَقِينا لَمَشَى عَلَى الهَوَا
لما قيل له : كان يمشى على الماء ، فقال السالك السائل : قد تحيرت فى أمر
واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ، ولست أدرى أطيق ق
هذه المهامه التى وصفتها أم لا ؟ فهل لذلك من علامة ؟ فقال : نعم ، اف
بصرك واجمع ضوء عينيك واصرفه نحوى ، فان ظهر لك القلم الذى به أك

Marfat.com

فى لوح القلب ، فيشبه أن تكون أهلا لذلك الطريق ، فان كلّ من جاوز عالم الجبروت ، وقرع أوّل باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى أن النبيّ أوّل ما كوشف بالقلم ، ونزل عليه قوله تعالى ( اقْرأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بالقَلَمِ ، عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ) ، فقال السالك : لقد فتحت بصرى وحدقته ، والله ما أرى قصبا ولا خشبا ، ولا أعلم قلما إلا كذلك ، فقال العلم : لقد أبعدت النجعة ، أما سمعت أن متاع البيت يشبه ربّ البيت ، أما علمت أن الله تعالى لاتُشبه ذاته سائر الذوات ، فكذلك لاتُشبه يده سائر الأيدى ، ولا قلمه سائر الأقلام ، ولا كلامه سائر الكلام ، ولا خطه سائر الخطوط ، وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت ، فليس الله فى ذاته بجسم ، ولا هو فى مكان بخلاف غيره ، ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدى ، ولا قلمه من قصب ، ولا لوحه من خشب ، ولا كلامه بصوت وحرف ، ولا خطه رقم ورسم ، ولا حبره زاج ولا عفص ، وإن كنت لاتشاهد هذا هكذا ، فما أراك إلا مخنثا بين فحولة التنزيه ، وأنوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فكيف نزّهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام ، وكيف نزّهت كلامه عن معانى الحروف والأصوات ، وأخذت تتوقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه ، فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِهِ » الصورة الظاهرة المدركة بالبصر ، فكن مشبها مطلقا ، كما يقال : كن يهوديا صرفا ، وإلا فلا تلعب بالتوراة ، وإن فهمت منه الصورة الباطنة التى تُدرك بالبصائر لا بالأبصار ، فكن منزّها صرفا ومقدّسا محلا ، واطو الطريق فانك بالوادى المقدّس طُوى. واسمع بصر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ، ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى عليه السلام ( إنّى أنا رَبُّكَ ) ، فلما سمع

Marfat.com

السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه ، وأنه يخنث فى التشبيه والتنزيه . فاشتعل قلبه نارا من حدّة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ، ولقد كان زيته الذى فى مشكاة قلبه كاد يضىء ولو لم تمسسه نار ؛ فلما نفخ فيه العلم بحدّته اشتعل زيته ، فأصبح نورًا على نور ، فقال العلم : اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك ، فلعلك تجد على النار هدى ، ففتح بصره ، فانكشف له القلم الإلهى ، وإنه كما وصفه العلم فى التنزيه ، لا هو خشب ولا قصب . ولا له رأس ولا ذنب ، وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كلهم أصناف العلوم ، وكان له فى كلّ قلب رأس ولا رأس له ، فقضى منه العجَب ، فقال نِعْم الرّفيق العلم ، جزاه الله عنى خيرا ، إذ الآن ظهر لى صدق إنبائه عن أوصاف القلم ، فانى أراه قلما لا كالأقلام ، وعند هذا ودّع العلم وشكره .

وقال : طال مقامى عندك ومراداتى لك ، وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم فأسأله عن شأنه ، فسافر إليْه وقال : ما بالك تخطّ على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادة إلى أشخاص القدرة وصرفها إلى المقدورات . فقال : لقد نسيت ما رأيت فى عالم الغيب والشهادة ، وسمعته فى جواب القلم . إذ سألته ، فأحالك على اليد : فقال لا ، قال : فجوابى مثل جوابه ، قال : فكيف وأنت لا تشبهه ؟ قال القلم : أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال : نعم ، قال : فسل عن شأنى الملقَّب بيمين الملك ، فانى فى قبضته هو الذى يرددنى وأنا مقهور ومسخَّر ، ولا فرق بين القلم الإلهى وقلم الآدمى فى معنى التسخير ، وإنما الفرق فى ظاهر الصورة ، فقال : فما يمين الملك قال القلم : أما سمعت قوله تعالى ( وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ) قال : نعم ، قال : فالأقلام أيضا فى قبضة يمينه ، هو الذى يرددّها ، فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ، ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم

Marfat.com

ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه ، بل لاتحوى مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه . والجملة فيه إنه يمين لا كالأيمان ، ويد لا كالأيدى ، وأصبع لا كالأصابع ، فرأى القلم محركا فى قبضته ، فظهر له عذر القلم ، فسأل اليمين عن شأنها وتحريكها للقلم ، فقالت : جوابى ما سمعته من اليمين التى رأيتها فى عالم الشهادة وهى الحوالة على القُدرة ، إذ اليد لاحكم لها فى نفسها ، وإنما تحرّكها القُدرة لامحالة ، فسار إلى عالم القدرة ، ورأى فيها من العجائب ما استحقر فيها ما قبله ، وسألها عن تحريك اليمين ، فقالت : إنما أنا صفة فاسأل القادر ، إذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات ، وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال ، فثبت بالقول الثابت ، ونودى من وراء سرادقات الحضرة (لايُسألُ عمَّا يَفعَلُ وَهُمْ يُسألُونَ) ، فغشيته هيبة الحضرة ، فخرّ صعقا يضطرب فى غشيته مدة ، فلما أفاق قال : سبحانك ما أعظم شأنك تبت إليك ، وتوكلت عليك ، وآمنت بأنك الملك الجبّار الواحد القهار ، فلا أخاف غيرك ، ولا أرجو سواك ، ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك ، وبرضاك من سخطك ، ونرجع إلى الغرض ، ونبين معنى التوكل ، فنقول : التوكل هو اعتماد القلب على الوكيل وحده للعلم بأنه لايخرج شئ عن علمه وقدرته ، وأن غيره لايقدر على ضرّه ونفعه ، كما سبق .

## بيان ما قاله الشيوخ فى التوكل

قال أبو موسى الديلى : قلت لأبى يزيد : ما التوكل ؟ فقال : ما تقول أنت ؟ قلت : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرّك لذلك سرّك ، فقال أبو يزيد : نعم هذا قريب ، لكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعّمون ، وأهل النار فى النار يعذّبون ، ثم وقع لك تمييز بينهما

خرجت من جملة التوكل . وسُئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل ، فقال : التعلق بالله فى كلّ حال ، فقال السائل : زدنى ، فقال : ترك كلّ سبب لايوصل إلى الله .

## فصل : فى بيان درجات التوكل ، وله ثلاث درجات

أولها : يكون وثوقه به كوثوقه بوكيل قد عرف صدقه وأمانته وعنايته وهدايته وشفقته . وثانيها : أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل فى حقّ أمه ، فإنه لايعرف غيرها ، ولا يفزع فى الأمور إلا إليها ، فهى أوّل خاطر له فيما يخطر بباله ، وهذا المقام يقتضى ترك الدعاء والسؤال لغير الله تعالى ثقة بكرمه وشفقته . وثالثها : مثل صفرة المريض قد تدوم وقد تزول ، فإن قلت : فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب ، فاعلم أن المقام الثالث ينفى التدبير رأسا مادام باقيا على تلك الحالة ، والمقام الثانى ينفى التدبير ، إلا من حيث الفزع إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال كالطفل الذى لايدعو إلا أمه .

## بيان أعمال المتوكلين

وقد ظنّ الظانون أن المتوكل ينبغى أن يكون كلحم على وضم . وهذا غلط ، ونحن نبين ذلك فنقول : تلك الأعمال تنقسم إلى جلب النافع وحفظه ، ودفع الضارّ وقطعه . أما جلب النافع فمنقسم إلى ما جرت به سنة الله تعالى فلا يعهد خلافه كمضغ الطعام الموضوع بين يديك ، أو حمله إلى الفم ، فإن تركه حمق وجنون . وأما ما يجرى مجرى الغالب حتى يعد حصوله دون ذلك بعيدا كالذى يفارق الأمصار والقوافل ، ويسافر فى البوادى التى لايطرقها الناس إلا على الندور من غير زاد ، فهذا ليس شرطا فى التوكل ، ولكن إن فعل ذلك

Marfat.com

من غير استصحاب الزاد ، فذلك أعلى درجات المتوكلين . وأما ما لايفضى إلى المقصود إلا على الندور كدقيق التدبير فى تفاصيل الاكتساب ، فذلك يُبطل التوكل بالكلية . المقام الثانى : أن يقعد فى بيته أو فى مسجده فى بعض القُرى أو الأمصار ، فهذا من التوكل بكونه تاركا للكسب ، ولكنه أضعف من الأوّل لتعرّضه بمجرّد حاله لتعهد الناس ، وجلوسه فى موضع يتعهده الناس . والمقام الثالث : أن يكتسب على السنة كما سبق فى باب الكسب ، وقد قيل : إن هذا لايخرجه عن التوكل ، ولكنه أضعف المقامات ، ولكنه من شرطه أن يكون اتكاله على بضاعته ، وعلامته أن لايخزن بالسرقة وضياع ماله .

## بيان توكل المعيل

اعلم أن المعيل لايصحّ توكله فى حق عياله ، لأنه إنما يصحّ توكله بأمور : القُدرة على الإمساك عن الطعام مثلا أسبوعا ، وأن يرضى بالموت إن لم يأته رزقه وأمور أخر ، وهذا لايتصوّر فى حقّ العيال فلا بدّ له من الكسب لهم كما نقل عن الصديق رضى الله عنه ، إذ خرج إلى الكسب لعياله ، وهذا هو المقام الثالث الذى ذكرناه ، فادّخار الطعام سنة منقول بسبب العيال ، فأما من ليس له عيال ، وظهر له مال بإرث مثلا ، أو سبب من الأسباب ، فأعلى الدرجات أن يأخذ قدر الحاجة فى الوقت ، ويفرّق الباقى ولا يدّخره لغد . الثانية : أن يدّخر لأربعين يوما فما دونها . وقد اختلفوا فى أن هذا هل يخرجه من التوكل ، وهل يوجب حرمانه من الدرجة الموعودة للمتوكلين . الثالثة : أن يدّخر لشهر أو لسنة ، وهذا يوجب الحرمان من درجة المتوكلين ، فقد قيل : لايدخر من الحيوانات إلا ثلاث : الفأرة ، والنملة ، وابن آدم . الفنّ الآخر أن يدفع الضرر عن نفسه ، أو يحترز بأن يهرب من الجدار المائل

والمسبعة والسقف المنكسر ، وذلك لايبطل التوكل ، بل كل ذلك منقول . وهذه الأسباب تنقسم إلى موهوم ومظنون ومقطوع ، فالموهوم لابدّ من تركه كالرقية وما يُشبهها ، ولم يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين إلا بترك الرقية والكيّ والطيرة ، ولم يصفهم بأنهم لايلبسون ما يدفع البرد نعم إذا أمكنه أن يصبر على أذى الغير واحتماله ، فهو من شروط التوكل ، إذ قال تعالى ( وَدَعْ أذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ) ، وعلى هذا القياس ترك التداوى فى بعض الأحوال ، فذلك أيضًا منقول ، وذلك بحسب قوّة مقام المتوكل .

## الباب السادس والثلاثون

### فى المحبة والشوق والرضا

اعلم أن المحبة لله هى الغاية القُصوَى ، وهى من الدرجات العُلى ، وما عداها من الشوق والأنس والرضا تابع للمحبة ، وقد أنكر بعض من أحرمه الله هذه اللذّة] وإمكانها ، ونحن نبين ذلك بالآيات والأخبار ، قال الله تعالى ( وَالَّذِينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبًّا لِلهِ ) ، وقوله تعالى ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) . وفى الحديث : « لايُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ أهْلِهِ وَمَالِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ » . وفى الخبر المشهور أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت حين جاءه ليقبض روحه : هَلْ رأيْتَ خَلِيلاً يُمِيتُ خَلِيلَهُ ، فأوحى الله تعالى إليه : فَهَلْ رأيْتَ حَبِيباً يَكْرَهُ لِقَاءَ حَبِيبِهِ ؟ فقال : يا مَلَكَ المَوْتِ الآنَ اقْبِضْ رُوحِي . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ ما يُقَرِّبُنِي إلى حُبِّكَ ، اجْعَلْ نَفْسَكَ أحَبَّ إلىَّ مِنَ المَا

البارد » . وقال أعرابيّ : « يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال : وَما الّذِي أعْدَدْتَ لَهَا ؟ قال : ما أعددت لها كثرة صيام ، ولا صلاة ، إلا أنى أحبّ الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم له : المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ» ، قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام ، فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من ذاق خالص محبة الله ورسوله شغله ذلك عن طلب الدنيا ، وأوحشه عن جميع البشر .

## فصل : فى بيان معنى المحبة

وهو أن يميل الطبع إليه لكونه لذيذًا عنده ، والبُغض ضده وهو نُفرة الطبع لكونه غير موافق له ، وكل ما زادت لذته كان أبلغ فى الحب . فلذة العين فى الإبصار ، ولذّة السمع فى السماع ، ولذة الشم فى المشمومات الطيبة ، وكذا كلّ واحد من الحواسّ له موافق يلتذّ به فيحبه بسببه . وقال عليه الصلاة والسلام : « حُبِّبَ إلىَّ مِنْ دُنْياكُمْ ثَلاثٌ : الطِّيبُ ، والنِّساءُ ، وقُرَّةُ عَيْنِي فى الصَّلاةِ » . بين أن وراء المحسوس بالحواسّ الخمس محبوبا ملتذًا به ، إذ ليست الصلاة مما يلتذّ به شيء من الحواسّ الخمس ، فإذًا البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشدّ إدراكا من العين ، وجمال المعانى المُدركة بالعقل أعظم وأتمّ من جمال الصور الظاهرة ، فلا محالة تكون لذّة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التى تجلّ عن أن تدركها الحواسّ أتمّ وأبلغ ، فيكون ميل الطبع السليم إليه أبلغ وأقوى ، ولا معنى للحبّ إلا الميل إلى ما فى إدراكه لذّة ، فلا يُنكر هذه اللذّة إلا من قعد به القصور فى درجة البهائم ، فلم يجاوز إدراك الحواسّ أصلا . واعلم أن أحبّ الأشياء إلى الإنسان دوام نفسه ، لأنه أعظم الأشياء ملائمة لنفسه ، فهو محبّ

Marfat.com

لدوام نفسه ، ثم من أحسن إليه ، إذ الإنسان عبد للإحسان ، وقد يحب الشيء لذاته لكونه جميلا حسنا فى نفسه ، وذلك أبلغ أنواع الحبّ الذى لايشوبه غرض ، فإن كل جمال محبوب ، بقى أن المحبوس فى مضيق الخيالات يظنّ أن لاجمال إلا المحسوس أو المتخيل ، فنقول : اعلم أن الحسن الجميل عبارة عن كلّ ماحضر كماله الممكن له ، حتى إنا نعلم أن الفرس يحسُن بما لايحسُن به الآدمىّ ، والخطّ يحسن بما لايحسن به الصوت والصورة ، وكل ذلك محبوب . وإن تخيل متخيل أن ذلك راجع إلى الحس ، فالأخلاق الحسنة والعلم والقدرة والعقل ، كل ذلك حسن ومحبوب ، مع أنه غير محسوس بالحسّ الظاهر ، بل يُدرك بنور البصيرة ، وكذلك حبّ النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه والشافعى وأرباب المذاهب ممكن وهو غير محسوس وغير مُدرك بالحواسّ الخمس بل لما سمع بإجتماع خصال الخير ، وكلّ ما خرج من المحسوس واستحسن فهو مُستحسن بنور البصيرة ؛ وإذا ثبت هذا فلا مستحقّ للمحبة غير الله تعالى إذ هو الخالق والواهب لأصل الفطرة ، ثم هو سبب الدوام والبقاء والسلامة وهو المحسن بكلّ حال ، وهو الجميل الحسن الذى كلّ جمال وحُسن ، أثر من آثار جوده ، فمن أحبّ الأنبياء والصحابة والأئمة لاستجماعهم خصال الخير ، فكل خير منه وإليه ، وله الجمال الذى كل جمال أثر من آثاره ؛ وقد عرفت أن كل جميل محبوب لذاته ، وقد عرفت أيضا أن خاصية الإنسان تمكن من التحلى بالصفات الحميدة حتى قيل : تخلّقوا بأخلاق الله تعالى ، فى باطن الإنسان حقيقة لايلايمها إلا الله تعالى ، فى القلب غريزة تسمى النور الإلهى لقوله تعالى ( أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَبِّهِ ) وهذه الغريزة هى التى تُدرك جمال الحضرة الربوبية بقدر قوته ، فإن كان الجمال محبوبا فهل فى الوجود شىء أجلّ وأعلى وأشرف وأعظم وأكمل من كلّ جمال مستعار من فضله ، فبقدر مايدرك يلتذّ ، وبقدر ما يلتذّ يحب .

## فصـــل

اعلم أن المُدركات تنقسم إلى ما يدخل فى الخيال كالصور ، وإلى ما لايدخل فى الخيال كذات الله تعالى ، وكلّ ما ليس بجسم ولا صورة كالعلم والقدرة والإرادة ، ومن رأى إنسانا ثم غضّ بصره وجد صورته حاضرة فى خياله . وكأنه ينظر إليها ، ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ، ولا ترجع التفرقة إلى خلاف بين الصورتين ، بل إلى مزيد وضوح وكشف فهو كمن يرى شخصا فى وقت الإسفار قبل انتشار ضوء النهار ، ثم رآه فى حال تمام طلوع الشمس ، فإنه لافرق فى الأمرين إلابمزيد الكشف والوضوح ، فإذا عرفت هذا . فاعلم أن سنة الله جارية بأن النفس ما دامت محجوبة بصفاتها الذميمة لاتصل إلى مشاهدة المعانى الخارجة عن عالم الحسّ والخيال ، بل تلك الصفات للنفس كالأجفان المطبقة للعين . فبقدر ما ينمحى من تلك الصفات يزداد كشفا ووضوحا ولذّة وحبا .

## بيان الأسباب المقربة لحب الله تعالى

اعلم أن أسعد الخلق فى الآخرة أقواهم حبا لله تعالى ، إذ الآخرة هى القدوم على الله تعالى ودرك لقائه . وما أعظم نعيم المحبّ إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام النظر من غير مشوّش ولا مزاحم . ولزيادة الحبّ سببان : أحدهما : خلوّ القلب عما سواه ، فإن الإناء كلما خلا عن شىء اتسع لغيره ، وقطع العلائق سببللتجريد والتفريد . وإليه الإشارة بقوله تعالى ( قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ) . والسبب الثانى : هو كمال المعرفة . فالأوّل مثاله تطهير الأرض من الشوك والحشيش . والثانى مثاله وضع البذر فى الأرض

ينمو فيتولد منه شجرة المعرفة ، وهى الكلمة الطيبة ، كما قال تعالى ( أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ) والله أعلم .

## فصل : فى الشوق

وإذا ثبتت المحبة صحّ الشوق إلى المحبوب ، ودلّت عليه الأخبار والآثار ، فقد رُوى أن أبا الدرداء قال لكعب : أخبرنى عن أخصّ آية فى التوراة ، فقال : يقول الله عزّ وجلّ : « طالَ شَوْقُ الأبْرَارِ إلى لِقائى وأنا إلى لِقائِهِمْ أشَدُّ شَوْقا » . قال : ومكتوب فى جنبها : « مَنْ طَلَبَنِى وَجَدَنِى ، وَمَنْ طَلَبَ غيرِى لَمْ يَجِدْنِى ، فقال أبو الدرداء : أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا . وفى أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى قال : ياداود بلّغ أهل أرضى أنِي حبيب لمن أحبنى ، وجليس لمن جالسنى ، ومؤنس لمن أنس بذكرى ، وصاحب لمن صاحبنى ، ومختار لمن اختارنى ، ومطيع لمن أطاعنى ، ما أحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى ، وأحببته حبا لايتقدم عليه أحد من خلقى ، من طلبنى بالحقّ وجدنى ، ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها ، وهلموا إلى كرامتى ومصاحبتى ، وانئسوا بى أونسكم وأسارع إلى محبتكم ، فإنى خلقت طينة أحبابى من طينة إبراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفوتى ، إنى خلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى . ورُوى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصدّيقين : إن لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ، ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم ، ويذكرونى وأذكرهم ، وينظرون إلىّ وأنظر إليهم ، فإن حذوت طريقتهم أحببتك ، وإن عدلت عنهم مقتك ؛ قال : يا ربّ ما علاماتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى

الشفيق غنمه ، ويحنّون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها عند الغروب ، فإذا أجنهم الليل واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الأسرّة ، وخلا كلّ حبيب بحبيبه ، نصبوا لى أقدامهم ، وفرشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى ، وتملّقوا لى بإنعامى مابين صارخ وباك ، ومتأوّ وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد بعينى ما يتحملون من أجلى ، وبسمعى ما يشكون من محبتى ، أوّل ما أعطيهم ثلاث : إحداهنّ : أقذف من نورى فى قلوبهم ، فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات والأرض وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالثة : أقبل بوجهى عليهم ، أفترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه .
فى خبر داود : إن الله تعالى أوحى إليه : ياداود ، إلى كم تذكر الجنة ولا تسألنى الشوق إلىّ ، قال : يا ربّ من المُشتاقون إليك ؟ قال : إن المشتاقين إلىّ صفيّتهم من كلّ كدر ، ونبهتهم بالحذر ، وخرقت من قلوبهم إلىّ خرقا ينظرون إلىّ ، وإنى لأحمل قلوبهم بيدى فأضعها على سمائى ، ثم أدعو نجباء ملائكتى ، فإذا اجتمعوا سجدوا لى ، فأقول : إنى لم أدعكم لتسجدوا لى ، إنما دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلىّ ، وأباهى بأهل الشّوق إلىّ ، وإن قلوبهم لتضىء فى سمائى لملائكتى ، كما تضىء الشمس لأهل الأرض . ياداود إنى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ، ونعمتها بنور وجهى ، فاتخذتهم لنفسى محدثين ، وجعلت أبدانهم موضع نظرى إلى الأرض ، وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلىّ يزدادون فى كلّ يوم شوقا . قال داود : ربّ أرنى أهل محبتك ، فقال : يا داود ائت جبل لبنان ، فإن فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ ، فإذا أتيتهم أقرئهم منى السلام وقل لهم : إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم : ألا تسألون حاجة ،

فإنكم أحبابى وأصفيائى وأوليائى ، أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم ، فأتاهم داود ، فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله تعالى ؛ فلما نظروا إلى داود نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود : إنى رسول الله إليكم ، جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم ، فأقبلوا نحوه ، وألقوا بأسماعهم نحو قوله ، وألقوا أبصارهم إلى الأرض ، فقال داود : إنى رسول الله إليكم ، إن الله يقرئكم السلام ويقول لكم : ألا تسألون حاجة ؟ ألا تنادونى أسمع أصواتكم وكلامكم وأنظر إليكم فى كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة ؟ قال : فجرت دموعهم على خدودهم ، فقال شيخهم : سبحانك سبحانك ، نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا ؛ وقال الآخر : سبحانك سبحانك ، نحن عبيدك وبنو عبيدك ، فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر : سبحانك سبحانك ، نحن عبيدك وبنو عبيدك ، أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لاحاجة لنا فى شىء من أمورنا ، فأدم لنا لزوم الطريق إليك ، وأتمم تلك المنة علينا . وقال الآخر : من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك ، أفيجترئ على الكلام من هو مشغول بعظمتك ، متفكر فى جلالك ، وطلبتنا الدنو من نورك ؛ وقال الآخر : كلّت الألسنة عن دعائك لعظم شأنك ، وقربك من أوليائك ، وكثرة منتك على أهل محبتك ؛ وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك ، وفرغتنا للاشتغال بك ، فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك ؛ وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا ، إنما هى النظر إلى وجهك الكريم وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا ، وتفضّلت به علينا ؛ وقال الآخر : لاحاجة لنا بشىء من خلقك ، فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك الكريم ؛ وقال الآخر : أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر إلى الدنيا وأهلها ، وقلبى عن الاشتغال بالآخرة ؛ وقال الآخر : قد عرفت أنك تباركت

وتعاليت تحبّ أولياءك ، فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كلّ شيء سواك ، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قل لهم : قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم ، فليفارق كلّ واحد منكم صاحبه ، وليتخذ لنفسه سربا ، فإنى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا إلى نورى وجمالى ؛ فقال داود : يا ربّ بم نالوا منك ؟ قال : بحسن الظنّ ، والكفّ عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى ، وإن هذا منزل لايناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها ، وفرغ قلبه إلىّ واختارنى على جميع خلقى ، فعند ذلك أعطف عليه ، وأفرّغ نفسه ، وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه ، حتى ينظر إلىّ نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتى فى كلّ ساعة وأقرّبه من نور وجهى إن مرض مرّضته كما تمرّض الوالدة الشفيقة ولدها ، وإن عطش أرويته ، وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا فعلت ذلك به يا داود أعميت نفسه عن الدنيا وأهلها ، ولم أحببها إليه ، لايفتر عن الاشتغال بى ، يستعجلنى القدوم وأنا أكره أن أميته ، لأنه موقع نظرى من بين خلقى ، لايرى غيرى ولا أرى غيره ؛ فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ، ونحل جسمه ، وتهشمت أعضاؤه ، وانخلع قلبه إذا سمع بذكرى ، أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى ؛ يزداد خوفا وعبادة ، وعزّتى وجلالى ياداود لأقعدنه فى الفردوس ولأشفينّ صدره من النظر إلىّ حتى يرضى وفوق الرضا . وفى أخبار داود أيضا عليه السلام : قل لعبادى المتوجهين إلىّ بمحبتى ما ضرّكم إذا احتجبتم عن خلقى ، ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم ، حتى تنظروا إلىّ بعيون قلوبكم ، وما ضرّكم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت يدى لكم ، وما ضرّكم مسخطة الخلق إذا التمستم رضاى . وفى أخبار داود عليه السلام : إن الله تعالى أوحى إليه : تزعم أنك تحبنى ، فإن كنت تحبنى فأخرج حبّ الدنيا من قلبك ، فإن

Marfat.com

حبي وحبهما لايجتمعان فى قلب . يا داود خالص أهل محبتى مخالصة ، وخالط
أهل الدنيا مخالطة ، ودينك فقلدنيه ، ولا تقلد دينك الرجال . أما ما استبان
لك مما وافق محبتى فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أنى إلى
سياستك وتقويمك ، وأكون قائدك ودليلك ، أعطيك من غير أن تسألنى ،
وأعينك على الشدائد ، فإنى قد حلفت على نفسى أن لاأثيب عبدا إلا عبدا
عرفت من طلبته وإرادته خوف المقام بين يدىّ ، وإنه لاغنى به عنى ، فإذا
كنت كذلك ، نزعت الذلّة والوحشة عنك ، وأسكن الغنى قلبك ، وإنى قد
حلفت على نفسى أنه لايطمئنّ عبد إلى نفسه وينظر إلى أفعالها إلا وكّلته إليها .
وأضف الأشياء إلىّ لاتضارّ عملك فتكون متعنتا ، ولا ينتفع بك من يصحبك
ولا تحدّ لمعرفتى حدّا ، فليس لها غاية ، ومتى طلبت منى الزيادة أعطيتك .
ولا تجد للزيادة منى حدّا ، ثم أعلم بنى إسرائيل أنه ليس بينى وبين أحد من
خلقى نسب ، فلتعظم رغبتهم وإرادتهم فيما عندى أبح لهم ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ضعنى بين عينيك ، وانظر إلى
ببصر قلبك ، ولا تنظر بعينيك إلى الذين حجبت قلوبهم عنى فأمرجوها وسخت
قلوبهم بانقطاع ثوابى عنها ، فإنى حلفت وعزّتى وجلالى لا أفتح ثوابى لعبد
دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف . ياداود تواضع لمن تعلمه ، ولا
تتطاول على المريدين ، فلوعلم أهل محبتى منزلة المريدين عندى لكانوا لهم أرضا
يمشون عليها . يا داود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه منها أحب
إلىّ مما طلعت عليه الشمس فأكتبك عبدا جهيدا ، ومن كتبته عبدا جهيدا
لاتكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين . يا داود تمسك بكلامى ، وخذ من
نفسك لنفسك ، ولا تؤتينّ منها ، فأحجب عنك محبتى ، لاتؤيس عبادى من
رحمتى ، اقطع شهوتك إلىّ ، فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقى ، وما بال

Marfat.com

لأقوياء أن ينالوا الشهوات ، فإنها تنقص مناجاتى ، وإنما عقوبة الأقوياء عندى فى موضع التناول ، وأدنى مايصل إليهم أن أحجب عقولهم عنى ، فإنى لم أرض الدنيا لحبيبى ، ونزّهته عنها . يا داود لاتجعل بينى وبينك عالما أسكره حبّ الدنيا ، فيحجبك بسكره عن محبتى ، أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين ، استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتخمة فى الإفطار فإن محبتى للصوم إدمانه . ياداود تحبّب إلىّ بمعاداة نفسك ومنعها الشهوات أنظر إليك ، وترى الحُجب بينى وبينك مرفوعة ، إنما أوازرك موازرة بتقوى على ثوابى إذا مننت به عليك ، ولن أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتى هذه الأخبار دلّت على إمكان الشوق ، والله أعلم .

## بيان محبة الله تعالى للعبد

فقد دلّت عليها الآيات والآثار ، قال تعالى ( إنَّ اللهَ يحبُّ الّذينَ يقاتِلُونَ فى سَبيلِهِ صَفًّا ) الآية ، وقال تعالى ( إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابينَ ) ، وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذَا أحَبَّ اللهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ ، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كمَنْ لاذَنْبَ لَهُ . ثم تلا ( إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ )» ومعناه : إذا أحبه تاب عليه قبل الموت ، فلم تضرّه الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لايضرّه الكفر الماضى بعد الإسلام . وقد اشترط الله تعالى لمحبته غفران الذنب ، فقال ( يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يُعْطِى الدُّنْيا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لايُحِبُّ ، وَلا يُعْطِى الإيمانَ إلاَّ لِمَنْ يُحِبُّ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ تَواضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ ، وَمَنْ أكْثَرَ ذِكْرَ اللهِ أحَبَّهُ ، فيَكُونُ

Marfat.com

سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ » الحَدِيثَ . وقال زيد بن أسلم : إن الله تعالى ليحبّ العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اعمل ماشئت فقد غفرت لك . وقال عليه الصلاة والسلام : « قالَ اللهُ تَعالى : لايَزَالُ العبْدُ يَتَقَرَّبُ إلىَّ بالنَّوَافلِ حتى أُحِبَّهُ » الحديث . وعلامة حبّ الله تعالى العبد أن يوحشه من غيره ، ويحول بينه وبين جميع أسبابه . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذَا أحَبَّ اللهُ عَبْدًا ابْتَلاهُ ، فإنْ أحَبَّهُ الحُبَّ البالِغَ اقْتَناهُ ، قِيلَ وَما اقْتَناهُ ؟ قال : لَمْ يَتْرُكْ لَهُ مالاً وأهْلاً » . وقيل لعيسى عليه السلام : لِمَ لم تشتر حمارا فتركبه ؟ فقال : أنا أعزّ على الله من أن يشغلنى عن نفسه بحمار . وفى الخبر : « إذَا أحَبَّ اللهُ عَبْدًا ابْتَلاهُ ، فإنْ صَبَرَ اجْتَباهُ . وإنْ رَضِيَ اصْطَفاهُ » . وقالوا : من علامة حبّ العبد لله عزّ وجلّ أن يؤثر ما يحبه على محبوب نفسه . وأن يكثر ذكره فلا يفتر . وتكون الخلوة والمناجاة أحبّ إليه من الاشتغال بغيره .

## بيان فضيلة الرضا

قال الله تعالى ( رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ) . وفى الحديث : « إنَّ اللهَ يَتَجَلَّى للمُؤْمِنِينَ فَيَقُولُ : سَلُونِى ، فَيَقُولُونَ رِضَاكَ » فسؤالهم الرضا بعدالنظر غاية التفضيل. وروى أنه عليه الصلاة والسلام سأل طائفة من أصحابة فقال « ما أنْتُمْ ؟ فقالوا : مؤمنون ، فقال : ما عَلامَةُ إيمانِكُمْ ؟ فقالوا : نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء ، فقال : مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ » . وفى خبر آخر أنه قال : « حُكَماءُ عُلَماءُ كادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أنْ يَكُونُوا أنْبِياءَ » . وقال موسى عليه السلام : يا ربّ دلنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله ، فأوحى الله تعالى إليه

Marfat.com

ضائى فى كرهك ، وأنت لاتصبر على ماتكره ، فقال : يا ربّ دلنى عليه ، ال : فإن رضاى فى رضاك بقضائى . واعلم أن الرضى باب الله تعالى الأعظم ، ن وجد إليه سبيلا فهو أعلى الدرجات والرتب .

## فصـــل

ومما جاء فى حكايات المحبين ، ما حُكى أن أبا تراب النخشبى كان معجباً ض المريدين ، وكان يدنيه ويقوم بمصالحه ، والمريد مشغول بعبادته اجيده ، فقال له أبوتراب يوما : لو رأيت أبا يزيد ، فقال المريد : إنى مشغول ، فلما أكثر عليه أبوتراب من قوله : لو رأيت أبا يزيد ، هاج المريد وقال : ويحك ما أصنع بأبى يزيد وقد رأيت الله تعالى فأغنانى أبى يزيد ، فقال أبوتراب : فهاج طبعى ولم أملك نفسى ، فقلت : ويلك الله تعالى ، لو رأيت أبا يزيد مرّة واحدة ، كان أنفع لك من أن ترى سبعين مرّة ؛ قال : فبهت الفتى من قولى ، وأنكره ؛ قال : وكيف ذلك ؟ له : ويلك إنما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك، ويرى يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره ، فعرف ماقلت ، فقال : احملنى إليه، كر قصة قال فى آخرها : فوقفنا على تلّ ننتظره ليخرج علينا من الغيضة ؛ ان يأوى إلى غيضة فيها سباع ، قال : فمرّ بنا وقد قلب فروة على ظهره ، ت للفتى : هذا أبو يزيد ، فنظر إليه الفتى فصعق صعقة ، فحرّكناه فإذا و ميت ، فتعاونا على دفنه ، فقلت لأبى يزيد : تلميذ نظر إليك قتلته ، ال : لا ، ولكن كان صاحبك صادقا واستكنّ فى قلبه سرّ لم ينكشف له وصفه ؛ فلما رآنا انكشف له سرّ قلبه ، فضاق عن حمله ، لأنه فى مقام ضعفاء المريدين ، فقتله ذلك . وفى الأخبار : أنّ اللهَ تعالى أوْحَى إلى.

بَعْضِ أنْبِيائِهِ : إنَّمَا أتَّخِذُ لِخلَّتِي مَنْ لايَفْتُرُ عَنْ ذِكْرِى ، ولا يَكُونُ لَهُ غيرِى ، وَلا يُؤْثِرُ عَلَىَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِى ، وَإنْ أُحْرِقَ بِالنَّارِ لَمْ يَجِدْ لِحَرْقِ النَّارِ وَجَعًا ، وَإنْ تَقَطَّعَ بِالمَنَاشِيرِ لَمْ يَجِدْ مِنَ الحَدِيدِ أَلَمًا . فمن لم يغلبه الحبّ إلى هذا الحدّ فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات ، وكلّ ذلك وراء الحبّ ، والحبّ وراء الإيمان وفى الحديث « إنَّ لِلهِ تَعالى ثَلاثَ مِئَةِ خُلُقٍ مَنْ لَقِيَهُ بِخُلُقٍ مِنْهُ مَعَ التَّوْحِيدِ دَخَلَ الجَنَّةَ ، فقالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه : هل فى خُلُق منها ؟ فقال : كُلُّها فِيكَ يا أبا بَكْرٍ ، وأحَبُّها إلى الله تَعالى السَّخاء » وقال عليه الصلاة والسلام : « رأيْتُ مِيزَانا دُلِّىَ مِنَ السَّماءِ فَوُضِعْتُ فى كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ أُمَّتِى فى كِفَّةٍ ، فَرَجَحْتُ بِهِمْ ، وَوُضِعَ أبُو بَكْرٍ فى كِفَّةٍ وَجِيءَ بِأُمَّتِى فَوُضِعَتْ فى كِفَّةٍ فَرَجَحَ بِهِمْ » ، ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لا يتسع قلبه للخلّة مع غيره ، ولذلك قال : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ » . وقال الشبلى : الحبّ دهش فى لذّة وحيرة فى تعظيم . وقال : الشوق نار أشعلها الله فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والإرادات والحاجات والعوارض ، فافهم تغنم ، والله أعلم بالصواب .

# الباب السابع والثلاثون
## فى النية والإخلاص والصدق

قال الله تعالى ( وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) ، والمراد بتلك الإرادة النية . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : النَّاسُ أرْبَعَةٌ : رَجُلٌ آتاهُ اللهُ تَعالى عِلْماً وَمالاً فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مالِهِ ، فَيَقُولُ رَجُلٌ : لَوْ آتانِي اللهُ تَعالى مِثْلَ ما آتى فلانا كُنْتُ أعْمَلُ كَمَا عَمِلَ ، فَهُما فِي الأجْرِ سَوَاءٌ » . وفى حديث الأحنف : « إذَا الْتَقَى المُسْلِمانِ بِسَيْفَيْهِما ، فالقاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ ، قِيلَ : يا رَسُولَ اللهِ هذَا القاتِلُ فَمَا بالُ المَقْتُولِ ؟ قال : إنَّهُ أرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ تَطَيَّبَ لِغَيْرِ اللهِ تَعالى جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَرِيحُهُ أنْتَنُ مِنَ الجِيفَةِ ، وَمَنْ تَطَيَّبَ لِلهِ تَعالى جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَرِيحُه أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ » .

### بيان حقيقة النية

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد ، وهو حال وصفة للقلب يكتنفها اقتران علم وعمل العلم له كالتقدمة ، والشرط والعمل يتبعه . فالنية هى عبارة عن الإردة المتوسطة بين العلم السابق والعمل اللاحق ، فيعلم الشيء ، فتنبعث إرادته ليعمل على وفق العلم . وقوله صلى الله عليه وسلم « نِيَّةُ المُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ ، وَنِيَّةُ الفاسِقِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ » : فإن قوبل العمل بلا نية ، والنية بلا عمل ، فلا شكَّ أن النية بلا عمل خير من



Marfat.com

العمل بلا نية ، وإن وزن العمل الذى تقدم عليه النية بتلك النية السابقة ، فالنية أيضا خير ، لأنها هى الإرادة المنبعثة من أصل العلم،وهى أقرب إلى القلب ، فعلى كلّ حال نية المؤمن خير من عمله ، كما نطق به الحديث . أما الأعمال فهى منقسمة إلى المعاصى والطاعات والمباحات ، فما كان فى نفسه معصية لايصير بالنية عبادة . أما الطاعات فلا بدّ فيها من النية ، فلا يصير أصلها طاعة إلا بالنية ، ثم بدوام النية وحُسن النية يضاعف درجة الطاعة ، وربّ فعل هو فعل واحد من حيث العدد ، ويمكن أن يصير بسبب حسن النية عبادات كما لو جلس فى المسجد فنوى زيارة الله سبحانه وتعالى ، كما ورد فى الخبر : « إنَّ مَنْ قَعَدَ فى المَسْجِدِ فَقَدْ زَارَ اللهَ تَعالى ، وَحَقّ عَلى المَزُور أنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ » وَنَوَى انْتِظارَ الصَّلاةِ ، والمُنْتَظِرِ للصَّلاة فى الصَّلاة » ونوى الاعتكاف فى المسجد ، ونوى كفّ الجوارح عن المعاصى والتحصن بالمسجد،ونوى الاستماع إلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكل ذلك خيرات تترادف وتكتسب بالنية . فأما المباحات فتصير عبادات بحُسن النية ، وهذا الفنّ ينبغى أن يقع الاعتناء به ، وفيه تصير جميع الحركات والسكنات عبادات بحسن النية ؛ فيفضى به إلى أن لايضيع من عمره لحظة واحدة ، ويتميز عن البهائم بذلك ، فإن من شأن البهائم الإتيان بما يتفق من غير قصد ونية . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العَبْدَ لَيُسْئَلُ يومَ القِيامَةِ عَنْ كُلّ شَىْء حتى عَنْ كُحْلِ عَيْنَيْهِ ، وَعَنْ فُتاتِ الطِّينِ بأُصْبُعَيْهِ ، وَعَنْ لُبْسِهِ ثَوْبَ أخيهِ ، وَمَنْ حافَظَ على أعْمالِهِ لِتَكُونَ عَلى قَدْرِ النِّيَّةِ ، وَنِيَّةِ الخَيْرِ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ » . وقال الله تعالى ( ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ) . وقال بعض السلف : كتبت كتابا فأردت أن أتربه من منزل جار لى ، فتحرجت

Marfat.com

ثم قلت : تراب وما تراب فتربته ، فهتف بى هاتف : سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غداً من سوء الحساب . وصلى رجل مع الثورىّ فرآه منقلب الثوب ، فعرّفه فمدّ يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوّه ، فسأله عن ذلك ، قال : إنى لبسته لله ، ولا أريد أن أسوّيه لغير الله . وقال الحسن : إن الرجل ليتعلق بالجار يوم القيامة ، فيقول : بينى وبينك الله ، فيقول : والله ما أعرفك ، فيقول : بلى ، أنت أخذت لبنة من حائطى وأخذت خيطا من ثوبى .

## بيان أن النية لاتدخل تحت الاختيار

فنقول : ربما سمع الجاهل كلامنا فى النية ، فيقول : أنا أنوى أن أدرس ، أو أتجر لله ، أو آكل لله ، وهيهات هيهات ، إنما ذلك حديث نفس انتقال من خاطر إلى خاطر ، والنية بمعزل عن ذلك ، وإنما النية انبعاث النفس وميلها إلى ما ظهر لها من الغرض المطلوب المهمّ له ، إما عاجلا أو آجلا ، والميل ما لم يكن فى الباطن لايمكن اكتسابه واختراعه بالكسب والتكلف ، بل ذلك يرجع حاصله إلى نقل خاطر من شىء إلى شىء ، كما يقول الشبعان : نويت أن أجوع أو آكل بسبب الجوع ، أو يقول الفارغ : نويت أن أعشق فلانا ، أو أحبّ أو أحترم وليس ذلك فى باطنه فهو محال ، فما لم يتقدّم سبب ذلك لايتصوّر انبعاث النفس ، إذ الانبعاث إجابة للداعية والغرض الباعث ، وهذا مثاله النكاح ، فإن من غلبت الشهوة عليه وأراد النكاح ثم أراد أن يتكلّف نية الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه ، ونية الولد الصالح ، فذلك لايتأتى ، لأنه ليس فى باطنه هذه البواعث ، بل فى باطنه الشهوة فحسب . وقد نُقل عن بعض السلف التأخر عن جملة من القربات لتخلف النية ، حتى أن ابن سيرين تخلّف عن الصلاة على الحسن البصرى ، فقال : ليس يحضرنى

Marfat.com

نية . ومات حماد بن سليمان ، وكان من أعيان علماء الكوفة ، فقيل للثورى : ألا تشهد جنازته ، فقال : لو كانت لى نية لفعلت . وكان طاوس لايحدّث إلا بنية ، فكان يسئل أن يحدّث فلا يحدث ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أتحبون أن أحدث بغير نية ، إذا حضرت لى نية فعلت . وقيل لطاوس : ادع لنا ، فقال : حتى أجد له نية .

## فصل : فى الإخلاص

قال الله تعالى (وَما أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ، وقال تعالى (ألا لله الدِّينُ الخالِصُ) ، وقال عليه الصلاة والسلام « يَقُولُ اللهُ تَعالى : الإخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّى اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أحْبَبْتُهُ مِنْ عِبادِى . وكانَ فِى بَنِى إسْرَائِيلَ رَجُلٌ عابِدٌ كانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعالى دَهْرًا طَوِيلاً ، فجاءَهُ قَوْمٌ فقالُوا : إنَّ هَهُنا قَوْمًا يَعْبُدُونَ شَجَرَةً مِنْ دُونِ اللهِ تَعالى ، فغَضِبَ لذلكَ ، فأخَذَ فأْسَهُ عَلى عاتِقِهِ وقَصَدَ الشَّجَرَةَ لِيَقْطَعَها ، فاسْتَقْبَلَهُ إبْلِيسُ فِى صُورَةِ شَيْخٍ ، فَقالَ أيْنَ تُرِيدُ ؟ قال : أُرِيدُ أنْ أقْطَعَ هذهِ الشَّجَرَةَ فَقالَ : وَما أنْتَ وَذاكَ ؟ تَرَكْتَ عِبادَتَكَ واشْتِغالَكَ بنَفْسِكَ وَتَفرَّغْتَ لغَيْر ذلكَ ، قال : إنَّ هذَا مِنْ عِبادَتِى ، قال : إنِّى لأتْرُكُكَ أنْ تَقْطَعَها ، فقاتَلَهُ ، فأخَذَهُ العابِدُ وطَرَحَهُ عَلى الأرْضِ وقَعَدَ عَلى صَدْرِهِ ، فقالَ إبْلِيسُ أطْلِقْنِى حتى أُكَلِّمَكَ فقامَ عَنْهُ وقالَ لَهُ إبْلِيسُ : يا هذَا إنَّ اللهَ تَعالى قَدْ أسْقَطَ عَنْكَ هذَا ولَمْ يَفْرِضْهُ عَلَيْكَ ، أنْتَ ما تَعْبُدُها ، وَما عَلَيْكَ مِنْ غيرِكَ ، ولِلهِ تَعالى أنْبِياءُ فِى الأرْضِ ، وَلَوْ شاءَ لَبَعَثَهُمْ إلى أهْلِها

Marfat.com

أمرَهُمْ بقطعِها ؛ فقالَ العابدُ لابُدَّ لى مِنْ قَطْعِها ، فقاتَلَهُ الشيْطانُ فغلبَهُ العابدُ وصرَعَهُ وقعَدَ علَى صَدْرِهِ ، فعجزَ إبليسُ ، فقالَ لهُ : هَلْ لكَ فِى أمْرٍ يفْصِلُ بيْنِى وبيْنَكَ وهُوَ خيرٌ لكَ وأنفعُ ؟ قالَ : وَما هُوَ ، قالَ : أطلِقْنِى حتى أقُولَ لكَ ، فأطلَقَهُ ، فقالَ إبليسُ : أنتَ رَجُلٌ فقيرٌ لاشىْءَ لكَ ، إنَّما أنتَ كَلٌّ علَى النَّاسِ يعولُونَكَ ، ولعلَّكَ تُحِبُّ أنْ تتفضَّلَ علَى إخوانِكَ ، وتُواسِيَ جيرانَكَ ، وتشبعَ وتستغنِيَ عنِ النَّاسِ ؟ قالَ نعَمْ ، قالَ : فارْجِعْ عنْ هذَا الأمْرِ ، ولكَ علَىَّ أنْ أجعَلَ عِنْدَ رأسِكَ كُلَّ ليلَةٍ دِينارَيْنِ إذَا أصبَحْتَ أخذْتَهُما ، فأنفقْتَ على نفسِكَ وعيالِكَ ، وتصدَّقْتَ على إخوانِكَ ، ويكُونُ ذلكَ أنفعَ لكَ وللمُسلمينَ مِنْ قطْعِ هذِهِ الشَّجرَةِ التى يغرِسُ مكانَها ولا يضُرُّهُمْ قطعُها ، ولا ينفعُ إخوانَكَ المسلمينَ قطعُ هذِهِ الشجرَةِ ، فتفكَّرَ العابدُ فيما قالَ ، وقالَ : صدَقَ الشيْخُ ؛ لستُ نبيًّا فيلزَمُنِى قطعُ هذِهِ الشَّجرَةِ ، ولا أمرَنِى اللهُ تعالى أنْ أقطعَها فأكونَ عاصيا بتركِها ، وما ذكرَهُ أكثَرُ منفعَةً ، فعاهدَهُ علَى الوفاءِ بذلكَ ، وحلَفَ لهُ ، فرَجعَ العابدُ إلى متعبَّدِهِ فلمَّا أصبحَ رأى دينارَيْنِ عِندَ رأسِهِ ، فأخذَهُما ، وكذلكَ الغدَ ، ثمَّ أصبحَ اليومَ الثَّالِثَ ومابعدَهُ فلَمْ يرَ شيئًا ، فغضِبَ وأخذَ فأسَهُ على عاتقِهِ ، فاستقبلَهُ إبليسُ فى صُورَةِ الشيْخِ ، فقالَ : إلى أيْنَ ؟ فقالَ : أقطعُ تلكَ الشَّجرَةَ ، فقالَ : كذبْتَ واللهِ ما أنتَ بقادِرٍ علَيْها ، ولا سبيلَ لكَ إليْها ، قالَ : فتناولَهُ العابدُ ليأخُذَهُ كما فعلَ أوَّلَ مرَّةٍ ، فقالَ هيهاتَ ، فأخذَهُ إبليسُ وصرَعَهُ ،

Marfat.com

فإذا هُوَ كالعُصفُورِ بينَ يديهِ ، وَقعدَ إبليسُ على صدرِهِ وقالَ : لتنتهِينَّ عنْ هذا الأمرِ وإلاّ قتلتُكَ ، فنظرَ العابدُ فإذا لا طاقةَ لهُ بهِ ، فقالَ : يا هذا غلبتني ، خلِّ عنِّي وأخبرْني كيفَ غلبتُكَ أوّلَ مرّةٍ وغلبتَني الآنَ ؟ فقالَ : لأنّكَ غضبتَ أوّلَ مرّةٍ للهِ تعالى ، وكانتْ نيّتُكَ الآخرةَ ، فسخّرني اللهُ تعالى لكَ وهذهِ المرّةُ غضبتَ لنفسِكَ والدُّنيا فصرعتُكَ » . وهذه الحكاية تصديق لقوله تعالى ( إلاّ عبادَكَ منهمُ المُخلَصينَ ) وكان معروف يضرب نفسه ويقول : يا نفس أخلصى تخلُصى .

## بيان حقيقة الإخلاص

اعلم أن كل شيء يتصوّر أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وتخلص عنه سُمّى خالصا ، ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصا ، قال الله تعالى ( مِنْ بينِ فرثٍ ودمٍ لبَنا خالصًا سائغا للشّاربينَ ) ، فإذا خلص الفعل عن الرياء ، وكان لله تعالى ، كان خالصا .

## بيان أقاويل المشايخ فى الإخلاص

قال السوسى : الإخلاص : فقد رؤية الإخلاص ، لأن من شاهد فى إخلاصه الإخلاص ، احتاج إخلاصه إلى إخلاص . وقيل لسهل : أى شيء أشدّ على النفس ؟ فقال : الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب . وقال : الإخلاص : سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة . وقال الجنيد : الإخلاص تصفية الأعمال من الكدرات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيه الله تعالى عنهما . وقيل : الإخلاص : دوام المراقبة ، ونسيان الحظوظ كلها ، والله أعلم .

Marfat.com

## بيان حقيقة الصدق

قال الله تعالى ( رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ) وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ ، والبِرُّ يَهْدِي إلى الجنَّةِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقا ، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابا » ، وقال تعالى فى معرض المدح ( وَاذْكُرْ فِى الكِتابِ إبْراهِيمَ إنَّهُ كانَ صِدِّيقا نَبِيًّا ) .

## بيان معنى الصديق

اعلم أن لفظ الصدق مستعمل فى ستة مواضع : صدق فى القول ، وصدق فى النية والإرادة ، وصدق فى العزم ، وصدق فى الوفاء بالعزم ، وصدق فى العلم ، وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق ، لأنه مبالغة من الصدق ، وبقدر مايتمكن من هذه المقامات فهو صادق بالنسبة إليه ؛ والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

# الباب الثامن والثلاثون

## فى المراقبة والمحاسبة

اعلم أن الإيمان بالحساب يوم العرض الأكبر يوجب تعجيل المحاسبة والاستعداد . قال عليه الصلاة والسلام : « حاسِبُوا أنْفُسَكُمْ قَبْلَ أنْ تُحاسَبُوا » ، وقال الله تعالى ( وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ ،

Marfat.com

فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وكَفَى بِنا حاسِبِينَ ) . وقال تعالى ( مالِ هذَا الكِتابِ لايُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاَّ أَحْصَاها ) ، وقال تعالى ( وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فاحْذَرُوهُ ) . واعلم أن من حاسب نفسه على اللحظات والخطرات ، خفت فى القيامة حسراته ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته ، وكثرت فى عرصات القيامة وقفاته ، وقال تعالى ( يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرَابِطُوا ) فرابطوا أنفسكم أولا بالمشارطة ، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدة ، ثم بالمعاينة ، فهذه ست مقامات ونحن نشرح ذلك :

المقام الأول : المشارطة . اعلم أن العقل هو التاجر فى طريق الآخرة . وشريكه النفس ، إذ بمعاونتها يصل إلى المقصود ، وهذا الشريك لايؤدى الأمانة إن خلى ورأيه إلا حياء ورياء ، فيحتاج العقل إلى مشارطته أولا ومراقبته ومعاقبته بعد ذلك ، فيوظف عليه الأمر ، ويشرط عليه الشروط ، ويرشده إلى طريق الفلاح ، ويجزم عليه الأمر .

المقام الثانى : المراقبة ، لأنه إذا كانت النفس كالشريك الخائن فلا سبيل إلى إهمالها لحظة لئلا تخون ، فيفسد رأس المال فضلا عن الربح ، فإذا لابد من المراقبة على الدوام فى السكنات والحركات واللحظات ، قال عليه الصلاة والسلام : « اعْبُدِ اللهَ تَعالى كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ » ، وقال تعالى ( إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا ) . وقال المرتعش المراقبة : مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة .

المقام الثالث : محاسبة النفس بعد العمل ، قال الله تعالى ( وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ ) . وفى الخبر : ينبغى أن يكون للعاقل أر

Marfat.com

ساعات ، منها ساعة يحاسب فيها نفسه . وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرّة إذا جنح الليل ، ويقول لنفسه : ماذا عملتِ ؟ فقد علمت بهذا أنه ينبغى لك أن تحاسب نفسك فى آخر النهار على عمل اليوم .

المقام الرابع : المعاقبة . وذلك بأن يظهر تقصير النفس فى الطاعات أو ارتكابها المعاصى بعد الحساب ، فلا ينبغى أن يهمل ، لأنه إن أهملها سهل عليها الرجوع إلى مثلها ، فإذا ظهر منها أكل لقمة بشبهة ، فليعاقبها بالجوع ، وإذا نظرتْ إلى غير محرم فليعاقبها بمنع النظر ومنع النوم ، وكذا يعاقب كلّ طرف من أطرافه إذا طغى بمنع شهوته ، كذلك نقل عن سالكى طريق الآخرة .

المقام الخامس : المجاهدة . وذلك بأن تظهر خيانتها فيعاقبها ، فلعلها تحتمل ولا تطيع فيجاهدها ، ويحملها على المجاهدات الشاقة ، مثلا لو توانى فى صلاة الجماعة أو عن الإتيان بنافلة ، فيلزمها إحياء ليلة ، وإن أبت فعلاجها أن تتلو على نفسك ما ورد من الأخبار والآيات فى فضل المجاهدة .

المقام السادس : المعاتبة . اعلم أن أعدى عدوّك نفسك التى بين جنبيك ؛ قد خُلقت أمّارة بالسوء ، ميّالة إلى الشرّ ، فرّارة من الخير ، وأنت مأمور بمجاهدتها ، وحملها على عبادة ربك بالقهر ، وتزكيتها بالعبادات ، وترك الشهوات ، فإن أهملتها شردت وجمحت واستولت عليك ، فلا تظفر بها بعد ذلك ، وإن أدمت توبيخها ومعاتبتها ربما أذعنت وترقّت إلى أن صارت لوّامة وإن ترقّت عن اللوّامة صارت مطمئنة ، فتدخل فى عباد الله راضية مرضية ؛ فلا تغفلنّ عنها ساعة ، ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تفرغ عنها ، قال الله تعالى لعيسى عليه السلام : « يا ابْنَ مَرْيَمَ عِظْ نَفْسَكَ ، فإن اتَّعَظْتَ فَعِظِ النَّاسَ ، وَإلاَّ فاسْتَحْيِ مِنِّى » . وقال تعالى ( وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ ) فعليك أن تقبل على نفسك ، وتقرّر عليها حماقتها وجهلها ،

واغترارها وتقول لها : أما تستحين أن تنسبي الناس إلى الحمق والجهل ، وأنت أجهل الناس ، فإنك صائرة إلى الجنة أو إلى النار ، فمالك تشتغلين باللهو والضحك وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم ، فلعلك ترين الموت بعيدا ، وهو قريب ، ولعله يكون اليوم أو الليلة أو غدا ، وكلّ ما هو آت قريب ، أما علمت أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم .

وحُكي أن منصور بن عمار قال : سمعت في بعض الليالي عابدا بالكوفة يناجي ربه ويقول : يا ربّ وعزّتك ما أردتُ بمعصيتك مخالفتك ، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرّض ، ولا لنظرك مستخف ولكن سوّلت لي نفسي ، وأعانني على ذلك شقوتي ، وغرّني سترك المرخىّ على فعصيتك بجهلي ، وخالفتك بفعلي ، فمن عذابك الآن من يستنقذني ؟ أو بحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني ؟ واسوأتاه من الوقوف بين يديك ، إذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، أمع المخفين أجوز ، أم مع المثقلين أحط ؟ ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ، ويلي كلما طال عمري كثرت معاصيّ ، فإلى متى أتوب ، وإلى متى أعود ؟ أما آن لي أن أستحي من ربي . فإذن لك طريقان : طريق في معاتبة النفس ، وطريق في مناجاة الربّ تعالى وتقدّس ، والاستعانة به عليها ، والتبرّي من الحول والقوّة والتضرّع والاستكانة بين يديه ، لعله بفضله يكفيك شرّها ، والله أعلم .

## الباب التاسع والثلاثون

### في التفكر

قد ورد في السنة : أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، والحثّ على التفكر والتدبر والنظر والاعتبار معلوم من الآيات والأخبار ، إذ هو مفتاح

الأنوار ومبدأ الاستبصار وشبكة العلوم . أما فضيلته ، فقد قال تعالى فى معرض المدح : ( وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ) . وقال ابن عباس إن قوما تفكّروا فى الله عزّ وجلّ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ الله ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ ، فإنَّكُمْ لَنْ تَقْدُرُوا قَدْرَهُ » . وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم « أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكّرون ، فقال : ما لَكُمْ لاتَتَكَلَّمُونَ ؟ قالوا : نتفكر فى خلق الله تعالى ، قال : فكَذلكَ فافْعَلُوا ، تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِهِ وَلا تَتَفَكَّرُوا فيهِ ، فإنَّ بِهذَا المَغْرِبِ أرْضًا بَيْضَاءَ ، نُورُها بَيَاضُها ، أوْبَيَاضُها نُورُها ، مَسِيرَةُ الشَّمْسِ أرْبَعِينَ يَوْما بِها خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعالى ، لَمْ يَعْصُوا اللهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، قالوا : يا رسول الله ، فأين الشيطان منهم ؟ قال : ما يَدْرُونَ خُلِقَ الشَّيْطَانُ أمْ لا ؟ قالُوا : مِنْ وَلَدِ آدَمَ ؟ قال : لايَدْرُونَ خُلِقَ آدَمُ أمْ لا ؟ » . وعن عطاء قال : انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها ، وبيننا وبينهما حجاب ، فقال : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : « زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا » . قال ابن عمير : حدثينا بأعجب مارأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكت ، وقالت : كلّ أمره كان عجبا ، أتانى فى ليلتى حتى مسّ جلده جلدى ، فقال : ذَرِينِي أصلّ لربى ، فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى ، فبكى حتى بلّ لحيته ، ثم سجد حتى بلّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال : يا رسول الله وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال : ويحك يا بلالُ ، وَمَا يَمْنَعُنِي أنْ أبْكِيَ وَقَدْ أنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ ( إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ

Marfat.com

لآياتٍ لأُولى الألْبابِ) ، ثم قال : وَيْلٌ لِمَنْ قَرأها ولَمْ يتَفكَّرْ فيها » . قيل للأوزاعى : ما غاية التفكر فيهن ؟ قال : يقرؤهن ويعقلهن . قال الجنيد رضى الله عنه : أشرف المجالس وأغلاها ، الجلوس مع الفكر فى ميدان التوحيد ، والتنسم بنسيم المعرفة ، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد ، والنظر بحسن الظن بالله تعالى ، ثم قال : يا لها من مجالس ما أجلّها ، ومن شراب ما ألذّه ، طوبى لمن رزقه .

## بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم أن الفكر هو إحضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ، ومثاله أن يعرف أن الآخرة خير وأبقى ، وما كان خيرا وأبقى كان بالاختيار أحرى ، والغرض من التفكر تحصيل العلم فى قلبه ، فيوجب ذلك حالا وفعلا بهما نجاته ، وهما من ثمرات العلم ، والعلم ثمرة التفكُّر .

## بيان مجارى الفكر

اعلم أن العبد تارة ينظر فى حال نفسه ويتفكر فيها كما سبق ، وتارة فى كتاب الله تعالى وفى صفاته وأفعاله . أما التفكُّر فى ذات الله تعالى فلا سبيل إليه إلا بمجرّد الذكر . وأما التفكُّر فى صفاته وأفعاله وملكه وملكوته ، فبقدر ما يتفكَّر فى ملكه وملكوته وصفاته يزداد حبه لانكشاف جماله ، وذلك بتدبره فى معانى أسمائه وصفاته ، والتفكُّر فى السموات والأرض والكواكب ، وكلّ شىء سوى الله تعالى ، فإنه خلقه وصنعه ، قال الله تعالى ( سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ) الآية ، وقال الله تعالى ( وفِى أنفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ ) ؟ فمجارى التفكر نفسك ، ثم جميع خلق الله تعالى ، فافهم تغنم ، والله أعلم .

Marfat.com

# الباب الأربعون

## فى ذكر الموت وما بعده

قال الله تعالى (قُلْ إنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فإنَّهُ مُلاقِيكُمْ) فمن الناس من لايذكر الموت إلا على الندور ، وإذا ذكره كرهه لانهماكه فى الدنيا ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعدا . ومن الناس من أقبل بوجهه على الله تعالى ، فتاب عما لاينبغى ، فذكر الموت يزيده خشية وتأهبا واستعدادا ووفاء بتمام التوبة ، فهذا لايكره الموت لانهماكه فى الدنيا ، وإنما يكرهه لقلة زاده وعدم استعداده ، فهذه الكراهية للقاء الله تعالى ، بل هو غير مذموم ، فإنه يريد الحياة للتأهب والاستعداد ، وبودّه لو كفى ماهو فيه فيفضى به الموت إلى لقاء الله تعالى وجواره الكريم . وأما العارف فإنه يذكر الموت دائما ، لكونه موعدا للقاء الحبيب ، والمحبّ لاينسى قطّ موعد حبيبه ، فمثل هذا العبد يستبطئ مجىء الموت ، كما رُوى عن حُذيفة رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب : جاء على فاقة ، لاأفلح من ندم ، اللهمّ إن كنت تعلم أن الفقر أحبّ إلىّ من الغنى ، والسقم أحبّ إلىّ من الصحة ، والموت أحبّ إلىّ من الحياة ، فسهّل علىّ الموت حتى ألقاك . وأعلى الرتب أن يفوّض أمره إلى الله تعالى ، فلا يختار لنفسه موتا ولاحياة ، وقد انتهى المحبّ به إلى مقام التسليم ، فلا يختار لنفسه شيئا إلا ما يختاره له مولاه .

### بيان فضل ذكر الموت

قال صلى الله عليه وسلم : « أكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هاذِمِ اللّذّاتِ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لَوْ أنَّ البَهائِمَ تَعْلَمُ مِنَ المَوْتِ ما تعلَمونَ

Marfat.com

ماأكلتم منها سمينا » . وقالت عائشة رضى الله عنها : « يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال : نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « تحفة المؤمن الموت » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كفى بالموت واعظا » . وخرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى المسجد ، وإذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال : « اذكروا الموت ، أما والذى نفسى بيده لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » .

واعلم أن الموت أمر هائل عظيم ، والتفكر فيه يوجب التجافى عن دار الغرور وقلة السرور والتأهب له ، نعم الإنسان إذا ذكره بقلب مشغول لايظهر أثره فيه ، فالسبيل فيه أن يفرغ قلبه عما عداه ، ويتفكر فيه كما يتفكر فى سفره الذى عزم عليه فى بر أو بحر ، فإنه يكون الغالب على قلبه التفكر فيه والاستعداد له لاغير .

## فضيلة قصر الأمل وذم طوله

قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فإنك يا عبد الله ما تدرى ما اسمك غدا » . وروى على رضى الله عنه ، أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى وطول الأمل . أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ؛ وأما طول الأمل فإنه يوجب الحب للدنيا ، ثم قال : ألا إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض ، وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ، أ

إن للدين أبناء وللدنيا أبناء ، فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا إن الدنيا قد ارتحلت وهي مولية ، ألا وإن الآخرة قد جاءت وهي مقبلة ، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وإنكم توشكون أن تصيروا في يوم حساب ليس فيه عمل » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس ، أما تستحون من الله تعالى ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : تجمعون مالا تأكلون ، وتؤملون ما لا تدركون ، وتبنون ما لا تسكنون » . قال أبوسعيد الخدري : اشترى أسامة بن زيد وليدة بمئة دينار إلى شهر ، فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر ، إن أسامة لطويل الأمل ، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ، ثم قال : يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده ، إن ما توعدون لآت ، وما أنتم بمعجزين » . وروى ابن عباس « أنه كان يخرج عليه الصلاة والسلام يهريق الماء فيتمسح بالتراب ، فأقول له : يا رسول الله إن الماء منك قريب ، فيقول : ما يدريني لعلي لا أبلغه » . وروى أنه عليه الصلاة والسلام « أخذ ثلاثة أعواد ، فغرس عودا بين يديه ، والآخر إلى جنبه ، وأما الثالث فأبعده ، فقال : هل تدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا الإنسان ، وهذا الأجل وذلك الأمل يتعاطاه ابن آدم ، ويختلجه الأجل دون الأمل » .

Marfat.com

## فصل : فى سكرات الموت وما يستحب عنده من الأحوال

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى ابن آدم هول سوى سكرات الموت لكان جديرا بأن لا يهنأ له عيشٌ ،وحقيقا بأن يطول فيه تأمله وفكرته، ويحسُن له استعداده وتأهبه ، كما قال بعض الحكماء رحمه الله تعالى : كرب بيد سواك لاتدرى متى يغشاك . وقال لقمان لابنه : يابنىّ ، أمر لاتدرى متى يلقاك ، استعدّ له قبل أن يفجأك . والعجب أن الإنسان لو كان يتوقّع أن يدخل عليه جندىّ فيضربه خمس خشبات لتنغّص عيشه ، وهو فى كلّ نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت كيف لايتنغّص عيشه .

واعلم أن شدّة الألم فى سكرات الموت لايعرفها إلا من ذاقها ، ومن لم يذقها فإنما يعرفها بالقياس على الآلام التى أدركها ، أو بالاستدلال بأحوال الموتى إذا شاهدها . أما القياس فبأن يعلم أن الآلام إنما يصل إلى الروح منها شيء قليل . وأما الموت فهو ألم فى نفس الروح وشدّته فى جميع الأعضاء ، فهو أعظمه من ألم ، ألا ترى النار إذا باشرت الجسد بالإحراق يزيد على الجرح ألمه لأنه يلقى سائر أجزاء الروح ، وإنما انقطع صياحه وصوته مع شدّة ألمه ، لأن الكرب فيه قد تصاعد إلى قلبه ، واستغرق جميع أعضائه ، فهدّ منه كلّ عضو وقوّة ، ولم يبق له قوّة الاستغاثة . أما العقل فقد غشيه وشوّشه ؛ وأما اللسان فقد أبكمه ؛ وأما الأطراف فقد أضعفها ، ويودّ لوقدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ، ولكنه لايقدر على ذلك ، فإن بقيت فيه بقيّة قوّة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارًا وغرغرة فى حلقه وصدره ، وقد تغير لونه واربدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته ، فتنزع الروح من كلّ عرق من عروقه على حياله ، ثم يموت كلّ عضو من أعضائه تدريجا

Marfat.com

تبرد أولا قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذاه ، ولكل عضو سكرة وحسرة على
إياها حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ،
يغلق دونه باب التوبة . وقال عليه الصلاة والسلام : « تُقْبَلُ تَوْبَةُ العَبْدِ
ما لَمْ يُغَرْغِرْ » . وعن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغُصَّته
وألمه ، فقال : « قَدْرَ ثَلاثِ مِئَةِ ضَرْبَةٍ بالسَّيْفِ » . وعن زيد بن أسلم
عن أبيه قال : إذا بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله ، شدّد عليه
الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة . وإذا كان للكافر معروف
لم يجز به فى الدنيا هوّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار .
وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيراً من المرضى : كيف تجدون الموت ؟ فلما
مرض ، سئل فقال : كأنّ السموات مطبقة على الأرض ، وكأن نفسى تخرج
من ثقب إبرة . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَوْتُ الفَجْأَةِ رَاحَةٌ
لِلْمُؤْمِنِ ، وأسَفٌ على الفاجِرِ » .

الداهية الثانية : مشاهدة صورة ملك الموت ، ودخول الروع والخوف
على القلب . رُوى عن الخليل صلى الله عليه وسلم أنه قال لملك الموت :
هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُرِيَنِي الصُّورَةَ التي تَقْبِضُ فيها رُوحَ الفاجِرِ ؟
قال : لا تطيق ذلك ، قال : فأعرض عنى ، فأعرض عنه فالتفت فإذا هو برجل
أسود قائم الشعر منتن الرائحة أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب نار ودخان
فغشى على إبراهيم عليه السلام ، ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى
فقال : ياملكَ المَوْتِ لَوْ لَمْ يَلْقَ الفاجِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ إلاَّ صُورَةَ
وَجْهِكَ لَكانَ حَسْبُهُ . وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبىّ صلى
الله عليه وسلم قال : « إنَّ دَاوُدَ عَلَيهِ السَّلامُ كانَ رَجُلاً غَيُوراً ، وكانَ
إذا خَرَجَ غَلَّقَ الأبْوَابَ ، فأغْلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ وَخَرَجَ ، فَأشْرَفَتِ

امْرأتُهُ ، فإذَا هِىَ بِرَجُلٍ فِى الدَّارِ ، فَقالَتْ : مَنْ أدْخَلَ هذ الرَّجُلَ ، لَئِنْ جاءَ دَاوُدُ لَيَلْقَيَنَّ مِنْهُ عَنَاءً ، فَجاءَ دَاوُدُ فرآه فَقالَ : مَنْ أنْتَ ؟ فَقالَ : أنا الَّذِى لاأهابُ المُلُوكَ ، ولا يَمْنَعُنى الحِجابُ ، فَقالَ : فَأنْتَ واللهِ إذًا مَلَكُ المَوْتِ ، وزَمَلَ دَاوُدُ علي السَّلامُ مَكانَهُ » . ورُوى أن عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فضربها برجل وقال : كلّمينى باذن الله تعالى ،فقالت : يا روح الله إنما أنا مَلك زمان كذ وكذا . أتانى آت وأنا جالس فى مُلكى وعلىّ تاجى ،وحولى جنودى وحشمى على سريرمُلكى ، إذ بدا لى مَلك الموت ، فزال منى كلّ عضو على حياله . ثم خرجت نفسى إليه ، فياليت ماكان من تلك الجموع كان فرقة ، ويا ليت ماكان من ذلك الأنس كانت وحشة . وروى ابن عباس رضى الله عنهما أ إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا ، وكان له بيت يتعبّد فيه ، فإذا خر أغلقه . فرجع ذات يوم ، فإذا برجل فى جوف البيت ، فقال : من أدخلك دارى ؟ فقال : أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك ، فقال : من أنت م الملائكة ؟ قال : أنا مَلك الموت ، قال : هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، فأعرض ثم التفت ، فإذا هو شاب و ذكر من حُسنه وحُسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال : يا ملك الموت لو لم يل المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه . ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى ملَكاه الكاتبان عمله ، كان مطيعا قالا له : جزاك الله عنا كلّ خير ، فربّ مجلس صدق أجلستنا ، وربّ عمل صالح أحضرتنا ؛ وإن كان فاجرا قالا له : لاجزاك الله عنا خير فربّ مجلس سوء أجلستنا ، ومن كلام قبيح أسمعتنا ، فذلك شخوص بصره إليهما .

Marfat.com

الداهية الثالثة : مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم ، لأنهم لن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا ملك الموت بإحدى كلمتين : أبشر يا عدوّ الله بالنار ، وأبشر يا وليّ الله بالجنة . ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، قال عليه الصلاة والسلام : « لَنْ يَخْرُجَ أحَدُكُمْ مِنَ الدُّنْيا حتى يَعْلَمَ أيْنَ مَصِيرُهُ وحتى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ » .

## بيان مايستحب من أحوال المحتضر

والمستحبّ هو الهدوء والسكون ، وأن يكون لسانه ناطقا بالشهادة ، يستحبّ من قلبه أن يكون حسن الظنّ بالله تعالى ، راجيا لغفرانه . قال صلى عليه وسلم : « ارْقُبُوا المَيِّتَ عِنْدَ ثَلاثٍ : إذا رَشَحَ جَبِينُهُ رَفَتْ عَيْنَاهُ وَيَبِسَتْ شَفَتَاهُ ، فَهُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى وَقَدْ لَتْ بِهِ » . وروى أبوسعيد الخدرى رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام ل « لَقِّنُوا مَوْتاكُمْ قَوْلَ لاإلهَ إلاَّ اللهُ » . وفى رواية حذيفة « فإنَّها هْدِمُ ما قَبْلَهَا مِنَ الخَطايا » . وقال أبوهريرة : سمعت رسول الله صلى له عليه وسلم يقول : « حَضَرَ مَلَكُ المَوْتِ رَجُلاً يَمُوتُ ، فَنَظَرَ قَلْبِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا ، فَفَكَّ لَحْيَيْهِ ، فَوَجَدَ طَرَفَ لِسانِهِ لاصِقا بِحَنَكِهِ وَهُوَ يَقُولُ لاإلهَ إلاَّ اللهُ ، فَغُفِرَ لَهُ بِكَلِمَةِ الإخْلاصِ » ويستحبّ الرفق فى التلقين ، فلعلّ لسانه لا ينطق للضعف ، فإن ألحّ عليه يخشى أن يكره الكلمة . وأما حسن الظنّ فيستحبّ لقوله عليه الصلاة والسلام « أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيَظُنَّ بِي خَيْرًا » .

Marfat.com

## بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت

قال وهب بن منبه : كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض ، فدعا بثياب ليلبسها ، فلم تعجبه وطلب غيرها ليلبسها فما أعجبته ، ثم لبس ما أعجبه بعد مرات ، وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه ، حتى أتى بدوابّ فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ فى منخريه فملأه كبرا ، ثم سار وسارت معه الخيول وهو لاينظر إلى الناس كبرا ، فجاءه رجل رثّ الهيئة ، فسلم فلم يردّ السلام . فأخذ بلجام دابته ، فقال : أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما ، قال : إن لى إليك حاجة ، قال : اصبر حتى أنزل ، قال : لا الآن ، فقهره على لجام دابته وقال : لا أذكرها ، قال : هو سرّ ، فأدنى إليه رأسه فسارّه وقال : أنا ملك الموت ، فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال : دعنى حتى أرجع إلى بيتى وأقضى حاجتى وأودّعهم ، فقال : والله لاترى أهلك وثقلك أبدا ، فقبض روحه ، فخرّ كأنه خشبة ، ثم لقى عبدا صالحا فى تلك الحال فسلم فردّ عليه السلام ، فقال : إن لى إليك حاجة ، قال : فاذكرها لى : فساره وقال : أنا ملك الموت ، فقال : مرحبا وأهلا وسهلا بمن طالت غيبته علىّ ، فوالله ما كان فى الأرض غائب أحبّ إلىّ أن ألقاه منك ، فقال له ملك الموت : اقض حاجتك التى خرجت لها ، فقال : مالى حاجة أكبر عندى ولا أحبّ من لقاء الله تعالى ، قال : فاختر على أىّ حال شئت أن أقبض روحك ، فقال : تقدر على ذلك ؟ قال : نعم أُمرت بذلك ، قال : فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ، فاقبض روحى وأنا ساجد ، فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزنى : جمع رجل من بنى إسرائيل مالا ، فلما أشرف على الموت قال لبنيه : أرونى أصناف أموالى ، فأتى بشىء كثير من الخيل والإبل والرقيق ؛ فلما نظر إليه بكى تحسُّرا عليه ، فرآه ملك الموت وهو يبكى

Marfat.com

فقال له : ما يبكيك ، فو الذى خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك ، قال : فالمهلة حتى أفرقه ، قال : هيهات انقطعت عنك المهلة ، فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك ؟ فقبض روحه .

## فصل : فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين

اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا ، وإذا توفى هو فلا طمع لأحد فى البقاء ، قال الله تعالى ( أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدُونَ ) وقال الله تعالى ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائقَةُ المَوْتِ) قال ابن مسعود رضى الله عنه : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين إذ دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال : « مَرْحَباً حَيَّاكُمُ اللهُ ، آوَاكُمُ اللهُ ، نَصَرَكُمُ اللهُ ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ، وأُوصِي بِكُمُ اللهَ ، إنّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أنْ لاتَعْلُوا عَلَى اللهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلادِهِ ، وَقَدْ دَنَا الأجَلُ والمُنْقَلَبُ إلى اللهِ تَعالى ، وإلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى وإلى جَنَّةِ المَأْوَى وإلى الكَأْسِ الأوْفَى ، فاقْرَءُوا على أنْفُسِكُمْ ، وَعَلَى مَنْ دَخَلَ فِي دِينِكُمْ بَعْدِي مِنّي السَّلامَ » . ورُوى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته : « مَنْ لأُمَّتِي بَعْدِي ، فأوْحَى اللهُ تَعالى إلى جبريل أنْ بَشِّرْ حَبِيبِي أَنِّي لاأخْذُلُهُ فِي أُمَّتِهِ ، وَبَشِّرْهُ بأنَّهُ أسْرَعُ النَّاسِ خُرُوجا مِنَ الأرْضِ إذا بُعِثُوا وَسَيِّدُهُمْ إذَا جُمِعُوا ، وإنَّ الجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الأُمَمِ حَتّي تَدْخُلَهَا أُمَّتُهُ ، فقال : الآنَ قَدْ قَرَّتْ عَيْنِي » . وروى أن عائشة رضى الله عنها قالت : قبض رسول الله

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى ، وبين سحرى ونحرى ، وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت ، فدخل علىّ أخى عبد الرحمن وبيده سواك ، فجعل ينظر إليه ، فعرفت أنه يعجبه ذلك ، فقلت له : آخذه ؟ فأومأ برأسه أن نعم . فناولته إياه ، فأدخله فى فيه فاشتدّ عليه ، فقلت ، ألينه لك ، فأومأ برأسه أن نعم ، فلينته ، وكان بين يديه ركوة ماء ، فجعل يدخل يده فيها ويقول : لاإلَهَ إلاّ اللهُ ، إنّ للمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ ، ثم نصب يده وهو يقول : الرَّفِيقَ الأعْلَى ، الرَّفِيقَ الأعْلَى ، فقلت : إذًا والله لايختارنا » . وروى ابن مسعود رضى الله عنه ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : « سَلْ يا أبا بَكْرٍ ، فقال : يا رسول الله دنا الأجل . فقال : قَدْ دَنَا وتَدَلَّى ، فقال : ليهْنِكَ يا نبىّ الله ما عند الله ، فليت شعرى عن منقلبنا . فقال : إلى اللهِ وإلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، ثُمّ إلى جَنَّةِ المأوى والفِردوسِ الأعْلَى ، والكأسِ الأوْفَى والرَّفِيقِ الأعْلَى ، والحَظّ والعَيْشِ المُهنَّا ، فقال : يا نبىّ الله ، من يلى غُسلك ؟ قال : رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِى ، الأدْنى فالأدْنى ، فقلنا : ففيم نكفنك ؟ قال : فِى ثِيابى هذِهِ وفِى حُلَّةٍ يمانِيَةٍ ، وفِى قَباطِى مِصْرَ ، قال : كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكينا وبكى ، ثم قال : مَهْلاً غَفَرَ اللهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا ، إذا غَسَّلْتُمُونِى وكَفَّنْتُمُونِى فَضَعُونِى عَلَى سَرِيرِى فى بَيْتِى هذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِى ، ثُمّ اخْرُجُوا عَنِّى ساعَةً ، فإنّ أوّلَ مَنْ يُصلِّى عَلَىّ اللهُ عزَّ وَجَلّ هُوَ الّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ . ثُمّ يَأْذَنُ للمَلائكَةِ فِى الصَّلاةِ عَلَىّ ، فأوّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَىّ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَيُصَلِّى عَلَىّ جِبْرِيلُ عليهِ السَّلامُ ، ثُمّ مِيكائيلُ عليهِ السَّلامُ ، ثُمّ إسْرَافِيلُ عليهِ السَّلامُ ، ثُمّ مَلَكُ المَوْتِ مع

جنُود كثيرَة ، ثمَّ الملائكةُ بأجمعِهِم ، ثمَّ أنتُم ، فادخلُوا علىَّ أفوَاجا ، فصَلُّوا علىَّ أفوَاجا زمرًا ، وسلِّمُوا تسليما ، ولا تؤذُونِي بتزكيةٍ ولا صيحةٍ ولا صرخةٍ ولا رنَّة ، وليَبدأ منكُم الإمامُ وأهلُ بيتِي الأدنى فالأدنى ، ثمَّ زمرُ النِّساءِ ، ثمَّ زمرُ الصبيانِ ؛ قال : فمن يدخل القبر ؟ قال : زمرُ أهلِ بيتِي الأدنى فالأدنى مع ملائكةٍ كثيرةٍ لاترونَهم وهُم يرونكُم ، قومُوا فأدُّوا عنِّي إلى مَن بعدِي السَّلامَ » . وقالت عائشة رضى الله عنها : « لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأوا منه خفَّة فى أوّل النهار ؛ فتفرّق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين ؛ وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء ، فبينا نحن على ذلك ، لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح مثل ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخرُجنَ عنِّى هذا الملَكُ يستأذِنُ علىَّ ، فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحّيت فى جانب البيت ؛ فناجى الملك طويلا ، ثم إنه عاد وأعاد رأسه فى حجرى ، وقال للنِّساء : ادخُلنَ ، فقلت : ما هذا بحسِّ جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجَل ياعائشَةُ ، هذا ملَكُ الموتِ جاءَنِي فقال : يا رسُولَ اللهِ إنَّ اللهَ تعالى أرسلَنِى ، وأمرَنِي أن لاأدخلَ عليكَ إلاَّ بإذنٍ ، فإن لم تأذن أرجِع ، وإن أذنتَ لى دخَلتُ . وأمرَنِى أن لاأقبضَكَ حتى تأمُرَنِى فماذا أمرُكَ ؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اكفُف عنِّى حتى يأتِيَنِى جبريلُ عليهِ السَّلامُ ، فهذِهِ ساعةُ جبريلَ ؛ قالت عائشة رضى الله عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى ، فوجمنا كأنما ضُربنا بصاخّة ما نحيرُ إليه شيئا ، وما يتكلم أحد من أهل البيت تعظيما لذلك الأمر ؛ وهيبة

قالت : وجاء جبريل عليه السلام فى ساعته ، فسلّم فعرفت حسه ، وخرج
أهل البيت ودخل جبريل فقال : إنّ الله عزّ وجلّ يُقرئك السلام ويقول
لك : كيف تجدك ، وهو أعلم بالذى تجد منا ، ولكن أراد أن يزيدك كرام
وشرفا ، وأن يتمّ كرامتك وشرفك على الخلق ، وتكون سنّة فى أمتك ، فقال
أجدُ وَجَعا ، قال : أبشر ، فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعدّ لك ، فقال
ياجبريلُ إنّ ملَكَ الموْتِ استَأْذَنَ علىّ ، وأخبره الخبر ، قال علي
السلام : يامحمد إن ربك إليك مشتاق ، ألم أُعلمك الذى يريد بك ، لاوالله
ما استأذن ملك الموت على أحد قطّ ، ولا يستأذن عليه أبدا ، إلا أن ربك
تمّ لك وهو إليك مشتاق ، فلا تبرح إذًا حتى يجىء ، وأذن للنساء فقال
يا فاطمةُ ادْنِى ، فأكبّت عليه وجهها ، فناجاها ، فرفعت رأسها وعيناه
تدمع وما تطيق الكلام ، ثم قال : أدْنِى مِنّى رأسَكِ ، فأكبّت عل
فناجاها ، فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام ، فكان الذى رأ
منها عجبا ، فسألناها بعد ذلك ، فقالت : قال لى : إنّى ميّتٌ اليوْمَ
فبكيت ، ثمّ قال : إنّى دعَوْتُ اللهَ أنْ يُلْحِقَكِ فِى أوّلِ أهْلِى بى
وأنْ يَجْعَلَكِ معِى ، فضحكت ؛ قالت : وجاء ملك الموت فسلّ
واستأذن ، فأذن له ، فقال الملك : ما تأمر يا محمد ؟ قال : أَلْحِقْنِى برَ
الآنَ ، قال : بلى من يومك هذا ، أما إن ربك إليك مشتاق ، ولم يتردّد ع
أحد تردّده عنك ، ولم ينهنى عن الدخول على أحد إلا بإذنٍ غيرك ، ولك
ساعتك أمامك وخرج ؛ قالت : وجاء جبريل عليه السلام فقال : السلام علي
يارسول الله ، هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض ، طُوِى الوحىُ وطُوي
الدنيا ، وما كان لى فى الأرض حاجةٌ غيرك ، وما لى فيها حاجة إلا صورتك
ثم لزوم موقفى ، لا والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحقّ ، ما فى البي

أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ، ولا يبعث إلى أحد من رجاله ، لعِظَم ما يسمع من حديثه ، ووجْدِنا وإشفاقنا ؛ قالت : فقمت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي ، وأمسكت بصدره ، وجعل يغمى عليه حتى يُغلب وجبهتُه ترشحُ عرقًا ما رأيتُ من إنسانٍ قطّ أطيبَ منه وجعلت أرسل ذلك العرق ، وما وجدت رائحة شيءٍ قطّ أطيب منه ، فكنت أقول له إذا أفاق : بأبي وأمي ونفسي وأهلي ومالي ما تلقى جبهتك من العرق والرّشح ، فقال : ياعائِشةَ إنّ نَفْسَ المُؤْمِنِ تَخرُجُ بالرّشْحِ ، ونَفْس الكافِرِ تَخرُجُ منْ شِدْقِهِ كَنَفَسِ الحمارِ ، فعند ذلك ارتعنا ، وبعثنا إلى أهلينا ، فكان أوّل رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثته إلى أبي ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد ، وإنما صدّهم الله عزّ وجلّ عنه لأنه تولاه جبريل وميكائيل ، وجعل إذا أغمى عليه قال : بَلِ الرَّفِيقُ الأعْلَى ؛ قالت عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين ، فصلوات الله عليه ، وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين .

## وفاة أبي بكر الصديق رضى الله عنه

لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه ، جاءت عائشة رضى الله عنها ، وتمثّلت بهذا البيت :

لعمرك مايغني الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلكِ ، ولكن قولي : ( وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ) ، انظروا ثوبيَّ هذين فاغسلوهما وكفّنوني فيهما ، فإن الحيّ إلى الجديد أحوج من الميت . وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته هذا البيت :

Marfat.com

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر رضى الله عنه : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودخلوا عليه فقالوا : ألا ندعوا لك طبيبا ينظر إليك ؟ فقال : قد نظر إلىّ وقال : إنى فعال لما أريد . ودخل سلمان الفارسى رضى الله عنه يعوده ، فقال : ياأبابكر أوصنا ، فقال : إن الله فاتح عليكم الدنيا ، فلا تأخذوا منها إلا بلاغكم . واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله تعالى ، فلا تخفرنّ الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك ، ولما ثقل أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وأراد الناس منه أن يستخلف ، فاستخلف عمر رضى الله عنهما ، فقال الناس له : استخلفت علينا فظًّا غليظ القلب ، فما تقول لربك ؟ فقال : أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ، رضى الله عنهما آمين .

## وفاة عمر رضى الله عنه

قال عمرو بن ميمون : كنت قائما غداة أصيب عمر ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فكان إذا مرّ بين الصفين قام بينهما ، فإذا رأى خللا قال : استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر ؛ قال : وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو غير ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كبّر ، فسمعته يقول : قتلنى أو أكلنى الكلب ، حين طعنه أبو لؤلؤة ، وطار العلج بسكين ذات طرفين ، لا يمرّ على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، فمات منهم تسعة أو سبعة ؛ فلما رأى ذلك رجل من المسلمين ، طرح عليه برنسا ، فلما ظنّ العلج أنه مأخوذ نحر نفسه . ورُوى أنه بعث عبدَ الله إلى عائشة رضى الله عنها وقال : قل لها يقرأ عليك عمر السلام ، لاتقل أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا ،

Marfat.com

وقل يستأذن عمر بن الخطّاب أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب عبد الله فسلم واستأذن ، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأوثرنه اليوم على نفسى ؛ فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعونى ، فأسنده رجل إليه ، قال : ما لديك ؟ قال : الذى تحبّ يا أمير المؤمنين أذنت ، قال : الحمد لله ما كان شى أهمّ إلىّ من ذلك ، فإذا أنا قُبضت فاحملونى ، ثم سلموا وقولوا : يستأذن عمر ، فإن أذنت لى فأدخلونى ، وإن ردّتنى فردُّونى إلى مقابر المسلمين ، وجاءت أمّ المؤمنين حفصة رضى الله عنها ، والنساء يسترنها ؛ فلما رأيناها قمنا ، فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلا ، فسمعنا بكاءها من داخل ، فقيل : أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال : ما أرى أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، فسمّى عليا وعثمان والزُّبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله ، وليس له من الأمر شىء ، قال عليه الصلاة والسلام : قال َلى جِبْرِيلُ : لِيَبْكِ الإسْلامُ عَلَى مَوْتِ عُمَرَ » .

## وفاة عثمان رضى الله عنه

والحديث فى قتله مشهور ؛ قال عبد الله بن سلام : أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه ، فقال : مرحبا يا أخى ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الخوخة ، وهى خوخة فى البيت ، فقال : يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم ، قال : أعطشوك ؟ قلت : نعم ، فأدلى إلىّ دلوا فيه ماء ، فشربت حتى رويت ، حتى إنى لأجد برده بين ثديىّ وبين كتفى ،

Marfat.com

وقال لى : إن شئت نُصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقُتل ذلك اليوم رحمه الله تعالى . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تشحط عثمان فى الموت حين جرح ، ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟ قالوا : سمعناه يقول : اللهمّ اجمع أمة محمد ثلاثا ، قال : والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لايجتمعوا أبدا ، ما اجتمعوا إلى يوم القيامة .

## وفاة علىّ رضى الله عنه وأرضاه

قال الحنظلى : لما كانت الليلة التى أصيب فيها علىّ رضى الله عنه ، أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل ، فعاد الثانية وهو كذلك متثاقل ، فعاد الثالثة فقام ومشى وهو يقول هذه الأبيات :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيــكا
ولا تجــزع من الموت إذا حــلّ بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شدّ عليه ابن ملجم فضربه ، فخرجت أم كلثوم بنت علىّ رضى الله تعالى عنه فجعلت تقول : مالى ولصلاة الغداة ، قُتل زوجى أمير المؤمنين صلاة الغداة ، وقُتل أبى صلاة الغداة . وعن شيخ من قريش أن عليا رضى الله تعالى عنه لما ضربه ابن ملجم قال : فزت وربّ الكعبة .

## فصل : فى كلام المحتضرين

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال : أقعدونى ، فأقعدوه فجعل يذكر الله ويسبّحه ، ثم بكى وقال : تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطام ، ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ، وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا ربّ ارحم الشيخ العاصى ، ذا القلب القاسى ، اللهمّ أقل العثرة ، واغفر الزلّة ، وعد بحلمك على من لايرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك . ولما حضر

Marfat.com

معاذا الوفاة قال : اللهمّ إنى كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ؛ اللهمّ إنك تعلم أنى لم أكن أحبّ الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار وغرس الأشجار ولكن لظمإ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب . وقيل لذى النون : ما تشتهى ؟ قال : أن أعرفه قبل موتى بلحظة .

## بيان حال القبر وأقاويلهم على القبور

قال الضحاك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له : من أزهد الناس ؟ قال : « مَنْ لَمْ يَنْسَ القَبْرَ والبِلى ، وتَرَكَ فَضْلَ زِينَةِ الدُّنْيا ، وآثَرَ ما يَبْقَى عَلى ما يَفْنَى ، ولَمْ يَعُدَّ غَدًا مِنْ أيَّامِهِ ، وعَدَّ نَفْسَهُ مِنْ أهْلِ القُبُورِ » . وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على القبور قال : ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهى فى بواطنك . ومرّ داود عليه السلام على امرأة تبكى وهى تقول على قبر :

عدمت الحياة فلا أنلها إذا أنت فى القبر قد ألحدوك
فكيف أذوق طعم الكرا وأنت يمناك قد وسّدوك

ثم قالت : يا ابناه ، ليت شعرى بأىّ خديك بدا الدود ، فصعق داود مكانه ، وخرّ مغشيا عليه .

## بيان الأدب عند موت الولد

إذا مات ولدك أو قرابتك ، فنزله منزلة من تقدّم عليك فى سفر لابدّ وأنت تتبعه ، أو من رجع قبلك إلى الوطن وأنت تتبعه ، فإنك إذا علمت أنك ستلحق به ، لايشقّ عليك ، ويستحبّ أحيانا زيارة القبور ، فقد أذن لنا فيها بعد أن كنا نهينا عنها. قال أبو ذرّ : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زُورُوا القُبُورَ تَذْكُرُوا بِها الآخِرَةَ ، وَاغْسِلُوا المَوْتَى ، فإنَّ

مَعالجةَ جَسَدٍ خاوٍ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ قالَ : وَصَلِّ على الجَنائِزِ لَعَلَّ ذلكَ أنْ يُحزِنَكَ ، فإنَّ الحَزِينَ فِي ظِلِّ اللهِ تَعالى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « زُورُوا أمْوَاتَكُمْ ، وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ، وَصَلُّوا عَلَيْهِمْ ، فإنَّ لَكُمْ فِيها عِبْرَةً » .

## بيان حقيقة الموت

اعلم أن حقيقة الموت على ما دلَّت عليه الآيات والأخبار ، وشهدت له طُرق الاعتبار ، مفارقة الروح البدن ، لاعدم الروح . أما الآيات ، فقال الله تعالى ( وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أمْوَاتا ، بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ ) ، هذا فى الشهداء ، والخبر يدلّ على الأشقياء أيضاً . قال عليه الصلاة والسلام يوم بدرلصناديد قريش لما قُتلوا : « يا فُلانُ يافُلانُ ، قَدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فقيل : يا رسول الله أتناديهم وهم أمواتٌ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّهُمْ لأسْمَعُ لِهَذَا الكَلامِ مِنْكُمْ ، إلاَّ أنَّهُمْ لايَقْدِرُونَ عَلَى الجَوَابِ » . وقد روى أبو أيوب الأنصارى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ نَفْسَ المُؤْمِنِ إذَا قُبِضَتْ تَلَقَّاها أهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى كَمَا يُتَلَقَّى البَشِيرُ فِي الدُّنيا ، يَقُولُونَ : أنْظِرُوا أخاكُمْ حَتى يَسْتَرِيحَ فإنَّهُ كانَ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ ، فَيَسْألُونَهُ ماذَا فَعَلَ فُلانٌ وَماذا فَعَلَتْ فُلانَةُ ، وَهَلْ تَزَوَّجَتْ فُلانَةُ ؟ فإذَا سألُوهُ عَنْ رَجُلٍ ماتَ قَبْلَهُ ، وَقالَ ماتَ قَبْلِي ، قالُوا : إنَّا لِلهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ذُهِبَ بِهِ إلى أُمِّهِ الهاوِيَةِ » .

Marfat.com

## بيان كلام القبر للميت حين يوضع فيه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ القَبْرُ للمَيِّتِ حِينَ يُوضَعُ فِيهِ : وَيْحَكَ يا ابْنَ آدَمَ ما غَرَّكَ بِي ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي بَيْتُ الفِتْنَةِ وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ وبَيْتُ الوَحْدَةِ وبَيْتُ الدُّودِ ، ما غَرَّكَ بِي إِذْ كُنْتَ تَمُرُّ بِي فَذَّاذًا ؛ فإِنْ كانَ عَمَلُهُ صَالحا أَجابَ عَنْهُ مُجِيبٌ للقَبْرِ ، فيَقُولُ : أَرأَيْتَ أَنْ كانَ يَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ ؟ فيَقُولُ القَبْرُ : إِنِّي إِذًا أَتَحَوَّلُ عَلَيْهِ خَضِرًا ، وَيَعُودُ جِسْمُهُ نُورًا ، وَتَصْعَدُ رُوحُهُ إِلى اللهِ تَعالى » والفذّاذ : هو الذى يقدّم رجلا ويؤخر أخرى ، كذلك فسره الراوى .

## بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصلى على جنازة رجل من الأنصار ، فجلس على قبره منكسا رأسه ، ثم قال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ( ثلاثا ) ، ثم قال : إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا كانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الآخِرَةِ ، بَعَثَ اللهُ تَعالى مَلائِكَةً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، وَمَعَهُمْ حَنُوطٌ وكَفَنٌ ، فَيَجْلِسُونَ مَدَّ بَصَرِهِ ، فإِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بينَ السَّماءِ والأَرْضِ ، وكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّماءِ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّماءِ فَلَيْسَ مِنْها بابٌ إِلاَّ يُحِبُّ أَنْ يُدْخَلَ بِرُوحِهِ مِنْهُ ، فإِذَا صُعِدَ بِرُوحِهِ مِنْهُ ، قِيلَ : أَىْ رَبِّ ، أَتَى عَبْدُكَ فُلانٌ ، فيَقُولُ : ارْجِعُوهُ فَأَرُوهُ ما أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الكَرَامَةِ ، فإِنِّي وَعَدْتُهُ ( مِنْها خَلَقْنَاكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرَى ) وإِنَّهُ لَيَسْمَعُ

Marfat.com

خفقَ نعالِهم إذا ولَّوْا مدبرين حتى يقالَ : يا هذا مَنْ ربُّكَ وما دينكَ ومَن نبيُّكَ ؟ فيقولُ : ربىَ اللهُ تعالى ، وديني الإسلامُ ونبيِّي محمدٌ ، فينتهرانهِ انتهاراً شديداً ، وهي آخرُ فتنةٍ تُعرضُ على الميتِ ، فإذا قالَ ذلكَ ، نادى منادٍ أنْ قدْ صدقتَ ، وهوَ معنى قولهِ تعالى ( يثبتُ اللهُ الذينَ آمنُوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ ) ثمَّ يأتيهِ آتٍ حسنُ الوجهِ طيبُ الرائحةِ ، حسنُ الثيابِ ، فيقولُ : أبشرْ برحمةٍ منْ ربِّكَ وجناتٍ لهمْ فيها نعيمٌ مقيمٌ . فيقولُ : وأنتَ بشَّركَ اللهُ بخيرٍ ، مَن أنتَ ؟ فيقولُ : أنا عملُكَ الصالحُ ، واللهِ ما علمتُ إن كنتَ لسريعا إلى طاعة الله تعالى ، بطيئا عنْ معصيةِ الله تعالى ، فجزاكَ اللهُ خيراً .
قالَ : ثمَّ ينادى منادٍ أنِ افرشُوا لهُ فراشا منْ فرُشِ الجنةِ ، وافتحُوا لهُ بابا إلى الجنةِ ، فيُفرشُ لهُ من فرُشِ الجنةِ ، ويُفتحُ لهُ بابٌ إلى الجنةِ ، فيقولُ : اللهمَّ عجِّلْ قيامَ الساعةِ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي . قالَ : وأمَّا الكافرُ فإنَّهُ إذا كانَ في قبلٍ منَ الآخرةِ ، وانقطاعٍ منَ الدنيا ، نزلتْ إليهِ ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ معهمْ ثيابٌ منْ نارٍ ، وسرابيلُ منْ قطرانٍ ، فيحتوشونهُ ، فإذا خرجتْ نفسهُ ، لعنهُ كلُّ ملكٍ في السماءِ ، وغلقتْ أبوابُ السماءِ ، فليسَ منها بابٌ إلاَّ يكرهُ أنْ يدخلَ بروحهِ منهُ ، فإذا صعدَ بروحهِ نُبذَ ، وقيلَ : أيْ ربِّ عبدُكَ فلانٌ لمْ تقبلْهُ سماءٌ ولا أرضٌ ، فيقولُ : ارجعوهُ فأروهُ ما أعددتُ لهُ منَ الشرِّ بهِ ، فإني وعدتُهُ ( منها خلقناكمْ ، وفيها نعيدكمْ ، ومنها نخرجكمْ تارةً أخرى ) ، وإنهُ ليسمعُ خفقَ نعالهمْ إذا ولَّوا

مدبرين حتى يقال له : يا هذا من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال : لا دريت ، ثم يأتيه آت قبيح الوجه ، منتن الريح ، قبيح الثياب ، فيقول له أبشر بسخط من الله تعالى وبعذاب أليم مقيم ، فيقول : بشرك الله تعالى بشر ، من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، والله ما علمت إن كنت لسريعاً في معصية الله تعالى ، بطيئا عن طاعة الله تعالى ، فجزاك الله تعالى شرا ، فيقول : وأنت فجزاك الله شرا ، ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يحملوها لم يستطيعوا ، لو ضرب بها جبل صار ترابا ، فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ، ثم تعود الروح ، فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين ، ليس الثقلين . قال : ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار ، وافتحوا له بابا إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ، ويفتح له باب إلى النار » . وقال صلى الله عليه وسلم : المؤمن في قبره في روضة خضراء ، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ، ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيما ذا أنزلت ( فإن له معيشة ضنكا ) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال صلى الله عليه وسلم : عذاب الكافر في قبره ، يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، هل تدرون ما التنين ؟ تسع وتسعون حية ، لكل حية سبعة رءوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون » . وقالت عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للقبر ضغطة ، ولو



Marfat.com

سَلِمَ أوْ نَجا مِنْها أحَدٌ ، لَنَجا مِنْها سَعْدُ بنُ مُعاذٍ » . ولمَّا قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه فى منكر ونكير قال : يا رسول الله ويكون معى عقلى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » ، قال : إذن أكفيكهما » ، فدلّ ذلك على أن العقل لايزول بالموت ، كما سبق ذكره .

## فصل : فيما يلقى الميت من نفخة الصور وما بعده

قد عرفت فيما سبق شدّة أهوال الموت وسكراته ، وخطره فى خوف الخاتمة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ، ثم منكر ونكير وسؤالهما ، ثم لعذاب القبر إن كان شقيا وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور ، والبعث يوم النشور ، والعرض على الجبار ، والسؤال عن القليل والكثير ، ونصب الميزان لمعرفة المقادير ، ثم جواز الصراط مع دقته وحدّته ، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء . إما بالإسعاد وإما بالإشقاء ، فهذه أحوال وأهوال لابدّ لك من معرفتها ، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ، ثم إمعان الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها ، وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ، ولم يتمكن من سُويداء أفئدتهم ، ويدلّ على ذلك شدّة تشمرهم ، واستعدادهم لحرّ الصيف وبرد الشتاء ، وتهاونهم بحرّ جهنم وزمهريرها .

أما نفخ الصور ، فقال الله تعالى ( وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ ، إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ) صعق : أى مات ، إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، ثم يأمر ملك الموت بقبض روح جبريل ، ثم روح إسرافيل ، ثم روح ميكائيل ، ثم يأمر ملك الموت

فيموت ( ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ) ثم يساقون إلى أرض المحشر وهم حفاة عراة ، قد غرقوا فى العرق ، كلٌ واحد على قدر ذنوبه ، فيقفون فى طول يوم القيامة شاخصة أبصارهم ، كلٌ على قدر حسابه ، فيُسئل عن النقير والقطمير ، ثم يوزن بالميزان حسناته وسيئاته ، وعند ذلك تطالبه الخصماء بالمظالم ، ثم يُساقون إلى الصراط كما سبق فى الاعتقاد ، فيسئلون عند ذلك ، وهو قوله تعالى ( فاهْدُوهُمْ إلى صِرَاطِ الجَحِيمِ . وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ) .

## صفة الشفاعة

اعلم أنه إذا حقّ العذاب على طوائف من المؤمنين ، فالله سبحانه وتعالى يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والأولياء والعلماء ، وكلّ من له عند الله منزلة .

## صفة الحوض

قال أنس رضى الله عنه : « أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسما ، فقالوا له : يا رسول الله لِمَ ضحكت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : آيةٌ أُنْزِلَتْ عَلَىَّ آنفا ، فقرأ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ . حتى ختمها ، ثم قال : أتَدْرُونَ ما الكَوْثَرُ ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال صلى الله عليه وسلم : إنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى جَلَّ جَلالُهُ فِى الجَنَّةِ ، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِى يَوْمَ القِيامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ الكَوَاكِبِ » . اللهمّ ارزقنا الورود عليه .

## صفة جهنم وأهوالها وأنكالها ، أجارنا الله تعالى منها

اعلم أن النار يردها كلّ أحد ، قال الله تعالى ( وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ

Marfat.com

وَارِدُها ، كان على رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ) ، واعلم أنه لانجاة إلا بالتقوى ، قال الله تعالى ( ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ) فالورود يقينا ، والتقوى التى بها النجاة مشكوك فيها ، فاستشعر أيها المسكين فى قلبك هول ذلك المورد ؛ والناس فى غمرات الأهوال مما قاسوا من تلك الدواهى إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلّت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدّة الغيظ والغضب ، فأيقن المجرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلا : أين فلان بن فلان ، المسوّف نفسه فى الدنيا بطول الأمل ، المضيِّع عمره فى سوء العمل ، فيبادرونه بمقامع من حديد ، نعوذ بالله منها ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه فى قرار الجحيم ، ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم .

## القول فى صفة الجنة ونعيمها

اعلم أن دار البوار يقابلها دار القرار وهى الجنة ، وبقدر البُعد من إحداهما يصل إلى الآخرة ، فاذكر النار لتستثير به الخوف من قلبك ، واذكر الجنة لتستثير الرجاء إذا خفت على نفسك القنوط من كثرة الذنوب وغلبة الخوف ، والآيات والأخبار دالة على صفة أهل الجنة ونعيمهم وأمنهم وطعامهم وشرابهم وفواكههم ، فلا يحتاج إلى الإطناب فيه . وقد وردت الأخبار الدالة على الرؤية ، وهى أعلى درجات النعيم . قال جرير بن عبد الله البجلى : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ ، لاتُضَامُونَ فِى رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاتُغْلَبُوا عَلَى صَلاةِ

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها فافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرَأ ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ غُرُوبِها ) » وهومخرّج من الصحيحين . وروى مسلم فى الصحيح عن صهيب قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ ) » . قال صلى الله عليه وسلم : « إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ قالَ : إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يَشْتَهِي أنْ يُنْجِزَكُمُوهُ ، قالُوا : ما هَذَا المَوْعِدُ ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مِيزَانَنَا ، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، وَيُدْخِلْنا الجَنَّةَ ، ويُجِرْنا مِنَ النَّارِ ؟ قال : فَيُرْفَعُ الحِجابُ وَيَنْظُرُونَ إلى وَجْهِ اللهِ تَعالى ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلَيْهِ » . وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة ، وهى غاية الحسنى ونهاية النعيم ، وكلّ ما فصّلناه من نعيم عند هذه النعمة ينسى ، وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى ، بل لانسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذّة اللقاء . وقد ذكرنا طرفا من ذلك فى باب المحبة . وعلى الجملة فلا ينبغى أن تكون همة العبد من الجنة سوى لقاء المولى جلّ جلاله . فأما سائر نعم الجنة، فانه يشاركه فيها البهيمة المسرّحة فى المرعى ، فافهم تغنم .

## خاتمة الكتاب

### بأخبار تدل على سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل

فقد كان صلى الله عليه وسلم يحبّ الفأل ، ونحن نرجو من فضل الله تعالى ورحمته وسعة مغفرته ، أن يختم بالسعادة آجالنا ، كما ختمنا هذا الكتاب بالأخبار الدالة على سعة المغفرة والرحمة . أما الآيات ، فقد قال الله تعالى :

( إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ ) الآية . وقال الله تعالى ( وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا ) . ونحن نستغفر الله تعالى من كلّ ما زلّ به القلم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِئَةُ رَحْمَةٍ أنْزَلَ مِنْها رَحْمَةً بينَ الجِنِّ والإنسِ والبَهائِمِ والهَوَامِّ ، فَبِها يَتَعاطَفُونَ وبِها يَتَرَاحَمُونَ ، وأخَّرَ تِسْعًا وتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِها عِبادَهُ يَوْمَ القِيامَةِ » . ويُروى « أنه إذا كان يوم القيامة ، أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه : إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ، وأنا أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فيخرج من النار مِثْلا أهل الجنة» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَتَجَلَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنا يَوْمَ القِيامَةِ ضاحِكا فَيَقُول : أبْشِرُوا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ، فإنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أحَدٌ إلاَّ وَقَدْ جَعَلْتُ فِي النَّارِ مَكانَهُ يَهُودِيًّا أوْ نَصْرَانِيًّا » . وقال صلى الله عليه وسلم : «يُشَفِّعُ اللهُ تعالى آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ جَميعِ ذُرِّيَّتِهِ فِي مِئَةِ ألْفِ ألْفٍ وعَشْرَةِ آلافِ ألْفٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْما أوْ خافَنِي فِي مَقامٍ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا اجْتَمَعَ أهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ وَمَنْ شاءَ اللهُ مَعَهُمْ مِنْ أهْلِ القِبْلَةِ قالَ لَهُمُ الكُفَّار : ألَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ ؟ قالُوا : بَلَى ، قالُوا : فَمَا أغْنَى عَنْكُمْ إسْلامُكُمْ إذْ أنْتُمْ مَعَنا فِي النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : كانَتْ لَنا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنا بِها ، فَيَسْمَعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ما قالُوا ، فَيَأْمُر بإخْرَاجِ مَنْ كانَ فِي النَّارِ مِنْ أهْلِ القِبْلَةِ فَيَخْرُجُونَ ، فاذَا رأى الكُفَّار ذلكَ قالُوا : يا لَيْتَنا

كُنَّا مُسْلِمِينَ ، فَنَخْرُجُ كَمَا أُخْرِجُوا . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) » . وقال صلى الله عليه وسلم : « اللهُ أَرْحَمُ بِالعَبْدِ المُؤْمِنِ مِنَ الوَالِدَةِ الشَّفِيقَةِ بِوَلَدِهَا » . وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة ، فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب. ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة ، فذلك الذى يُحاسب حسابا يسيرا ، ثم يدخل الجنة . وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره . ورُوى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : استغاث بك قارون فلم تغثه ، وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته وعفوت عنه . وقال الصنابحى : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى مرض الموت ، فبكيت ، فقال : مهلا لِمَ تبكى ، فوالله مامن حديث سمعته من رسول الله لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا ، وسوف أحدثكموه اليوم ، وقد أحيط بنفسى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لاإلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، حَرَّمَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ النَّارَ » . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِى عَلَى رُءُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً ، كُلُّ سِجِلٍ مِنْهَا مَدُّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِى الحافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لا يارَبِّ ، فَيَقُولُ ، أَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لايا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلى إنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فإنَّهُ لاظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ ، فَيُخْرِجُ بِطاقَةً فِيها أَشْهَدُ أَنْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ،

Marfat.com

وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فيَقُولُ : يا رَبِّ ما هَذِهِ البطاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ ؟ فيَقُولُ : إنَّكَ لاتُظْلَمُ ، قالَ : فتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالبطاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، قالَ : فطاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البطاقَةُ ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ » . والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبيه .

---

بحمد الله وحسن وتوفيقه تم طبع :
المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين
لأبي حامد محمد الغزالي
مصححا بمعرفة لجنة التصحيح
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

القاهرة في { ٢٥ شعبان ١٣٨٩
٦ نوفمبر ١٩٦٩

ملاحظ المطبعة
رجب أحمد علام

مدير المطبعة
محمد محمود الحلبي

Marfat.com

# فهـــرس

صحيفة


٢ مقدمة الطبعة الثانية للناشر ٥

٥ خطبة الكتاب .

٦ الباب الأول فى العلم والتعلم والتعليم

٩ بيان العلم الذى هو فرض عين ، والذى هو فرض كفاية .

١٢ بيان أن جميع العلوم ليست محمودة

١٢ آداب المعلم والمتعلم

١ بيان وظائف المرشد المعلم

١ آفات العلم ، وعلامات علماء الآخرة ، وعلماء السوء

١ العقل وشرفه

١ الباب الثانى : فى الاعتقاد

١٩ ترجمة عقيدة أهل السنة

٢٥ وجه التدريج إلى الإرشاد

٢٥ معنى الإسلام والإيمان

٢٦ الباب الثالث : فى أسرار الطهارة

٢٧ طهارة الأحداث .

٢٧ آداب قضاء الحاجة

٢٨ كيفية الوضوء

٣٠ كيفية الغسل

٣١ كيفية التيمم


صحيفة


٣١ يستحبّ التنظيف من الأوساخ

٣٣ الباب الرابع : فى أسرار الصلاة ومهماتها

٣٣ صلاة الجماعة والأذان وغيرهما

٣٣ فضيلة المكتوبة

٣٤ فضيلة إتمام الأركان

٣٤ فضيلة السجود

٣٤ فضيلة الخشوع

٣٥ فضيلة بناء المسجد

٣٥ كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة

٣٨ تمييز الفرائض والسنن

٣٨ الشروط الباطنة من أعمال القلب

٣٩ القدوة والإمامة

٤٠ فضل الجمعة وآدابها وسننها وفرائضها

٤٢ النوافل

٤٣ صلاة العيدين

٤٤ صلاة الكسوف

٤٤ صلاة الاستسقاء .

٤٥ الباب الخامس : فى أسرار الزكاة

٤٦ أسباب وجوب الزكاة

٤٦ زكاة المال وشروطها




Marfat.com

صحيفة


٤٦ حكم زكاة الإبل
٤٧ حكم زكاة البقر
٤٧ حكم زكاة الغنم
٤٧ زكاة النقد
٤٧ صدقة الفطر
٤٨ أداء الزكاة وشرائطه
٤٨ القابض للزكاة
٤٩ صدقة التطوّع
٥٠ الباب السادس : فى أسرار الصيام
٥١ كيفية ثبوت هلال شهر رمضان
٥١ درجات الصوم
٥٢ يستحبّ عدم الإكثار من الطّعام
٥٢ التطوّع بالصيام
٥٣ الباب السابع : فى أسرار الحجّ وما فيه
٥٣ فضيلة الحجّ ومكةوالمدينة وبيت المقدس وشدّ الرحال إلىالمشاهد
٥٤ فضيلة البيت ومكة
٥٦ فضيلة المقام بمكة وكراهيته
٥٦ فضيلة المدينة
٥٧ شروط وجوب الحجّ
٥٩ ترتيب الأعمال الظاهرة فىالحجّ
٧٢ القصد فى الحجّ


صحيفة


٧٢ الباب الثامن : فى تلاوة القرآن
٧٢ ذمّ تلاوة الغافلين
٧٣ ينبغى أن يكون التالى على وضوء
٧٤ ينبغى أن تكون قراءته بتعظيم
٧٤ أسرار تلاوة القرآن
٧٥ الباب التاسع : فى الأذكار والدعوات
٧٦ آداب الدعاء
٧٧ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٧ فضيلة الاستغفار
٧٨ كيفية افتتاح الدعاء
٧٨ الباب العاشر : فى الأوراد
٧٩ فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها
٨٠ بيان الليالى والأيام الفاضلة
٨١ الباب الحادى عشر : فى آداب الأكل والشرب
٨٢ فى آداب الأكل
٨٣ آداب الأكل مع الجماعة
٨٥ آداب الضيافة
٨٦ الباب الثانى عشر : فى آداب النكاح
٨٧ فوائد النكاح


Marfat.com

صحيفة

٨٧ فيما يختار حالة العقد وشروطه
٨٨ آداب المعاشرة
٨٩ الباب الثالث عشر : فى آداب الكسب والمعاش
٩٠ بيان شروط صحة المعاملات
٩٠ بيان العدل والإحسان واجتناب الظلم فى المعاملات
٩١ ينبغى أن لا تشغلك التجارة فى طلب الآخرة
٩[illegible] الباب الرابع عشر : فى الحلال والحرام
٩[illegible] فضيلة الحلال
٩٤ بيان درجات الحلال
٩٤ بيان درجات الحرام
٩٥ بيان مراتب الشبهات
٩٥ بيان القسم المتوسط
٩٥ القسم الثانى : أن يعرف الحلّ ويشكّ فى المحرّم
٩٦ المثار الثانى للشبهة
٩٧ القسم الثالث فى اختلاط الحرام بالحلال
٩٧ بيان التجسس والسؤال

صحيفة

٩٨ الخروج من المظالم المالية
٩٨ الوظيفة الأولى فى كيفية التمييز
٩٨ الوظيفة الثانية فى المصرف
٩٩ إدرارات السلاطين وصلاتهم
٩٩ الباب الخامس عشر : فى آداب الصحبة
١٠٠ بيان معنى الأخوّة فى الله
١٠١ بيان الخصال التى تصلح للصحبة
١٠٢ حقوق الأخوّة والصحبة
١٠٤ حقوق المسلم والرحم والجوار
١٠٦ حقوق المملوك
١٠٦ الباب السادس عشر : فى العزلة
١٠٧ فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحقّ فى فضلها
١٠٨ الباب السابع عشر : فى السفر
١٠٩ تصحيح النية لقصد السفر
١١٠ الباب الثامن عشر : فى السماع والوجد
١١١ آثار السماع
١١٣ آداب السماع
١١٤ الباب التاسع عشر : فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

صحيفة

١١٥ بيان أركان الأمر بالمعروف
١١٦ بيان آداب المحتسب
١١٦ المنكرات المألوفة فى العادات
١١٧ أمر السلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر
١١٩ الباب العشرون : فى آداب المعيشة وأخلاق النبوّة
١٢٢ محاسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار
١٢٣ آدابه صلى الله عليه وسلم
١٢٤ كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم
١٢٥ أخلاقه وآدابه فى الطعام
١٢٦ آدابه وأخلاقه فى اللباس
١٢٧ شجاعته صلى الله عليه وسلم
١٢٧ معجزاته صلى الله عليه وسلم
١٢٨ الباب الحادى والعشرون : فى عجائب القلب
١٣٠ جنود القلب
١٣٢ أمثلة القلب
١٣٤ إيضاح أمثلة القلب
١٣٤ مراتب اقتناص العلوم القلب

صحيفة

١٣٦ شوائب فطرة الإنسان وتركيبه
١٣٧ بيان حال القلب بالنسبة إلى العلوم ، والفرق بين التعلم وحال الصوفية
١٤٠ الدلالة على صحة طريق الصوفية
١٤٠ مداخل الشيطان إلى القلب
١٤١ الباب الثانى والعشرون : فى رياضة النفس
١٤١ فضيلة حُسن الخلق
١٤١ بيان حسن الخلق وسوئه
١٤٣ بيان معرفة عيوب النفس
١٤٤ كيفية تحصيل الأعمال
١٤٥ بيان علامات حسن الخلق
١٤٦ بيان شروط الإرادة
١٤٩ الباب الثالث والعشرون : فى كسر الشهوتين البطن والفرج
١٥٠ بيان فضيلة الجوع وذمّ الشبع
١٥١ بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة النفس والبطن
١٥٣ بيان الجوع المحمود وحده .
١٥٤ الكلام على كسر شهوة الفرج
١٥٥ بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله


Marfat.com

صحيفة

١٥٧ فضيلة من يخالف الشهوة

١٥٧ الباب الرابع والعشرون : فى آفات اللسان

١٦٣ بيان ما يرخص فى الغيبة

١٦٤ بيان كفارة الغيبة

١٦٦ الباب الخامس والعشرون : فى آفة الغضب والحقد والحسد

١٦٦ بيان ذمّ الغضب

١٦ بيان حقيقة الغضب

١ بيان علاج الغضب

١٦ بيان فضيلة الحلم

١٧ بيان فضيلة العفو

١٧ بيان فضيلة الرفق

١٧ بيان ذمّ الحسد

١٧ الباب السادس والعشرون : فى ذمّ الدنيا

١٧٢ باب ذمّ الدنيا

١٧٥ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها

١٧٦ الباب السابع والعشرون : فى ذم حبّ المال .

١٧٧ بيان أن المال محمود من وجه ومذموم من وجه

صحيفة

١٧٨ ذمّ الحرص والطمع ومدح القناعة والإياس مما فى أيدى الناس

١٧٨ علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة

١٧٩ فضيلة السخاء

١٨٠ ذمّ البخل

١٨٠ بيان الإيثار وفضيلته

١٨١ بيان علاج البخل

١٨٢ بيان ذمّ الغنى ومدح الفقر

١٨٥ الباب الثامن والعشرون : فى ذمّ الجاه والرياء

١٨٥ سبب أصل الجاه

١٨٦ فضيلة الخمول

١٨٧ ذمّ حبّ الجاه

١٨٧ بيان أنّ النفس ترتاح للمدح وتكره الذمّ

١٨٧ بيان علاج حبّ الجاه

١٨٨ بيان العلاج فى الخلاص من حبّ المدح وكراهية الذمّ

١٨٩ القسم الثانى : الرياء

١٩٣ بيان حقيقة الرياء

١٩٥ بيان الرياء الخفىّ

ذخيرة محمد وباقر المجدي

صحيفة

١٩٥ بيان الرخصة فى كتمان الذنوب
١٩٥ بيان أنه لايجوز ترك العبادات خوفا من الرياء
١٩٦ أخطار الخلافة والإمامة
١٩٦ الباب التاسع والعشرون : فى ذمّ الكبر والعجب
١٩٨ ذمّ العجب
١٩٨ الباب الثلاثون : فى ذمّ الغرور
٢٠٦ الباب الحادى والثلاثون : فى التوبة
٢٠٦ بيان وجوب التوبة
٢١٠ التوبة إذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة
٢١١ بيان ما عنه التوبة
٢١١ الباب الثانى والثلاثون : فى الصبر والشكر .
٢١٢ بيان حقيقة الصبر
٢١٥ الباب الثالث والثلاثون : فى الرجاء والخوف
٢١٧ فضيلة الرجاء والترغيب فيه
٢١٧ معالجة من غلب عليه اليأس والخوف
٢١٨ الشطر الثانى فى الخوف
٢١٩ أحوال الأنبياء فى الخوف

صحيفة

٢٢٤ الباب الرابع والثلاثون : فى الفقر والزهد
٢٢٥ فضيلة الفقر
٢٢٦ تحريم السؤال والدليل عليه
٢٢٧ بيان أحوال السائلين
٢٣٠ بيان درجات الزهد
٢٣١ الباب الخامس والثلاثون : فى التوحيد والتوكل
٢٣٢ حقيقة التوحيد ودرجاته
٢٤١ ما قاله الشيوخ فى التوكل
٢٤٢ بيان درجات التوكل
٢٤٢ بيان أعمال المتوكلين
٢٤٣ بيان توكل المعيل
٢٤٤ الباب السادس والثلاثون : فى المحبة والشوق والرضا
٢٤٥ بيان معنى المحبة
٢٤٧ أقسام المدركات
٢٤٧ الأسباب المقرّبة لحبّ الله تعالى
٢٤٨ الشوق
٢٥٣ بيان محبة الله تعالى للعبد
٢٥٤ بيان فضيلة الرضا
٢٥٥ ما جاء فى حكايات المحبين
٢٥٧ الباب السابع والثلاثون : فى النية والإخلاص والصدق

Marfat.com

صحيفة

٢٥٧ بيان حقيقة النية
٢٥٩ بيان أن النية لاتدخل تحت الاختيار
٢٦٠ الإخلاص
٢٦٢ بيان حقيقة الإخلاص
٢٦٢ بيان أقاويل المشايخ فى الإخلاص
٢٦٣ بيان حقيقة الصدق
٢٦ بيان معنى الصدق
٢٦ الباب الثامن والثلاثون : فى المراقبة والمحاسبة
٢ الباب التاسع والثلاثون : فى التفكر
٢ حقيقة الفكر وثمرته
٢٦ بيان مجارى الفكر
٢٦ الباب الأربعون : فى ذكر الموت وما بعده
٢٦٩ فضل ذكر الموت
٢٧٠ فضيلة قصر الأمل وذمّ طوله
٢٧٢ سكرات الموت وما يستحبّ عنده من الأحوال
٢٧٥ مايستحب من أحوال المحتضر
٢٧٦ الحسرة عند لقاء ملك الموت

صحيفة

٢٧٧ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين
٢٨١ وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه
٢٨٢ وفاة عمر رضى الله عنه
٢٨٣ وفاة عثمان رضى الله عنه
٢٨٤ وفاة علىّ رضى الله عنه
٢٨٤ كلام المحتضرين
٢٨٥ حال القبر وأقاويلهم على القبور
٢٨٥ الأدب عند موت الولد
٢٨٦ بيان حقيقة الموت
٢٨٧ كلام القبر للميت حين يوضع فيه
٢٨٧ بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
٢٩٠ ما يلقى الميت من نفخة الصور وما بعده
٢٩١ صفة الشفاعة
٢٩١ صفة الحوض
٢٩١ صفة جهنم وأهوالها وأنكالها
٢٩٢ صفة الجنة ونعيمها
٢٩٣ خاتمة فى سعة رحمة الله تعالى

Marfat.com

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

Marfat.com

# المرشد الأمين
# إلى موعظة المؤمنين
## من إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام أبى حامد محمد الغزالى
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

الطبعة الثالثة

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

Marfat.com